الكتابة على جدران الزمن

تجربتي مع الإخوان

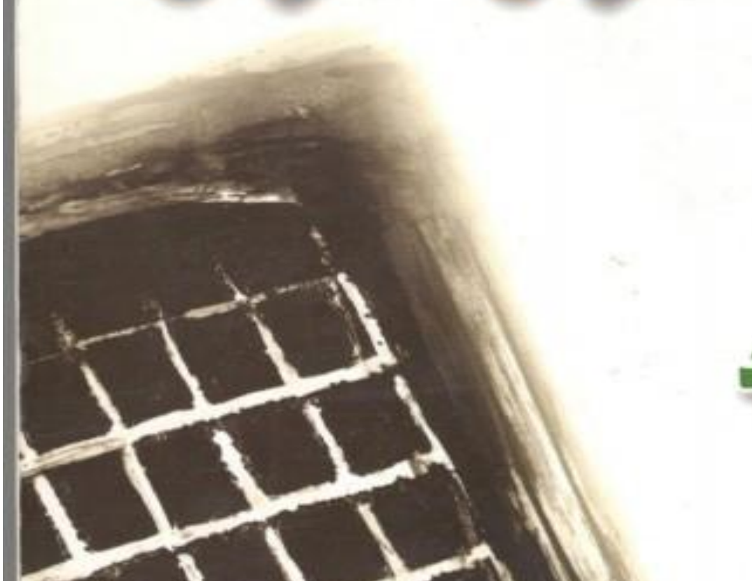

محمود حامد

تقديم

أ.د محمد فريد عبد الخالق

الزهراء للإعلام العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

محمود حامد

الكتابة على جدران الزمن

٢٠١٠

إذا كان المؤرخون قد كتبوا التاريخ

بمداد على الورق

فإن أصحاب الدعوات قد كتبوا بدمائهم

على جدران الزمن

الكتابة

على جدران الزمن

مقدمة بقلم الأستاذ : فريد عبد الخالق

الكتابة على جدران الزمن

عنوان للعبرة الذاتية لإنسان قدم إلى الحياة من غير اختيار منه للمكان أو الزمان فعاشها كما قدرت له بحلوها ومرها، وسهلها وصعبها، عبر مراحل أربع كما اختار لها كاتبها تضمنت النشأة والمسيرة.

وقد نجح في كسب معايشة قارئها له ولها، كإنسان مثله في آدميته وبواعثه الفطرية والوجدانية وأن وإن اختلفت السيرة والأحداث ، وتغايرت العقيدة والتحولات الفكرية والأيدلوجية ، وتغير الجنس واللون وتغايرت اللغات والأوطان والأحوال، وذلك لما تميز به نظرة إنسانية للكون والحياة، وما تميز به أسلوبه من شفافية ، وبساطة لا تكلف فيها ولا تعاليا ، وتميز به منطقه الإيماني فكرا ومعايشه للحياة سواء خلف القضبان أو في العافية التي تبارحها عقبات الطريق وشدائده لا يسلم فيها طريق كل صاحب دعوة وقيم إنسانية عليا كسنة لله ثابتة في العمران البشري ، اقتضت الالتحاق لاختبارات العباد ومجازاته عليها دنيا وأخرى ، كما هو إيمان كل صاحب شرعة بلغها رسل الله للناس لتعينهم على الهداية المنشودة لما تصلح به الدنيا والآخرة .

ومن شأن سيرة ذاتية تمثل الأخ محمود حامد تميزت بكل ما أسلفنا الإشارة إليه أن تحظى بإقبال الناس على قراءتها وتدبرها ، وعلى معايشة صاحبها رحلة حياته التي بسطها وكأنها حديث قلب إلى قلوب قارئيه ،

وعقل إلى عقول الآخرين ، في زمن صار التمكين لإنسانية الإنسان من سمات الفكر الحضاري في العصر الحديث ، واستعادة الشرعية الدولية التي ذبحت على يد المشروع الإمبراطوري الاستعماري للمحافظين الجدد الذين يحكمون الولايات المتحدة ، بقطبتها الأحادية الأهداف ، وآلياتها الجديدة التي تمثلت في صندوق النقد الدولي ، والبنك المركزي ، والتجارة الحرة ، واستخدام هيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن الدولي لتنفيذ أهدافها، ومخططاتها الصهيوأمريكية وما أقدمت عليه من غزو لبنان والعراق وضرب لبنان تحت ذريعة الإصرار على القضاء على حزب الله باعتباره في نظرهم الخاطئ داخل في محور الشر والحرب ضد الإرهاب الدولي .

فالكتاب الذي بين يدي القارئ ، من كل جنس ودين وحضارة ، وثيق الصلة بأزمة الصمد الإنساني ، وأزمة الشرعية الدولية الغائبة ، وأزمة الحريات وحقوق الإنسان على كل الأصعدة ، وفي مواجهة مختلف التحديات ، وما يشهده مسرح الحياة العصرية من مظاهرات احتجاجية شعبية في مختلف عواصم الدول الكبرى ، وعواصم عالمنا العربي والإسلامي ، تلعب فيها مؤسسات المجتمع المدني ، وجماعات حقوق الإنسان ، الأنشطة ضد الاستبداد الحكومي في الداخل والخارج من أجل الحفاظ على كرامة الآدمي ، وإحقاق الحق وإبطال الباطل ، وهدفه السلام الدولي الذي بان معرضا للضباع وخطر الحرب ، كما يتجلى ذلك في ما تعيشه لبنان من أوضاع مأساوية تهدد سيادته وعروبته ، وما يجري في فلسطين من مذابح وجرائم غير إنسانية ، وما تتعرض له إيران وسوريا من

تهديد صهيوأمريكي من أخطار عسكرية وسياسية وحضارية.

وأنا حريص على أن أترك للقارئ الحر الكريم على اتساع المعمورة فرصة المعايشة الحقيقية لكل ما تضمنته هذه السيرة الذاتية المتميزة والصحبة الفكرية والوجدانية لأحداثها وللفترة التاريخية التي غطتها من تاريخ مصر السياسي والثقافي وانتقلت فيها مصر من نظام ملكي إلى نظام جمهوري على مجموعة الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر، ووقع فيه صدام كبير بين الإخوان المسلمين كتيار إسلامي وطني وبين جمال عبد الناصر ، بلغ ذروته في محنتي ٥٤ ، ٦٥ ، حيث زج بعشرات الألاف من الإخوان المسلمين في سجون مصر المتعددة ، وعلى رأسها السجن الحربي، حيث افتتحت المحاكم العسكرية محاكمتهم ، بعيدا عن ضمانات القانون والقضاء والدستور ، فصدرت ضدهم أحكام بالإعدام وبالسجن المؤبد والاعتقال في السجنين المشار إليهما ، وصاحب هذه السيرة أحد هؤلاء الذين عرفوا السجون ، وحالهم من التعذيب على أيدي جلادي السجن الحربي و سجن القلعة وغيرهما ما تجاوز كل حدّ ، ولم يسبق له مثيل ، مما هو معلوم للكافة في الداخل والخارج ، ولم يركز عليه الأخ الكريم محمود حامد في أوراق سيرته ، فلم يكن ذلك هدفا له ، دائما تركزت أهدافه فيما هو أهم لديه ، فيما يتعلق بدور الإنسان والجماعة في بناء المجتمع وتأهل الشعب للنهوض بدوره المطلوب منه دينا وقانونا وحضارة ، من نقله نوعية في نسيج هذا الشعب تنقله من السلبية إلى الإيجابية، ومن الاستسلام إلى المقاومة ، ومن السكون إلى الحركة ، بوعي

تهديد صهيوأمريكي من أخطار عسكرية وسياسية وحضارية.

وأنا حريص على أن أترك للقارئ الحر الكريم على اتساع المعمورة فرصة المعايشة الحقيقية لكل ما تضمنته هذه السيرة الذاتية المتميزة والصحبة الفكرية والوجدانية لأحداثها وللفترة التاريخية التي غطتها من تاريخ مصر السياسي والثقافي وانتقلت فيها مصر من نظام ملكي إلى نظام جمهوري على مجموعة الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر، ووقع فيه صدام كبير بين الإخوان المسلمين كتيار إسلامي وطني وبين جمال عبد الناصر ، بلغ ذروته في محنتي ٥٤ ، ٦٥ ، حيث زج بعشرات الآلاف من الإخوان المسلمين في سجون مصر المتعددة ، وعلى رأسها السجن الحربي، حيث افتتحت المحاكم العسكرية محاكمتهم ، بعيدا عن ضمانات القانون والقضاء والدستور ، فصدرت ضدهم أحكام بالإعدام وبالسجن المؤبد والاعتقال في السجنين المشار إليهما ، وصاحب هذه السيرة أحد هؤلاء الذين عرفوا السجون ، وحالهم من التعذيب على أيدي جلادي السجن الحربي و سجن القلعة وغيرهما ما تجاوز كل حدّ ، ولم يسبق له مثيل ، مما هو معلوم للكافة في الداخل والخارج ، ولم يركز عليه الأخ الكريم محمود حامد في أوراق سيرته ، فلم يكن ذلك هدفا له ، دائما تركزت أهدافه فيما هو أهم لديه ، فيما يتعلق بدور الإنسان والجماعة في بناء المجتمع وتأهل الشعب للنهوض بدوره المطلوب منه دينا وقانونا وحضارة ، من نقله نوعية في نسيج هذا الشعب تنقله من السلبية إلى الإيجابية، ومن الاستسلام إلى المقاومة ، ومن السكون إلى الحركة ، بوعي

إيماني حضاري إنساني يصب في تحقيق حبوته الشعب وغيرته على كرامة الإنسان ، ومشاركته الفعلية في حكم البلد ، واختيار حاكمه ، ونائبه البرلماني الذي يمارس مهمة التشريع والرقابة على الحاكم والحكومة بشكل فاعل في إيمان راسخ بكرامة الإنسان وتضحية بكل ما يملك من أسباب القوة ، ليكون شعبا قادرا على تحرير أرضه ، وتحرير إرادته ، وإنقاذ أهدافه وعلى دفع تكاليف ذلك ، فلا يقوم تغير كبير ولا إصلاح حقيقي إلا بإرادة شعب مستعد لدفع ثمن حرياته وحقوقه .

وأحس أن ذلك كان منطلق صاحب السيرة وهدفه الأسمى في كل ما كتب ويعكس المنهج الذي أراده صاحب السيرة في كتابتها ، كما تعكس أسلوبه فيها ببعض ملامح شخصية ، وهو ما أتركه للقارئ العزيز فهو في غنى عن الإشارة إلى ذلك دون إسهاب بغير داع .

وبمناسبة ما ذكرت عن ملامح شخصية الأستاذ الداعية محمود حامد أجد ذاكرتي تطرح عليّ شيئا في هذا الموضوع ، وأجدني مستجيبا لما طرحه عليّ لأنه مما لا يعرفه القارئ وإنما أعرفه بحكم خصوصية المعايشة له سواء خلف قضبان السجن أو في العافية ، فقد جمعتنا إحدى قاعات سجن أبي زعبل التي كانت تضم آلاف المعتقلين آنذاك ، وكان من حسن حظى أن يكون موقعي من القاعة لصيقا بموقعه فيها ، فكانت للجيرة حكمها، فقد جعله أقرب ما يكون لي في صحوي ونومي، وفي تعاملي مع " الجراية التي كانت تصرف لنا ، وفي كل شأن خاص لنا ، وكنت بحكم عادتي شديد الحرص على تنظيم أمتعتي حتى أني كنت قد تمكنت من

امتلاك دولاب صغير – لا أذكر كيف - وكنت أودعه مطعوماتي وأدواتها المستخدمة فيها ، فكان دون أدري متى أو كيف نغير من نظامها بصورة يسهل عليّ اكتشاف تدخله ومخالفة أوضاع محتويات "الدولاب" لما كنت حريصا عليه ، وكان بذكاء أعرفه فيه ، وبروح دعابة عرفها فيه ، يرقب احتجاجي واعتراضي على لما وقع فيه، وترسم ابتسامة وادعة ماكرة على شفتيه لما أصابني من ضجر واعتراض ، فأقابلها بابتسامة أو ضحكة معبّرة عما بداخلي .

فكانت روح الدعابة فيه أحد ملامح شخصيته وأنا أعدها معبرة عن خصوصية فيه ، كما أعتبرها مما يميّز الأفذاذ من الناس ، فالمرح وإشاعته علاقة نضج في الشخصية وقدرة على اختفاء المرح في جو الشدة . وعلى تحقيق وطأة قسوة الظروف الحاكمة. ولأصالة هذا الملمح من شخصيته فقد رأيت على بروزه عبر تصرفاته ، ومسلكه العادي . بما تجعل ضحكته مثله محبّبة لدى الغير ، وهذا شيء يعدّ له في مجال تحديد ملامح شخصيته المتميزة ، كطبيعة ثابتة ودائمة .

شيء آخر يذكر في هذا المجال ، ذلك أنه كان صاحب قلب كبير ، وحس مرهف ، وعقل ذكي يجعلني أرى في أعماقه شخصية فنان ، لا يستغرب منه اختصار أوراق سيرته وأن التزم في ذلك الإيجاز المقصود ، بعاطفة مشبوبة من الحبّ بكل دفئها ، وتطلعاتها ، وما تخلفه في أعماق النفس من ذكريات غالية أو ندوب غائرة لا يقضي عليها مرور الزمان ولا هول الأحداث .

وقد عرفت مكانه في الإخوان المسلمين ، من شعبيته التي شهد في صباه ، وفي أبنائه من الشباب في كهولته ، بصيرا بشئون دعوية ، مربّيا للجيل الجيد ، فوصولا لقيادة الجماعة على اختلاف عهدها ، يملك الوعي الصحيح بمفاهيم الإسلام، وأهداف الجماعة ، وحركتها الدائمة عبر الظروف المختلفة ، لا يمنعه حرصه على نظام الجماعة من أن يشارك فيها بالرأي والنصيحة ، في توازن وغيرة ورؤية مستقبلية تعكس قوة إيمانه ، وأصالة معدنه ، ورجاحة فكره ، ونضج وعيه وحكمته .

بارك الله فيه ، وأجزل مثوبته عما قدم من سعي دؤوب في حركة الجماعة ، ماضيها وحاضرها ، وجعل أوراق سيرته هذه في ميزان حسناته ونفع به الأجيال القادمة .

فريد عبد الخالق

المقدمة

بعد خروجي من السجن فى سنة ١٩٧١م لم يكن يخطر على بالى أن اكتب عن الماضى وأحداثه ،التى استغرقت من عمرى ستة عشر عاما داخل السجون المصرية ، بدأتها فى سنة ١٩٥٤ وأنا فى سن العشرين - فى أزهى فترات عمرى - تنقلت خلالها بين ١٢ سجنا بدءا من سجون القاهرة - مرورا بسجون الوجه القبلى إلى وسط الصحراء الغربية - فى سجن الواحات الخارجة.

وكانت هذه الفترة مهمة فى تاريخ المنطقة ، لأنها مليئة بالصراعات العالمية والمحلية ، وتركزت هذه الصراعات على أرض المسلمين بتوجيه الضربات من الغرب والشرق على السواء ، فاحتلت أرض سيناء مرتين وابتلع الصهاينة غالبية الأراضى الفلسطينية ، وأفصحوا عن نواياهم فى المنطقة كلها ، وظهرت أمريكا على أرضنا تقود الصراع لصالحها..

وفى مواجهة هذه الأعاصير برزت التيارات الإسلامية على اختلاف مشاربها ، مدفوعة بذاتية الإسلام ، الذى يقبل التحدى ويقاوم طواغيت الأرض ، بإيجابيته فى الحركة على رقعة واسعة من الأرض ، تمتد من الصين شرقا حتى المحيط الأطلنطى غربا ، ومن جليد سيبيريا فى الشمال حتى المحيط الهندى الدافئ فى الجنوب.

وتصدر « **الإخوان المسلمون** » هذه التيارات باعتبارهم حركة عالمية ، ورفعوا راية المقاومة لكل الجبارين فى العالم ، حتى يعيش الناس أحرارا فى أرضهم وفى معتقداتهم.

ومن فضل الله علىّ أن رضى لى أن أكون ضمن هذا التيار العالمى ،

فعاصرت الأستاذ **حسن البنا** وأنا صغير السن ، ثم اختارنى الله ضمن الذين امتحنهم فى هذه الفترة ، فالتقيت بعدد كبير من الإخوان ، وعشت مع كل القيادات والمرشدين داخل السجن. ثم خرجت إلى الدنيا الواسعة ، ومضيت فى طريقى لأكمل المسرحية ، التى هى عمرى الذى تناثر على مسرح الحياة وتبعثر في أرجائها وتوزع بين جدرانها ، فى صور متنوعة من الأداء والمجابهات جعل الحياة حلوة المذاق بالرغم من مرارة الآلام، وانطلقت مع إخوانى كالماء المتدفق الذى يمر على كل أنواع التضاريس فيحييها...

والآن أعيش الفصل الأخير من المسرحية وربما يكون المشهد النهائى، لأن الإنسان أيام ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضه ، وإذا ذهب البعض يوشك أن يذهب الكل.

ولما كنت قد تخطيت الخامسة والسبعين من عمرى ويلاحقنى الشباب بالأسئلة والاستفسار عن أحداث هذه الفترة التى بدأت تتجمع فى ذاكرتى عناصرها ، رأيت أن أعين هذه الذاكرة على الاسترجاع بالتدوين ، ولما اكتملت عندى عناصر الموضوع بدأت فى كتابة التاريخ ، لا كمؤرخ أو أديب ولكن كمعاصر ومشارك.

محمود محمد حامد

التمهيد

الإنسان فى الحياة يتحرك وتلازمه مجموعة من المشاعر والقدرات التى تتأثر بالظروف البيئية وتتفاعل معها ، وهذه المؤثرات البيئية ظلت على مدار التاريخ تلازم الإنسان وتتمكن منه ، وتطبعه بطابعها ، حتى صار جزءاً من بيئته يحبها وإن كانت خشنة قاسية ، ويحن إليها إذا ابتعد عنها ، وينكر ما عداها.

فالعرب الذين جاءوا مع الفتح الإسلامى وبعده إلى مصر وشمال أفريقيا لم يرغب كثير منهم الحياة بالحضر ، بل سلكوا دروب الصحراء الإفريقية ، وتكونت منهم مجتمعات صحراوية اشتغلت بالرعى والتجارة ، وشكلت محاور اتصال بين شمال الصحراء وجنوبها على شكل قوافل تجارية كالتى كانت فى حياتهم السابقة ، وعن طريقهم انتقل الإسلام إلى مراعى الحشائش الحارة.

هذه البيئة الخشنة القاسية هى التى أخرجت لنا عمر بن الخطاب وأبا جهل على اختلاف مشاربهما ، حيث تمسكا بهذه البيئة وقاتلا من أجلها . وكان الإخراج قويا، فما لان عمر ﷺ فى الحق وما رجع أبو جهل عن الباطل .

وعلى هذا الدرب انطلق العرب بقوة من الجزيرة العربية وهم يحملون راية الإسلام فى مجاهل آسيا وأفريقيا ، وواصل الإسلام زحفه فى أنحاء العالم بطبيعته السهلة فى التوحيد والمرنة فى التشريع ، والتى تخاطب الفطرة وتتلاءم مع الحياة البشرية ، لذلك كان العرض الرائع لحقيقة الإسلام على مسرح التاريخ يتجلى فى سلوك معتنقيه الذين تربوا على مائدة القرآن ، ومن هنا كانت النقلة الحضارية التى رعاها الإسلام بخصائصه المتفردة عن

التمهيد

الإنسان في الحياة يتحرك وتلازمه مجموعة من المشاعر والقدرات التي تتأثر بالظروف البيئية وتتفاعل معها ، وهذه المؤثرات البيئية ظلت على مدار التاريخ تلازم الإنسان وتتمكن منه ، وتطبعه بطابعها ، حتى صار جزءاً من بيئته يحبها وإن كانت خشنه قاسية ، ويحن إليها إذا ابتعد عنها ، وينكر ما عداها.

فالعرب الذين جاءوا مع الفتح الإسلامي وبعده إلى مصر وشمال أفريقيا لم يرغب كثير منهم الحياة بالحضر ، بل سلكوا دروب الصحراء الإفريقية ، وتكونت منهم مجتمعات صحراوية اشتغلت بالرعى والتجارة ، وشكلت محاور اتصال بين شمال الصحراء وجنوبها على شكل قوافل تجارية كالتي كانت في حياتهم السابقة ، وعن طريقهم انتقل الإسلام إلى مراعى الحشائش الحارة.

هذه البيئة الخشنة القاسية هي التي أخرجت لنا عمر بن الخطاب وأبا جهل على اختلاف مشاربهما ، حيث تمسكا بهذه البيئة وقاتلا من أجلها . وكان الإخراج قويا، فما لان عمر ﷺ في الحق وما رجع أبو جهل عن الباطل .

وعلى هذا الدرب انطلق العرب بقوة من الجزيرة العربية وهم يحملون راية الإسلام في مجاهل آسيا وأفريقيا ، وواصل الإسلام زحفه في أنحاء العالم بطبيعته السهلة في التوحيد والمرنة في التشريع ، والتي تخاطب الفطرة وتتلاءم مع الحياة البشرية ، لذلك كان العرض الرائع لحقيقة الإسلام على مسرح التاريخ يتجلى في سلوك معتنقيه الذين تربوا على مائدة القرآن ، ومن هنا كانت النقلة الحضارية التي رعاها الإسلام بخصائصه المتفردة عن

الذى تربى فى هذا الوادى ورعى الغنم على أطرافه وهو صغير لم يتركه إلا مرغماً ، حين أجبرته قريش على الهجرة ، ودمعت عيناه فى جنح الليل وهو يغادر مكة ، فألقى نظرة الوداع عليها بتلالها وَأحجارها وأوديتها وما فيها قائلاً :

« **والله يا مكة إنك لأحب بقاع الأرض إلى ولولا أن أهلك اخرجونى منك ما خرجت** » .

من هذا الوصف السابق نستدل على أن جزءا كبيرا من طبيعة الإنسان النفسية والبدنية تصنعه البيئة بمكوناتها ، حتى ليصبح هو من شواهدها يأخذ منها ويعطى لأبنائه ومن جاء بعده.

وإذا كانت البيئات المختلفة لها مظاهرها وثوابتها التى استقرت عليها ، فإننا نحن المصريين قد توارثنا بيئتنا الريفية المحافظة بكل مقوماتها ، حيث الأصالة التى يعبر عنها الفلاح المصرى وزوجته وأولاده فى حركتهم اليومية ، ولأننى ريفى النشأة قروى الميراث ، فإننى سأبدأ رحلتى من قريتى ، التى أهلتنى للدخول فى خضم الحياة ، ودفعت بى إلى معاركها الساخنة.

- **أجهور الرمل**

وقريتى أجهور الرمل هى احدى قرى الريف المصرى الذى تصطف على جانبى الوادى حول نهر النيل ضمن قرى مركز قويسنا التابع لمحافظة المنوفية ، تلك المحافظة التى ظلت محصورة بين فرعى النيل حتى انفجرت بسكانها الذين تخطوا فرع رشيد والتهموا مدينة السادات، التى أصبحت وما حولها من توابع المنوفية ، وتبدأ حدود المحافظة بداية من تفرع النيل عند القناطر الخيرية ، وتزدحم المحافظة حتى ليفيض السكان على جوانبها إلى المحافظات الأخرى ، ولأن القرى فيها تتناثر عن قرب فقد التحمت قريتنا

بقرية عرب الرمل على الطريق الزراعى السريع بين القاهرة والإسكندرية ، وهى تقريبا تتوسط مدينتى بنها وقويسنا وتبعد عن بنها بحوالى أربعة كيلو مترات ، واسم القرية القديم فى بعض المراجع التاريخية « جاجهور النصارى » بالرغم من أن أهل القرية جميعهم مسلمون ولا يوجد أى أثر يدل على وجود نصارى فى السابق – وسواء أكانت أجهور أو جاجهور فما معنى هذا الاسم والذى له مثيل فى محافظة القليوبية « أجهور الكبرى » و« أجهور الصغرى » .

وقرية أجهور الرمل سابقة فى النشأة على مدينة قويسنا وعلى قرية عرب الرمل المجاورة التى تفصلها عن أجهور منطقة رملية تآكلت بزحف المبانى .

وحديثي عن هذه القرية ينطلق من نهاية الأربعينيات من القرن الماضي، حيث كانت قليلة في سكانها ، وبدائية في مبانيها ، ومتعرجة وضيقة في حاراتها ، وهادئة في ليلها ونهارها ، وراضية بحظها من الحياة.

وتجمعت البيوت على الأراضي المرتفعة، في تكتل سكاني شبه دائري ، ليس له امتدادات طولية حتى لا يتسرب إليها مياه البرك والمستنقعات التي تناثرت على أطرافها ، وإذا كانت المستنقعات مسكنا للبعوض ، ومكانا للماء الآسن الذي تنبعث منه الروائح الكريهة [1]، فإن البرك كانت عكس ذلك ، لأن ماءها عذب متجدد بفعل الروافد القريبة التي تمدها بالماء من الترع ، وقد أقيمت في الوقت الحاضر المدرسة الإعدادية وبعض المساكن مكان البركة الكبيرة التي كانت تقع في الشمال الغربي من القرية.

(١) جفت هذه المستنقعات وأقيم على أرضها النادي الرياضي ومحطة المياه وبعض المساكن.

كانت هذه البركة مكانا للتجمع اليومي للنساء القاطنات بالقرب منها، حيث ينتشرن في وسطها وعلي حوافها في تجمعات صغيرة لغسل الحبوب والملابس وأواني الطهي ، ويحلو لهن الكلام ويطول ، ويروين ظمأهن بالحديث عن كل واردة وشاردة ، وينتهزن الفرصة لتسمع الأخبار والأسرار، ويشبعن أنفسهن بسرد الحكايات عن الزواج والطلاق ، وعن الحمل والولادة ، وعن الآمال التي تراودهن ، وعلى مقربة منهن يتباري أطفالهن في الغوص والسباحة وضرب الماء بالأيدي والأرجل.

وفي الجهة القبلية ((الجنوبية)) من القرية كانت المقابر التي استقرت في مكانها الجديد ، بعد أن كانت موزعة على أطراف القرية ، وكانت هذه المقابر مسرحا للأشباح التي تتراقص في ظلامها الحالك ، كما كنا نتخيلها نحن الصغار الذين ألزمنا أنفسنا أن لا نقترب منها أبدا ، ولا نمر عليها إلا نهارا ونحن ذاهبون إلى الحقول.

وتميزت قريتنا بهذا الشارع الرئيسي الذي يلفها من الخارج ويدور حولها ، ويلتقي بكل الحارات التي تخترق المساكن العشوائية وتتجه بتعرجاتها نحو المركز « صرة البلد » ، هذا الشارع أطلق عليه:« داير البلد» ، ومن هذا الشارع بدأ التمدد العمراني نحو الخارج ، ونظرا لأن الأمن لم يكن مستقرا بالقرية فإن العمدة كان يتغير من حين لآخر ، فقد حكمها في تلك الفترة العمدة الحاج محمد أبو عيسوي صقر ، ثم العمدة الحاج علي أبو إبراهيم سعد الشعراوي ، وكانت إحدى دلائل التغيير أن ينتقل تليفون الحكومة البدائي إلى بيت العمدة الجديد ، ونسمع ونحن نمر أمام الباب صوت قوى يقول : « ألو ... يا مركز .. » ، ويصاحب هذا دخول خفر القرية عنده لتلقي الأوامر.

عبد الفتاح صقر - والشيخ قطب الخولي - والشيخ خضر الخولي - والشيخ عبد الفتاح الخولي - والشيخ السيد عفيفي الشيخ - والشيخ عبد الله الشيخ » .

وضمن هذا الجيل المتعلم أربعة من الرواد الذين دخلوا الجامعة ، وهم : « عابدين إبراهيم سالم - أحمد بيومي سالم - عبد المنعم بيومي منس - جمال أحمد الشعراوي » .

ثم هناك الذين دخلوا الأزهر مثل « الشيخ سيد عفيفي سلامة الذي كان مرجعا في الفتوى الدينية لأهل القرية - والشيخ التهامي ماضي - والشيخ التهامي مجاهد - والشيخ محمد جمعة - والشيخ حسن أحمد صقر - والشيخ عبد الله حامد مصطفي حامد - والشيخ محمد إبراهيم علي » .

وبقي من الجيل الأول المتعلم موظف واحد في السكة الحديد ، كنا نحن الصغار نستعرض عربات قطار البضاعة حتى نراه في آخر عربة ذلك هو محمد همام العليمي .

إذا كان كل ما سبق من الرجال يكونون الجيل الأول من المتعلمين، وعددهم حوالي العشرين ، فإن ما بقي من الخمسين هم تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية الذين يشكلون الجيل الثاني المتعلم في القرية ، وكنا نحن الأجاهرة الذين دخلوا السجن ضمن هؤلاء التلاميذ ، ونشكل الغالبية فيهم.

▪ الأضرحة وثقافة الريف

ولو نظرنا على الطرف الأجهوري لهذه المنطقة لوجدنا ضريحين أحدهما للشيخ « أبو السباع » والأخر للشيخ « المغازى » والأسماء كما هو واضح لها دلالات تاريخية على النزال فى المعارك خاصة وأنه قد عثر على

بعض الجماجم والعظام مدفونة فى الرمال – أما بقية المشايخ والأضرحة فى القرية فهم الشيخ « يوسف »[1] ويقال انه كان طفلا صغيرا. وإن كان كذلك فلم صنعوا له هذا الضريح وهو لا يزال طفلا لم تظهر معجزاته بعد ؟ ثم ضريح « ابن هنا » ، والذى أشك فى أن تحته أى أثر لإنسان مدفون ، فقد كنت صغيرا حينما تناثرت الروايات والمزاعم بين الناس رجالا ونساء عن وجوده على حرف البركة، وكل يوم يمر يزداد الحديث ويتواصل فيزداد الناس فى أحلام المكان وهم نائمون ، بل ويحلم به بعض العامة فى يقظتهم، ولا مانع من أن تفسر كل امرأة وكل رجل أى حدث فى بيوتهم على أنه طلب من الشيخ للمساهمة فى بناء الضريح ، وهكذا قرر الناس بناء الضريح دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التحقق من الأحلام الليلية ، ولو بالحفر لرؤية الشيخ المدفون .

وبعد مشادات كلامية حول مكان وجوده انهالت التبرعات ، وأقاموا البناء وهم لا يعلمون أين هو على وجه التحديد ، ولا من يكون ابن هنا ؟ والمهم أن الناس فى حاجة إلى شيخ فى هذا المكان يزورونه ، وقد ظهر الشيخ فليذهب الناس إليه وتضاء له الشموع وتعلق على بابه الأحجبة ، ويكون هو علما من بين العظام الكثيرة التى وجدوها فى المقابر القديمة الكائنة فى هذا المكان.

أما فى غرب القرية فيوجد ضريح « ابن حوا » وهو مثل السابقين لا معلومات عنه، أما أحدث تلك الأضرحة وآخرها فهو ضريح الشيخ على سالم على مدخل القرية جهة الشرق ، وهو القبر الوحيد الذى يحوى رجلا

(١) لقد دمر ضريح الشيخ يوسف واشتعلت فيه النيران بسبب الفتن التي صاحبت انتخابات مجلس الشعب في نوفمبر ٢٠٠٥.

يعرفه جميع أهل القرية ، والشيخ « على سالم » عاصرته وأنا طفل حتى سن الخامسة عشرة ، ورأيت وسمعت صورا من حياته – فهو فى شبابه كان يعمل بالنيابة فى وزارة العدل ، وشخصيته كانت قوية وفيها حدة ، وشاء الله أن يقرأ بعض كتب التصوف مثل كتاب « إحياء علوم الدين للغزالى » وخالط بعضا ممن ينتمون إلى الطرق الصوفية وتأثر بهذه البيئة الجديدة وظهرت حدته فى التجاوب مع هذه المؤثرات بأن قدم استقالته من عمله. وخلع البذلة والطربوش ، ولبس الخشن من الثياب ، ووضع على رأسه غطاء أشبه بالطرطور لكن قماشه يمتد إلى الكتفين ولا يظهر منه إلا مقدمة الوجه ، ثم توكأ على عصاه التى تارة تكون منفردة وتارة تكون حزمة من العصى مشدودة بعضها إلى بعض ، ولكى يندفع بقوة فى هذا الخط الجديد بدد كل ما عنده من الممتلكات والأرض الزراعية حتى أتى على بيته وجرده من محتوياته.

وتغيرت أحواله وهو في تلك الاندفاعة فأسرع الخطى فى الطرقات، وانقطع حديثه مع الناس إلا من عبارات جديدة يطلقها بصوت مسموع أثناء سيره لمن شاء أن يسمعها، وكان صعبا على الناس أن يفهموا غالبية هذه العبارات ، فصارت هذه الألغاز مثار النقاش والجدل بينهم ، والقليل منهم يحاول أن يقترب من الشيخ لعله يعرف أو تصيبه بعض النفحات إن عجز عن المعرفة ، لكن الشيخ « على سالم » ليس بالرجل الذى يسهل الاقتراب منه .

وكنت على صغر سنى ممن أتيحت لهم فرصة الاقتراب مرة واحدة ولست أدرى كيف وهو الرجل الكبير رضى أن يصاحب الصبى الصغير لمدة ساعتين أو يزيد ؟ فسرت معه بعد الغروب إلى بيته الذى كان يغيب عنه أياما طويلة . وكان موقع بيته أمام مسجده الذى بناه بنفسه ، ونحن فى

يعرفه جميع أهل القرية ، والشيخ « على سالم » عاصرته وأنا طفل حتى سن الخامسة عشرة ، ورأيت وسمعت صورا من حياته – فهو فى شبابه كان يعمل بالنيابة فى وزارة العدل ، وشخصيته كانت قوية وفيها حدة ، وشاء الله أن يقرأ بعض كتب التصوف مثل كتاب « إحياء علوم الدين للغزالى » وخالط بعضا ممن ينتمون إلى الطرق الصوفية وتأثر بهذه البيئة الجديدة وظهرت حدته فى التجاوب مع هذه المؤثرات بأن قدم استقالته من عمله. وخلع البذلة والطربوش ، ولبس الخشن من الثياب ، ووضع على رأسه غطاء أشبه بالطرطور لكن قماشه يمتد إلى الكتفين ولا يظهر منه إلا مقدمة الوجه ، ثم توكأ على عصاه التى تارة تكون منفردة وتارة تكون حزمة من العصى مشدودة بعضها إلى بعض ، ولكى يندفع بقوة فى هذا الخط الجديد بدد كل ما عنده من الممتلكات والأرض الزراعية حتى أتى على بيته وجرده من محتوياته.

وتغيرت أحواله وهو في تلك الاندفاعة فأسرع الخطى فى الطرقات، وانقطع حديثه مع الناس إلا من عبارات جديدة يطلقها بصوت مسموع أثناء سيره لمن شاء أن يسمعها، وكان صعبا على الناس أن يفهموا غالبية هذه العبارات ، فصارت هذه الألغاز مثار النقاش والجدل بينهم ، والقليل منهم يحاول أن يقترب من الشيخ لعله يعرف أو تصيبه بعض النفحات إن عجز عن المعرفة ، لكن الشيخ « على سالم » ليس بالرجل الذى يسهل الاقتراب منه .

وكنت على صغر سنى ممن أتيحت لهم فرصة الاقتراب مرة واحدة ولست أدرى كيف وهو الرجل الكبير رضى أن يصاحب الصبى الصغير لمدة ساعتين أو يزيد ؟ فسرت معه بعد الغروب إلى بيته الذى كان يغيب عنه أياما طويلة . وكان موقع بيته أمام مسجده الذى بناه بنفسه ، ونحن فى

طريقنا تبعه كلب فنظر إليه وتحدث معه ببعض الكلمات والإشارات انتهت بالوعد الصريح منه أمامى أن يستضيف الكلب ويقدم له العشاء.

ودخلنا البيت وانتظر الكلب خارج الباب ، وأول حجرة فى البيت كانت فيما مضى حجرة الجلوس لكنها تحولت الآن إلى حجرة للعبادة، وقد حفر أمام بابها حفرة يملؤها بالماء أحيانا ، وحتى نصل إلى داخلها وضع لوحا من الخشب نعبر عليه، وجلست معه أراقبه لكى أشبع نفسى وأسبق الجميع بتحقيق صحفى أذيعه على الناس، خاصة أقرانى من الصبيان، لكنه خيب ظنى وطال جلوسى على المصطبة التى صنعها بدل الكراسى، ولم أسمع منه إلا كلمات متقطعة على فترات، ونادرا ما يوجهها إلى وهو ينظر إلى أعلى نحو سقف الحجرة، وإذا كان الناس يتهيبون الحديث معه فانى بالتالى لا أجرؤ على السؤال أو الاستفسار.

ومضى الوقت وإذا به ينتفض واقفا ويصيح : « نسينا الضيف » ، ثم هرول مسرعا إلى الحجرة المجاورة حيث زوجته وأولاده ليأتى بلقيمات وجدها عندهم ثم يخرج إلى الشارع مسرعا وأنا أهرول وراءه ، حتى وجد الكلب بعيدا عن البيت بعد أن سئم الانتظار، فأعطاه اللقيمات وتأسف له عن التأخير والكلب يهز ذيله دليلا على أنه قد رضى .

هذا الشيخ « على سالم » أصبح له بعد فترة مريدون، وبعد وفاته حضر بعضهم من القاهرة ونقلوا رفاته من المقابر إلى ضريحه الجديد فى مدخل البلدة، وتقام له ليالى المولد فى شهر أغسطس من كل عام ، حيث تزدحم لياليه سنة بعد أخرى بالكبير والصغير وبالرجال والنساء – وأظنه بعد فترة سيلحق بركب المشايخ الكبار ويأتيه القاصى والدانى .

هؤلاء المشايخ عند العامة هم حراس القرية ويتسابق بعض الناس لإقامة الموالد وتقديم النذور لهم .

وأختم حديثى عن قريتى أجهور الرمل باستفسار لعل أحداً من سكانها يجيبنى ، فالقرية قديمة ومع ذلك فإننى لا أرى فيها جذورا عائلية تمتد قدم النشأة وتكاد معظم العائلات لا تزيد الأجيال فيها عن ستة أجيال أى ما بين مائتين ومائتين وخمسين عاما – معنى هذا أن جدود هذه العائلات حديثى الهجرة وبالتالى فأين الجذور الأساسية لهذه البلدة ؟

نحن نسمع أن عائلة الشعراوى وهى من أغنى العائلات نزح جدودهم من الصعيد . وكذلك نفس الكلام عن عائلة أبو حامد فقد نزح جدى الكبير حامد من الصعيد أيضا ، وإذا كانت مساكن هاتين العائلتين متجاورة ، وبعض هذه المساكن متجه إلى وسط البلدة ، فمعنى هذا أن رقعة المساكن ومساحة القرية كانت صغيرة فكيف ذلك وأجهور الرمل من أقدم قرى المنوفية كما تقول المراجع ؟! ومن هم سكانها السابقون قبل النازحين الجدد ؟! على كل هو سؤال مطروح للبحث لا للتباهى بالعصبية ، خاصة إذا عرفنا أن الدماء امتزجت وليس هناك على سطح الأرض جنس خالص، وأن الدماء العربية شغلت حيزا كبيرا فى أفريقيا من أيام الفتوحات الإسلامية، وأن نسبة عالية من سكان الصعيد والشرقية والصحراوات فى مصر لهم جذور من قلب الجزيرة العربية .

جمر « القوالح » وقدمت له طعام الإفطار الذى غالبا ما يكون اللبن الرايب مع الجبن القريش ، ثم تساعده فى إخراج الماشية التى يسحبها ، وأمامه الحمار يحمل نقلة من « السباخ » .

وكان والدى يعمل طيلة النهار فى حقله ، ويأكل القليل من الطعام ويصبر على الجوع والعطش إذا كان صائما أيام الصيف، وكانت له مصلى على الترعة حدد مكانها بالطين ، يصلى فيها العصر بعد أن ينتهى من عمله ، ثم يجلس بعد الصلاة على حرف الترعة يسبح الله بمسبحته حتى يأتيه بعض أصحابه من الحقول المجاورة الذين هم على شاكلته ، فيصلون ويجلسون معه يسبحون.

وكان حديثهم خارج العبادة لا يتعدى ثلاثة اتجاهات، يتحدثون أولا عن الزرع وظروف الحر والرى والدودة التى أكلت البرسيم هذا العام، ثم ينتقلون إلى الاتجاه الثانى وهو السياسة، وسياستهم لا تخرج عن جمل بسيطة يتكلمون فيها عن « تشرشل » و« هرتل » - هتلر - لأننا كنا فى أيام الحرب العالمية الثانية ، ثم ينتقلون إلى الجانب الثالث وهو الحديث عن فلان المريض ، ويتواعدون على زيارته بعد أن يؤدوا صلاة العشاء فى المسجد ، وكنت فى بعض الأحيان أسمع منهم بعض الكلمات الداخلة فى بعض العبارات يرددونها عن آبائهم وأجدادهم مثل السلطة والسخرة والجهادية، ولعلها مصطلحات تعود إلى أيام محمد على حاكم مصر وما بعده فقد سخر الناس لحفر الترع والرياحات ثم فى حفر قناة السويس فى عهد ولديه سعيد وإسماعيل .

وبعد عودة والدى من صلاة العشاء يضطجع على جنبه ممسكا بمسبحته ، ويظل يردد الأذكار حتى يأخذه النعاس.

والـدى الفـلاح

ولأن والدى فلاح فقد يأخذنى معه فى بعض الأيام لأساعده فى عمله ، وكان يسعدنى كثيرا أن يتركنى آخر النهار حرا لأعود للبيت بمفردى ، لا أسحب الجاموسة ولا أركب الحمار ، وإنما أهتم بشئونى الخاصة فى اللعب أثناء العودة ، فأركب عود الحطب أو أسوق عودا آخر أمامى.

وأجرى بسرعة لأصل إلى أمى فى دقائق ، وأحدثها عن أن والدى أفرج عنى فى هذا اليوم وسوف يأتى من بعدى مصطحبا ماشيته - وتسألنى أمى لماذا لم تساعده فى سحب الماشية فأرد فرحا « وأنا مالى هى البهايم بتاعته وهو حر معها » .

والدي
الشيخ / محمد محمد حامد

والدتي
مريم أحمد علي

كان والدى رجلا بسيطا وطيبا يصدق كل ما يقال له ، وليس له أبعاد خفية ولا يعرف شيئا فى الدنيا غير زرعه وماشيته وعبادته لربه.

يبدأ يومه قبل صلاة الفجر حين يأتيه صاحبه عمى إبراهيم أبوخميس وينادى عليه للصلاة ، فيجده مستيقظا متأهبا للذهاب إلى المسجد مهما كانت حالة الجو من المطر والبرد والطرق الموحلة ، فإنه لابد أن يذهب للصلاة ، ويعود ليجد والدتى قد حلبت الجاموسة ، وسخنت الخبز على

جمر « القوالح » وقدمت له طعام الإفطار الذى غالبا ما يكون اللبن الرايب مع الجبن القريش ، ثم تساعده فى إخراج الماشية التى يسحبها ، وأمامه الحمار يحمل نقلة من « السباخ » .

وكان والدى يعمل طيلة النهار فى حقله ، ويأكل القليل من الطعام ويصبر على الجوع والعطش إذا كان صائما أيام الصيف، وكانت له مصلى على الترعة حدد مكانها بالطين ، يصلى فيها العصر بعد أن ينتهى من عمله ، ثم يجلس بعد الصلاة على حرف الترعة يسبح الله بمسبحته حتى يأتيه بعض أصحابه من الحقول المجاورة الذين هم على شاكلته ، فيصلون ويجلسون معه يسبحون.

وكان حديثهم خارج العبادة لا يتعدى ثلاثة اتجاهات، يتحدثون أولا عن الزرع وظروف الحر والرى والدودة التى أكلت البرسيم هذا العام، ثم ينتقلون إلى الاتجاه الثانى وهو السياسة، وسياستهم لا تخرج عن جمل بسيطة يتكلمون فيها عن « تشرشل » و« هرتل » - هتلر - لأننا كنا فى أيام الحرب العالمية الثانية ، ثم ينتقلون إلى الجانب الثالث وهو الحديث عن فلان المريض ، ويتواعدون على زيارته بعد أن يؤدوا صلاة العشاء فى المسجد ، وكنت فى بعض الأحيان أسمع منهم بعض الكلمات الداخلة فى بعض العبارات يرددونها عن آبائهم وأجدادهم مثل السلطة والسخرة والجهادية، ولعلها مصطلحات تعود إلى أيام محمد على حاكم مصر وما بعده فقد سخر الناس لحفر الترع والرياحات ثم فى حفر قناة السويس فى عهد ولديه سعيد وإسماعيل .

وبعد عودة والدى من صلاة العشاء يضطجع على جنبه ممسكا بمسبحته ، ويظل يردد الأذكار حتى يأخذه النعاس.

هذا هو والدى الفلاح البسيط الذى لم أره مرة واحدة يكذب أو يغش أو يحتال ، وهذه صفات كانت شائعة بين الفلاحين آنذاك ، ويمتاز أحدهم عن الآخر فقط فى الدرجة . لذا فإنه قد انخرط فى سلك الصوفية والتى هى فى نفسه خليط من الطرق المتنوعة التى تجعله قريبا من الله.

وقد أصبح والدى مشهورا وتقام فى بيتنا الموالد ويقود حلقات الذكر أمام ضريح الشيخ « يوسف » ، خاصة أيام المولد النبوى الشريف ، وكان فى بلدتنا رجل ((عبيط)) اسمه « أبو دعيج » ولا يعرف من الحياة سوى مشاهد قليلة يراها فى طرقات القرية ، التى يهيم فيها طيلة النهار وجزءا من الليل ، ويحبه كل الناس ويداعبونه .

وكنا نحن الأطفال نحب أن نداعبه على طريقتنا ، فنثيره ببعض الكلمات ونتبادل معه قذف الحجارة ، لكى نضحك من الحروف التى ينطقها والتى لا يعرف غيرها ، ولذلك فانه ينادى على كل الناس كبيرهم وصغيرهم بكلمة « ولد » ، وبما أنه لا يستطيع نطقها صحيحا فكان يقول « وله » ولأن الكلمات الغالبة فى الموالد هى « الله ..حى » فيأتى « أبو دعيج » لوالدى يذكره بالمولد ويقول له « وله .. حى .. » ويعطف عليه والدى ويقدم له الطعام ويعده بالمولد الذى يفرح به.

كان والدى فقيرا لكنه كان مستورا ، وهذا شأن كثير من الفلاحين يعيشون على الكفاف لكنهم راضون ويحمدون الله ويتعاونون فيما بينهم ، وكانت لنا جارة اسمها حميدة وكنا مدينين لها بمبلغ ستين جنيها نأخذ منها جنيها بعد الآخر على مدار السنة حتى يبيع والدى القطن فنسدد هذا المبلغ دفعة واحدة ، ثم نبدأ فى السلف من جديد ، وكان هذا سرا بينها وبين أمى لا يعلمه أحد ، حتى كشفته بعد أكثر من خمسين سنة ، وهذا المبلغ فى

ذلك الوقت كان يمكن أن نشترى به فدانا من الأرض الزراعية أو يزيد، وكانت أمى أحيانا أراها تتنهد وأرى فى عينيها الحزن فأسألها فتقول لى : « علينا ستون جنيها متى نسدهم ؟ » بالرغم من أن خالتى حميدة تستر علينا وتحبنا ولا تكشف لنا سرا .

وتمضى الأيام ووالدى ووالدتى لا يراهم الناس إلا مستورين ، فيجاملون الناس فى المناسبات ، ويتحدث أهل الحارة عن كرمهم على الأخص والدتى صاحبة التصرف فى البيت ، حيث كان عندنا عسل النحل طول العام ، نجمعه من خلايا النحل البلدى الذى نملكه ، فيبيع والدى العسل ويبقى لنا ما نأكل منه وما نهديه لجيراننا وأقاربنا ومعارفنا . ولأن والدتى كان مشهورا عنها الكرم والضيافة وحسن الاستقبال ، فإن الله قد سترها بوجود عسل النحل فى البيت وكذلك اللبن ومشتقاته ، ولذا فنحن أمام الناس مستورون بالرغم من الدين الذى علينا.

▪ يوم العيد

ولما كان يوم العيد هو أجمل أيام القرية حيث يتوقف العمل فى الحقل ويجلس الرجال بعضهم مع بعض فى مصاطب « مضايف » يتسامرون ويشربون القهوة فقط لأن الشاى لم يكن معروفا أو متداولا ، ثم يبدأ الرجال فى كل مضيفة بالمرور على المضايف الأخرى بشكل جماعى للسلام والتهنئة بالعيد ، وكل مضيفة تأخذ دورها فى المرور بنظام متعارف عليه حتى يتصافح الناس جميعا فى القرية ، وبعدها يصلون الظهر ثم يبدءون فى تناول طعام الغذاء فى المضايف كلها فى آن واحد ، حيث تتجمع النساء خارج المضيفة كل واحدة تحمل فوق رأسها صينية كبيرة عليها الطعام وتمسك بأحدى يديها كرسى العشاء لتضع عليه الصينية أمام

زوجها بعد أن ينادى عليهن المنادى بالدخول ، وينصرفن جميعا حتى ينادى عليهن المنادى مرة ثانية بالدخول لحمل الصوانى بما تبقى عليها من طعام .

وكانت فرصتى أن أجلس مع والدى عند الغذاء حيث يكون أمامه من الطعام فى هذا اليوم مالا أراه فى معظم أيامه السنة فالأرز جميل ولونه يميل إلى اللون الأخضر الخفيف ، وطبيخ اللوبية والفاصوليا لذيذ نأكله بعيش القمح، ثم يكشف والدى الإناء الذى به اللحم فألتهم منه قدر ما أستطيع ثم أنصرف مسرعا إلى اللعب مع رفاقى.

كان مصروفي لا يزيد عن قرش واحد في هذا اليوم عشر مليمات ، أركب مرجيحة عمي سالم الحلواني بمليم واحد ، وأضحك مع الأطفال وأصيح، والمرجيحة تدور بنا كالساقية ، ترفعنا إلى أعلى وتهبط بنا في سرعة دوارة ، والفرح يملأ كياناتنا الصغيرة ، ونحن نطير في الهواء ونغرد كأننا طيور حرة تسبح في الفضاء .

لكن التغريد يتوقف والأسارير تنقبض حينما تتوقف المرجيحة ويأمرنا عمي سالم بالنزول لأن الوقت قد انتهى ، فأسرع بإخراج مليم آخر كي أظل في مكاني وآخذ دوراً جديداً ، وهكذا... دور وراء دور ، ومليم وراء مليم ، حتى ينفد نصف القرش الخمس مليمات ، فأبرح المكان مع رفاقي ومعي خمس أخرى تشجعني على الانطلاق والبحث عن مكان آخر أنفقها فيه ، فأشتري « البالوظة » [1] بمليم ، وبمليم آخر أشتري « حلاوة الزمان يا ملبن» ثم أشتري بالباقي بعض اللعب ، ثم أعود إلى البيت خاوي اليدين

(١) البالوظة عجينة رخوة في صينية كبيرة على سطحها لون أحمر ، يهتز هذا السطح إذا وضعت فيه ملعقة ،وأظنها مصنوعة من النشا والسكر .

والجيوب، وأنتظر حتى يمن الله علي بقرش آخر من زائر قريب ، فأخرج في جولة أخرى مماثلة، ثم تتلوها جولات ، ولكل جولة قرشها من زائر جديد .

- **مرحلة الطفولة**

كلنا نحب الأطفال هؤلاء الذين يملأون علينا حياتنا ، والحياة بغيرهم صحراء قاحلة ، وهم يعيشون الحياة الرحبة الواسعة التى لا تحدها حدود ولا تعرف القوانين ولا المصطلحات، وكلمة المستحيل غير معروفة فى قاموس الأطفال ، فهم يحبون كل شيء وقادرون على كل شيء ، والحياة مفتوحة أمام أعينهم لا يحذرون ولا يتكتمون ، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون .

وكنت أنا هذا الطفل بين الأطفال الذين يحبون اللعب فى الحارة والتى كان يطلق عليها آنذاك شارع أبو عماره نظرا لأن أغلب سكانه من عائلة أبو عمارة - وأغلب مساكن هذا الشارع المصفوفة على الجانبين مبنية على أرضهم الزراعية واشتراها السكان منهم ، ولم يكن الشارع آنذاك مزدحما بالسكان ، بل امتدت المساكن فقط فى الجانب الذى تفتح فيه الأبواب « بحري » أى تجاه الشمال ، حيث الهواء يأتى صيفا من الشمال فيدخل من هذه الأبواب ويلطف من درجة حرارة البيوت ، أما الجانب المقابل والذى أبوابه تفتح « قبلي » أى جنوبا فلم يرغب الناس فى البناء فيه.

وكان هذا من حظنا نحن الأطفال ، لأن الشارع ضيق وقد وسع الله علينا بهذه المساحات الشاغرة لنلعب فيها، وكان يطلق على هذه المساحات « الجرن » حيث كان الفلاحون يدرسون فيها القمح بعد الحصاد ، وكانت أمى حين تضيق بمشاكلى داخل بيتنا البسيط تقول لى :« روح العب فى

الجرن » وأنا بالتالى لم أكن انتظر حتى تقول لى أو آخذ الإذن منها ، لأن الجرن هو واحتى وميدان سباقاتى وملتقى صحبتى ، لا أعود منه إلا حين يعضنى الجوع ، وكثيرا ما كنت مع أصحابى فى الليالى المقمرة نتسامر ونحكى الحكايات التى لا تنتهى.

طفل من القرية أسعد لحظاته وهو ينتظر زملاء الحارة
كي يسرعوا بالخروج من بيتوهم ، وحتى يبدأوا برنامج اللعب اليومي

مقربة منا ، فيتطلع الجميع نحو الساقية ونظن أن « أم هليلة » سوف تخرج منها وتأخذنا .

ويستمر السرد بلا توقف ، والخوف يملأ جوانبنا ويتسرب الرعب تدريجيا فى أجسادنا الهزيلة ، وخاصة أننا فى وقت متأخر من الليل ، فنتقارب ونتلاصق ثم نتداخل ويمسك بعضنا بعضا ، ونحدق النظر نحو الساقية فنرى الأشباح تخرج منها ، ونرى « أم هليلة » وأولادها قادمين إلينا فنزداد رعبا ونتطلع إلى ملجأ يحمينا فما يدركنا من أحد ، ويفزع أحدنا ويصرخ « أوع يا ولد أم هليلة » ثم يطلق لساقية العنان فتنطلق مع الريح تسابقها ونحن وراءه ينفرط عقدنا ، ونتدافع نحو بيوتنا خائفين مذعورين ، وفى دقائق ينحشر كل واحد منا بين إخوته تحت غطاء من الصوف يسمى « الجفل » ليحمى نفسه من الجن ، ومن التعب يأتى النوم بسرعة حتى الصباح ليجتمع شملنا من جديد ليعاود كل يوم قصصه ويجرى بأحاديثه الفياضة.

▪ صداقة كرة القدم:

ومرت الأيام وكبرت وكبر زملائى ونضجت تخيلاتنا وأفكارنا وصرنا لا نمارس الحديث عن الذئب والثعلب والنمس ولا عن الجن والعفاريت وأصبحنا أيضا لا نمارس الألعاب البسيطة فى الحيز المحدود داخل شارعنا الضيق ، بل وانفتحنا على محيط أوسع وأصبح لنا صلات مع الأولاد فى الشوارع الأخرى القريبة .

وبدأنا نمارس نوعا آخر من اللعب لم نكن نألفه أو نعرفه خاصة بعد أن دخلنا المدارس ، فقد جاءنا زميل جديد من شارع الزهايرة بلعبة جديدة اسمها كرة كفر أى كرة القدم هذا الزميل اسمه فتحى عبد الهادى الذى كان

حساباته ، فقد انهزمنا ، فكيف يضحك وهو رئيس فريق مهزوم ، ومعنى ذلك لابد أن تبدأ المعركة .

صداقة الكرة هذه مع الأستاذ فتحى عبد الهادى جعلته يغامر بزيارتى فى مستشفى القصر العيني حينما كنت سجينا سياسيا وحولى الحرس وأنا على سرير المرض ، بالرغم من أننا افترقنا منذ زمن وأصبح لكل منا طريقه وتطلعاته ، لكننا كنا قريبى عهد بأيام الصبا وما زلنا نتذوق حلاوة هذه الفترة مما جعله يحس بالوفاء لصداقة هذه الأيام ويندفع لزيارتى فى أحلك الظروف ، ولأن عنده نزعة الأدب وحب الكتابة فقد أسر إلى أن أكتب مذكراتى كسجين سياسى ، وكنت فى هذا الوقت فى السابعة والعشرين من عمرى تقريبا بعد رحلة طويلة فى سجن القلعة والسجن الحربي وسجن مصر ثم سجن المنيا إلى سجن بنى سويف ومنه إلى سجن الواحات الخارجة ثم أخيرا سجن القناطر الخيرية الذى خرجت منه إلى مستشفى القصر العينى للعلاج ، لكن ما أسره إلى الأستاذ فتحى عبد الهادي لم يتمكن من نفسى آنذاك ، بل نسيته ، والآن بعد السبعين من عمرى أخط هذه الصفحات وفى ذاكرتى الأستاذ فتحى.

الحديث عن الأستاذ فتحى وزيارته لى جعلنى أسبق الأحداث وأتخطى الزمن، فأنا مازلت الآن طفلا صغيرا فى المدرسة بالتعليم الإلزامى بمدرسة أجهور الرمل فى عام ١٩٤٢ والتى لم أستقر فيها طويلا وخرجت منها فى عام ١٩٤٣ إلى مدرسة أخرى تسمى مدرسة الخطيب مدرسة السكة الحديد والتى تبعد عن بلدتنا حوالى ١٥٠٠ مترا ، وبهذا ترقيت عن زملائى مادمت قد خرجت من القرية ومشيت هذه الأمتار، وكان التعليم بها أفضل حيث كنا نختم حفظ القرآن بانتهاء السنة الرابعة .

الخلفى المسرع فى الدوران وارتدت إلىَّ بقوة أصابتنى أسفل بطنى وقعت بعدها على الأرض أتلوى من الألم فهل وعيت الدرس ؟. لا لم أع ولم أرتدع لأن الأطفال عادة ينسون ويكررون أخطاءهم.

وفى مرة أخرى تجرأت على قوة أكبر وأمسكت الزلط وضربت به زجاج نوافذ القطار الذى يمر أمامى مسرعا وأنا لا أدرك أن هذا العمل سيلحق الأذى بالركاب.

بقى أن أتحدى بطريقة استفزازية عنيفة ، فقد جلست فى وسط طريق السيارات انتظر قدوم أية سيارة لأتحداها بطريقة مثيرة غريبة ، غير عابئ ، بتحذير السائق وإطلاق صوت النفير، ولا أقوم من مكانى إلا حينما أرى الخطر سيحيق بى وتقترب منى السيارة وأشرف على الهلاك .

والغريب فى الأمر أن هذه الأفعال كانت عندى عادية وليست مستهجنة ، وأتعجب الآن من طريقة تفكيرى فى تلك المرحلة . وأزيدكم عجبا .... فبعد انتهاء الدراسة وأنا فى طريقى إلى البيت أخلع ملابسى وأقفز فى الرشاح وأسبح فى مائه الملوث تحت قنطرة السكة الحديد لأعبر إلى الناحية الأخرى ، علما بأن سطح الماء بينه وبين سقف القنطرة المواجه للماء لا يزيد عن ربع المتر فى بعض الأحيان ، ويجب على فى هذه الحالة أن تظل رأسى مرفوعة فى هذا الربع متر حتى العبور إلى الجانب الآخر ، وفى جو مظلم تماما يضرب فيه سمك القرموط الماء بقوة وتنتابنى الهواجس والمخاوف ولا أدرى لماذا أستمر فى المخاطرة . وليت الأمر اقتصر على هذا فقد كنت أحب أن أقفز فى أبيار السواقى القديمة المهجورة والتى يقولون عنها إن الجن يسكن فيها.

ففى إحدى المرات وعند فيضان النيل وارتفاع مستوى المياه الجوفية

الخلفى المسرع فى الدوران وارتدت إليّ بقوة أصابتنى أسفل بطنى وقعت بعدها على الأرض أتلوى من الألم فهل وعيت الدرس ؟. لا لم أع ولم أرتدع لأن الأطفال عادة ينسون ويكررون أخطاءهم.

وفى مرة أخرى تجرأت على قوة أكبر وأمسكت الزلط وضربت به زجاج نوافذ القطار الذى يمر أمامى مسرعا وأنا لا أدرك أن هذا العمل سيلحق الأذى بالركاب.

بقى أن أتحدى بطريقة استفزازية عنيفة ، فقد جلست فى وسط طريق السيارات انتظر قدوم أية سيارة لأتحداها بطريقة مثيرة غريبة ، غير عابئ ، بتحذير السائق وإطلاق صوت النفير، ولا أقوم من مكانى إلا حينما أرى الخطر سيحيق بى وتقترب منى السيارة وأشرف على الهلاك .

والغريب فى الأمر أن هذه الأفعال كانت عندى عادية وليست مستهجنة ، وأتعجب الآن من طريقة تفكيرى فى تلك المرحلة . وأزيدكم عجبا .... فبعد انتهاء الدراسة وأنا فى طريقى إلى البيت أخلع ملابسى وأقفز فى الرشاح وأسبح فى مائه الملوث تحت قنطرة السكة الحديد لأعبر إلى الناحية الأخرى ، علما بأن سطح الماء بينه وبين سقف القنطرة المواجه للماء لا يزيد عن ربع المتر فى بعض الأحيان ، ويجب على فى هذه الحالة أن تظل رأسى مرفوعة فى هذا الربع متر حتى العبور إلى الجانب الآخر ، وفى جو مظلم تماما يضرب فيه سمك القرموط الماء بقوة وتنتابنى الهواجس والمخاوف ولا أدرى لماذا أستمر فى المخاطرة . وليت الأمر اقتصر على هذا فقد كنت أحب أن أقفز فى أبيار السواقى القديمة المهجورة والتى يقولون عنها إن الجن يسكن فيها.

ففى إحدى المرات وعند فيضان النيل وارتفاع مستوى المياه الجوفية

فى السواقى حتى سطحها عبرت من تحت قنطرة إحدى السواقى، فاصطدم حاجبى بحجر وأنا فى الماء وسال الدم منه، وكذبت على والدى بأننى تعثرت فى حديدة ووقعت على وجهى ، بالرغم من أنه حذرنى مرات من الاستحمام فى السواقى ، وحكى لى قصصا عن الجن الذى يسكن السواقى والأولاد الذين ماتوا فيها، ومع ذلك كان الكلام يدخل أذنى ويخرج من الأخرى ، بل ويزيدنى شوقا إلى التحدى ، وبعد كل هذا كنت أصاب بالبلهارسيا وينزل دم كثير عند التبول ، فأذهب كل إجازة صيفية إلى مستشفى البلهارسيا فى بنها والتى كانت مبنية من الخشب وآخذ كل يوم حقنه ثم أعود إلى بلدتى أجهور الرمل مشيا على الأقدام ، وتتاح لى بذلك فرص كثيرة لأن ألهو وألعب بأيه طريقة .

ولما كنت مغرما بالاستحمام فى الماء – أى ماء – فإننى تعلمت السباحة ، وقررت فى إحدى المرات وأنا راجع من المستشفى أن أعبر نهر النيل وهو فى حالة الفيضان.

▪ التحدى الأكبر

كان النيل يفيض صيفا حتى يمتلئ عن آخره ويهدم الجسور التى يقف عليها فى بعض مناطقها حراس ليردموا أى ثغرة محتملة ، لأنه لو حدث تهاون مع أى تسرب بسيط فان الجسر كله سينهار أمام ماء الفيضان فتغرق كل الدلتا .

ومع هذا الفيضان السنوى تمتلئ الأراضى القريبة من النهر بالماء وترتفع المياه الجوفية.فى كل أراضى الدلتا وتغرق الأراضى المنخفضة فى مياه باطنية متسربة من النيل – وكانت بلدتنا أجهور الرمل تمتلئ فى أماكن كثيرة بالماء وتصبح بركا – وكان ماء النهر عند الفيضان يميل لونه إلى

فى السواقى حتى سطحها عبرت من تحت قنطرة إحدى السواقى، فاصطدم حاجبى بحجر وأنا فى الماء وسال الدم منه، وكذبت على والدى بأننى تعثرت فى حديدة ووقعت على وجهى ، بالرغم من أنه حذرنى مرات من الاستحمام فى السواقى ، وحكى لى قصصا عن الجن الذى يسكن السواقى والأولاد الذين ماتوا فيها، ومع ذلك كان الكلام يدخل أذنى ويخرج من الأخرى ، بل ويزيدنى شوقا إلى التحدى ، وبعد كل هذا كنت أصاب بالبلهارسيا وينزل دم كثير عند التبول ، فأذهب كل إجازة صيفية إلى مستشفى البلهارسيا فى بنها والتى كانت مبنية من الخشب وآخذ كل يوم حقنه ثم أعود إلى بلدتى أجهور الرمل مشيا على الأقدام ، وتتاح لى بذلك فرص كثيرة لأن ألهو وألعب بأيه طريقة .

ولما كنت مغرما بالاستحمام فى الماء – أى ماء – فإننى تعلمت السباحة ، وقررت فى إحدى المرات وأنا راجع من المستشفى أن أعبر نهر النيل وهو فى حالة الفيضان.

▪ التحدى الأكبر

كان النيل يفيض صيفا حتى يمتلئ عن آخره ويهدم الجسور التى يقف عليها فى بعض مناطقها حراس ليردموا أى ثغرة محتملة ، لأنه لو حدث تهاون مع أى تسرب بسيط فان الجسر كله سينهار أمام ماء الفيضان فتغرق كل الدلتا .

ومع هذا الفيضان السنوى تمتلئ الأراضى القريبة من النهر بالماء وترتفع المياه الجوفية.فى كل أراضى الدلتا وتغرق الأراضى المنخفضة فى مياه باطنية متسربة من النيل – وكانت بلدتنا أجهور الرمل تمتلئ فى أماكن كثيرة بالماء وتصبح بركا – وكان ماء النهر عند الفيضان يميل لونه إلى

الاحمرار لاحتوائه على كمية كبيرة من الغرين والطمى الذى يأتينا به النهر من هضبة « الحبشة » ونظرا لأننى قررت عبور النهر الذى يفور بالماء فإننى اخترت منطقة بعيدة عن مساكن « كفر الجزار » ... تلك القرية الصغيرة التى تقع فى مدخل كوبرى بنها، وكانت تابعة لمحافظة المنوفية، وصارت الآن جزءاً من مدينة بنها محافظة القليوبية ، هذه المنطقة التى اخترتها بعيدة عن المساكن والتى سأبدأ منها العبور... يقابلها على الشاطئ الآخر الأراضى الزراعية، واستجمعت كل قواى حتى أنجح فى هذا التحدى ولتكن النتيجة ما تكون ، لكن إحساسى الأكبر يشعرنى بالنجاح وأننى سأتغلب على كل الصعوبات . وفعلا خلعت ملابسى ووضعتها على الشاطئ دون حراسة وكان من الممكن أن يأخذها أحد المارة وليس معى رفيق يشجعنى ، وانطلقت أسبح فى الماء لكن التيار كان شديدا فى الوسط ويدفعنى بعيدا عن المنطقة المقابلة للشاطئ الآخر.

ومع ذلك صممت على المقاومة والعبور وهيهات .. إنه الفيضان ولا شيء يتحداه، فالأمواج تدفعنى وتنحرف بى ، والمسافة تطول وأنا أنحرف مرغما مع الأمواج حتى بدأت قواى تضعف ولا أحد يرانى على الشاطئين ، فلا يظهر على سطح الماء سوى رأس صغير بين الأعشاب وأفرع الموز التى يجرفها النهر . ولو رآنى أحد أيدرك أننى منهك القوى وأشرف على الغرق ؟! وهل بإمكان أحد أن ينقذنى فى هذا الخضم ؟.

لابد أن أعتمد على نفسى بعد الله ولا شيء غير هذا ، لأننى بغير ذلك سأموت وبالرغم من تقلص عضلات ذراعى وساقاى لكن لابد لهذه العضلات أن تعمل بأية وسيله ، ولابد أن أسبح حتى أنجو . وطال الطريق وطال الزمن ولكنى لم أستسلم ، فالشاطئ الآخر قريب منى وليس بينى

وبينه سوى أمتار ، غير أن رجلاى وذراعاى رفضتا الحركة فماذا أفعل أنى سأموت لا محالة والشاطئ الآخر أمامى؟

إذن لا مفر من هز جسمى فى الماء حتى لو توقفت أطرافى ، فالشاطئ أمامى يبعث فى الأمل ، ولا أدرى كيف أعاننى الله وسبحت هذه الأمتار ، ثم ألقيت بجسدى على الشاطئ الآخر مسترخيا مغمض العينين على مدار الساعة تقريبا . بعدها استرحت تماما ونسيت ما قد حدث، والآن ملابسى على الشاطئ الآخر لا أراها فكيف لى بها حتى لا أتأخر فى العودة إلى قريتى ؟. يمكن أن أذهب إلى كوبرى بنها القريب منى وأعبره حتى أصل إلى ملابسى وأنا عار تماما ولا شيء يسترنى ، لكن كيف أسير بين الناس بهذه الصورة الفاضحة؟ يا للمصيبة! ما الذى دفعنى إلى هذا القرار السخيف؟! ألم يكن عندى عقل حين فكرت فى هذه المغامرة غير المحسوبة ؟.

أنا الآن جالس على الشاطئ « زلط ملط » وشمس الصيف بعد الظهر تلسعنى فماذا أفعل؟ فكرت وطال تفكيرى ووجدت أنه ليس أمامى إلا العودة كما بدأت وبنفس الطريقة ، لأننى استفدت من الجولة الأولى فيمكننى أن أعبر النهر هذه المرة بجهد أقل كيف ذلك؟ نزلت إلى الماء بعد راحة طويلة ، وبدأت السباحة وحينما بعدت عن الشاطئ تركت نفسى مع الأمواج لا أقاومها بل أسير معها بانحراف نحو شاطئ العودة حتى وصلت إليه لكن بعد أن استنفذت تماما كل ما بقى فى جسمى من طاقة ، وعندئذ خرجت من الماء وسرت على الشاطئ راجعا حوالى الكيلو متر حتى وجدت ملابسى التى ارتديتها بسرعة وتوجهت فورا وبلا تلكؤ سيرا على أقدامى نحو قريتى ، ولم أعبأ فى طريقى بكل المغريات التى كنت أغرم بها فى المرات السابقة ، فقد كان البطيخ يملأ الطريق وسعره رخيص يجعلنى أتجرأ على شراء واحدة فلن أدفع سوى نصف قرش تعريفة وكانت أغلى

بطيخة لا تتعدى ثلاثة قروش، لكن لا وقت لكل هذه المغريات فالحمد لله الذى نجانى ويجب أن أعود فورا حتى لا يشك أحد فى أمرى .

ولكن لماذا كل هذه المغامرات التى قد تكلفنى حياتى؟ هذا السؤال غير وارد على ذهن الأطفال ولم يقترب من عقلى آنذاك وهو سؤال لا يصدر إلا عن رجل مدرك ومجرب . والطفولة لا تعرف كل هذا التعقل وهذه الحنكة وإلا لما كانوا أطفالا ولما نمت أجسامهم وتوردت ملامحهم ، فإذا كنت قد تجرأت على عبور النهر أيام الفيضان فهذا يتمشى مع ظروف القرية التى علمتنى السباحة فى الترع والمصارف والسواقى ، فلقد نشأت فى الحقل وعلى شاطئ الترعة التى كانت تفيض مع فيضان النيل ، وكنت أستحم فيها معظم الأيام وأعبرها مرات .

وأجمل ما فى الترعة هو ذلك الطين « الغرين » الذى يملأ جوانبها أيام الصيف حين يأتى به النيل حتى ليكاد يسد الترع فى آخر أيام الفيضان.

▪ منتجع الأطفال:

هذا الطين الناعم اللين كان يدفعنا - نحن الأطفال - أن نغوص فيه ونحن عرايا كأنه لباس من حرير ثم نخرج منه وقد اسودت أبداننا بدهان من الطين ونجرى على شاطئ الترعة ، والشمس ترسل أشعتها إلينا فلا نكاد نحس بها ، ولكى يزداد الجسم صحة وعافية عن غير قصد منا ، فإننا نلقى بأجسامنا على الأرض بترابها الساخن ونتمرغ عليه ونحس بحرارته وهو يلتصق بأبداننا المدهونة بالطين فتتكون على الجلد طبقة سميكة من الطين والتراب سرعان ما تزول حينما نقفز فى الترعة من جديد .

وهكذا نكرر هذه اللعبة فنزداد عافية وحيوية من أثر الطين والتراب

والماء والشمس . أليست هذه هى عناصر الحياة؟!.... أليس هذا هو ما يحدث الآن فى المنتجعات والمصحات العالمية بل وفى أماكن التجميل والعلاج؟.... ، حيث تدهن بشرة النساء بهذا الطين ليزداد نعومة ومع الحرارة لعلاج الأمراض الجلدية والروماتيزمية .... الترعة فى الماضى بهذا الطين كانت أجمل مسبح فى الدنيا وأفضل مصحة فى العالم ، لولا البلهارسيا اللعينة التى توجد فى الماء .

ألست معى أيها القارئ فى أن أجرب مهارتى فى ترعة أكبر .. فى نهر النيل؟!

يا ليت يوما من هذه الأيام يعود ...... ؟

الفصل الثاني

الخروج من القرية

المدرسة مثل المدارس الأميرية بناء على قرار من وزير المعارف الدكتور طه حسين.

▪ الأفندى المحترم:

وبدأت حياتى الجديدة فى المدرسة الابتدائية وارتديت البذلة ذات البنطلون القصير ووضعت الطربوش فوق رأسى الصغير ، وكنت سعيدا بهذه النقلة الحضارية التى تحول دون خلع ملابسى المحترمة ووضعها على التراب والقفز فى الترعة أو الرشاح عند العودة ، فأنا الآن فى نظر المجتمع الأجهورى وفى نظر أمى وأبى أفندى محترم . ولا يجوز أن أهزئ نفسى ، كما أن البذلة جديدة ونظيفة ومدرس الألعاب يفتش يوميا فى طابور الصباح عن النظافة وعن المظهر فلا داعى للعقاب.

▪ مشاكسات الصبيان:

ولكن هل انتهت تماما كل المغامرات ؟ بالطبع لا. فلكل مرحلة ما يناسبها ، فلم تمنعنى البدلة ولم يحجزنى الطربوش أن أزاول طفولتى وأطلق طاقتى ، فالقطار وسيلتنا فى الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى بيوتنا ، فكنا فى الذهاب ننتظر هذا القطار فى محطة عرب الرمل الذى يأتى فى تمام الساعة السابعة صباحا ، ويلزمنا أن نتحرك من بيوتنا الساعة السادسة والنصف تقريبا ، وهذا الوقت شتاءا يعتبر مبكرا ، والظلام ما زالت أثاره على القرية وعلى الطرقات والمزارع والبرد قارس وأرجلنا نصف عارية لأن البنطلون قصير. ولما كنا جميعا لا يملك أحدنا فى معصمه ساعة فإن معرفتنا بالوقت تقديرية ، لذا كان لزاما علينا فى بعض الأحيان أن نقطع المسافة جريا وبأقصى سرعة إذا سمع أحدنا العلامة المميزة لقرب دخول

في مدينة قويسنا

مدرسة المساعي المشكورة هي المدرسة الإبتدائية الوحيدة في مدينة قويسنا وعلى مستوى المركز التي تحصل منها على الشهادة الابتدائية التي تعادل الأن الشهادة الإعدادية ، ولكن قيمتها الوظيفية والاجتماعية أفضل من الثانوية العامة الآن لأن الحاصلين عليها آنذاك كانوا قلة والمجتمع يحتاج إليهم في الأعمال الإدارية .

والمساعي المشكورة جمعية خيرية لإنشاء المدارس بالمنوفية، وأعضاؤها من أعيان ذلك الزمان ورئيسها حين التحقت بها كان أحمد عبد الغفار باشا وزير الزراعة، ومدرستي في مدينة قويسنا يتجمع فيها من أنحاء قرى المركز مَن عنده القدرة على السفر والإنفاق ومن يتفوق في امتحان المسابقة . وبالطبع كان العدد قليلا ، ولم يتخلف والدي عن واجبه نحوي خاصة عندما انتقلت في المدرسة نفسها إلى المرحلة الثانوية، والمصروفات السنوية بها اثنا عشر جنيها .وهذا مبلغ كبير جدا في ذلك الوقت لا يقوى على دفعه سوى الأغنياء ، لأن هذا المبلغ يكاد يعادل الآن اثنى عشر ألفا من الجنيهات فمن أين لوالدي بهذا المبلغ ؟ ولكنه أقدم على هذه الخطوة والله هو المعين .

وبالفعل وبعد معاناة شديدة جمع والدي جنيهات القسط الأول وهي ستة جنيهات — ويا فرج الله لم يدفع سوى هذا القسط ، وما أظن أنه كان سيصمد أمام القسط الثاني — لقد أراد الله أن يكافئ والدي على صبره ومعاناته ، ويعينه على تحقيق أمله ، بأن صدر قرار مجانية التعليم بهذه

المدرسة مثل المدارس الأميرية بناء على قرار من وزير المعارف الدكتور طه حسين.

- **الأفندى المحترم:**

وبدأت حياتى الجديدة فى المدرسة الابتدائية وارتديت البذلة ذات البنطلون القصير ووضعت الطربوش فوق رأسى الصغير ، وكنت سعيدا بهذه النقلة الحضارية التى تحول دون خلع ملابسى المحترمة ووضعها على التراب والقفز فى الترعة أو الرشاح عند العودة ، فأنا الآن فى نظر المجتمع الأجهورى وفى نظر أمى وأبى أفندى محترم . ولا يجوز أن أهزئ نفسى ، كما أن البذلة جديدة ونظيفة ومدرس الألعاب يفتش يوميا فى طابور الصباح عن النظافة وعن المظهر فلا داعى للعقاب.

- **مشاكسات الصبيان:**

ولكن هل انتهت تماما كل المغامرات ؟ بالطبع لا. فلكل مرحلة ما يناسبها ، فلم تمنعنى البدلة ولم يحجزنى الطربوش أن أزاول طفولتى وأطلق طاقتى ، فالقطار وسيلتنا فى الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى بيوتنا ، فكنا فى الذهاب ننتظر هذا القطار فى محطة عرب الرمل الذى يأتى فى تمام الساعة السابعة صباحا ، ويلزمنا أن نتحرك من بيوتنا الساعة السادسة والنصف تقريبا ، وهذا الوقت شتاءا يعتبر مبكرا ، والظلام ما زالت آثاره على القرية وعلى الطرقات والمزارع والبرد قارس وأرجلنا نصف عارية لأن البنطلون قصير. ولما كنا جميعا لا يملك أحدنا فى معصمه ساعة فإن معرفتنا بالوقت تقديرية ، لذا كان لزاما علينا فى بعض الأحيان أن نقطع المسافة جريا وبأقصى سرعة إذا سمع أحدنا العلامة المميزة لقرب دخول

القطار للمحطة ، وهذه العلامة عبارة عن أصوات عالية أشبه ما تكون بصوت جرس كبير وذلك بأن يقوم أحد المسافرين متطوعا بالضرب على عمود التليفونات الحديدى المجوف . لكن إذا تأخر قطار الصباح يوما ما فإننا نتجمهر على طريق السيارات وبحركات طفولية لا مسئولة نحاول أن نوقف السيارات على قلتها - أيا كانت ملاكى أو أجرة أو شاحنة - كى نركب إحداها .

وفى إحدى المرات وأثناء حركتنا غير الواعية صدمت إحدى السيارات الملاكى زميلنا التلميذ عبد الرءوف غالى وسقط على الطريق وتجمهرنا لنحطم السيارة لكن صاحبها غير مخطئ وأقنعنا بضرورة حمل الزميل بأقصى سرعة إلى أقرب مستشفى لإسعافه بدلا من تحطيم السيارة التى لا يوجد غيرها لأداء هذه المهمة . وامتلأت السيارة بنا وبغيرنا وركب فوقها وعلى جوانبها كل من يريد الذهاب إلى قويسنا وصاحبها يقودها بصعوبة وهو خائف منا.

هذه الحركة اليومية مع القطار جعلت بينى وبين القطارات - خاصة القديمة منها - عاطفة تدفعنى الآن فى بعض الأحيان أن أذهب إلى القاهرة لأزور هذه القطارات الصديقة والتى أحيلت إلى المعاش فى مخازن السكة الحديد وفى المتحف الملحق بمحطة القاهرة ، وأقف أمام هذه القاطرات البخارية الصامتة وأمام عرباتها المتهالكة والتى يعلوها التراب وأخاطبها وأناجيها ، وكلى عرفان بالجميل وإشفاق على المصير الذى آلت إليه ، وتقديرا للدور الذى قدمته لى وللناس جميعا فى سالف الأزمان . وبالرغم من صمتها الحزين فإنى أحترمها وأقدم لها الشكر وحسبى الآن أنى أحن إليها وإلى أيامها.

▪ الكمسارى عدونا الأول:

كان كل واحد منا يأخذ مصروفه اليومى من والده أو والدته فى حدود القرش الواحد وهذا منتهى الكرم ، نصف القرش للذهاب ونصف قرش للإياب ، ويطاردنا المحصل « الكمسارى » يوميا من أجل نصف القرش هذا. وأنى له أن يأخذه ؟! إن هذا القرش نصفه لرغيف من الخبز والنصف الآخر للطعمية أو سردينة مالحة.

نجتمع جميعا بعد المدرسة على رصيف محطة القطار فى قويسنا ومعنا هذا الطعام الفاخر نلتهمه ونحن مبتهجون نمزح ونمرح . فهل بعد هذا نتنازل عن هذه الوجبة الشهية وهذا اللقاء اليومى ونعطى ما معنا من نقود للكمسارى ؟! لا وألف لا ، إما الرغيف والسردينة وإما أن تقوم الحرب بيننا وبين الكمسارى عند العودة فى « البخارية » ... وهى قطار مكون من عربتين بدون قاطرة مستقلة ويعمل بالبخار وآخر النهار لا يكون مع أحد منا نصف القرش هذا ، وعلى ذلك لابد من الاستعداد للمعركة مع الكمسارى الذى يضطر فى بعض الأحيان وبسبب حربنا معه أن يخطف طربوش أحدنا ويفركه بين يديه ثم يرميه من شباك القطار، وهذه معركة خاسرة لاشك فى ذلك فالطربوش ثمنه أربعون قرشا والمعركة تدور كلها على نصف قرش وماذا سيقول التلميذ المهزوم صاحب الطربوش عند لقاء والده فى البيت ؟ خاصة وأن ولى الأمر يصعب عليه جدا تدبير مبلغ كهذا فورا ، ولا يمكن أن تذهب إلى المدرسة بدون الطربوش .

وأمام هذه الخسارة الفادحة لا بد من الانتقام عند محطة الوصول بعرب الرمل فننزل سريعا ونذهب إلى مؤخرة القطار ونضغط على زر الطوارئ « الفاكم » فلا يتحرك القطار مهما حاول السائق واستجمع قوة

البخار ، ونظل هكذا والقطار واقف فى المحطة حتى يطاردنا الركاب الذين نزلوا معنا ، وقد يتبرع أحدهم ممن يعرفنا فيبلغ آباءنا فيشتد علينا العقاب من كل جانب وقد نتعرض للخطر وتنزلق قدم أحدنا فيسقط تحت القطار أو بجانبه أثناء الجرى والمراوغة والشجار . وما دامت المعركة وصلت إلى هذا الحد فمن المحتمل أن يدبر لنا كمين فى الأيام القادمة . ونحن فى النهاية عيال نخشى القوة وخاصة إذا كانت من الشرطة. فلنتغيب عن القطار أو الركوب فيه فى الأيام القادمة .

وما المانع أن تكون العودة بعد ذلك يوميا على الأقدام خاصة وأنه ليس أمامنا غير ذلك ، ونمضى فى طريق العودة جماعات ، ولكن الحرب لابد أن تظل قائمة وأن تكون فى أى اتجاه آخر ، كانت هذه الجماعات تتكون من تلاميذ من أجهور الرمل وهم الغالبية ثم من تلاميذ عرب الرمل وبالرغم من أن القريتين متجاورتان كقرية واحدة إلا أن عصبية الانتماء تدفعنا للتقاتل والشجار .

وهذا التقسيم يزكى فينا العصبية ويجعل الفرصة سانحة للقتال خاصة أن الظروف فرضت علينا أن نمشى على أقدامنا يوميا ثمانى كيلو مترات تقريبا ، فعلى بركة الله نترك القطار والكمسارى وهذه الساحة غير المضمونة ونيمم وجهتنا نحو معركة أخرى لعلها تكون رابحة .

إذا مـــا لـــم نجــــد إلا أخانـــا   واحيانـــا علـــى بَكْــرٍ اخينـــا

▪ **الناظر الحازم :**

وفى الصباح نجد أسماءنا قد وصلت إلى ناظر المدرسة الحازم جدا صلاح النحاس وعنده خرزانة طويلة لا تترك كف أحدنا إلا وقد انعقد الدم فى خطوط على سطحه ، كنا نهابه ونعمل له ألف حساب ، ويراقبنا داخل المدرسة وخارجها فلا يصح أن يرسب أى تلميذ فى المدرسة مادام هو ناظرها . ومن أجل أن تظل نتيجة المدرسة فى الشهادة الابتدائية مائة بالمائة كل عام فقد أمرنا جميعا وغالبيتنا من القرى المحيطة أن نسكن فى مدينة قويسنا بجوار المدرسة فى الشهرين الأخيرين قبل الامتحان ، ونحضر إلى المدرسة يوميا فترة أخرى مسائية بعد العصر وحتى العشاء نذاكر دروسنا ونعمل واجباتنا تحت إشراف بعض المدرسين على ضوء مصابيح الجاز « الكلوبات » .

وهذه فرصة أخرى جيدة ننطلق فيها بحرياتنا وشخصياتنا بعيدا عن تحكم الإباء والأمهات فبعد العشاء أو المغرب أحيانا نعود من المدرسة إلى مأوانا حيث يتجمع كل أربعة تلاميذ تقريبا فى حجرة نستأجرها بخمسين قرشا ، ونكون بالنسبة لأصحاب البيت مثل أولادهم . وأثاث الحجرة عبارة عن الطبلية والباجور الجاز الذى نادرا ما كنا نستخدمه والحصيرة وبعض الأطباق ولمبة الجاز التى كنا نذاكر عليها . فلم تكن الكهرباء قد دخلت مدينة قويسنا آنذاك .

وكل واحد منا يساهم بإحضار بعض من هذا الأثاث حسب التوزيع الذى اتفقنا عليه وحسب إمكانيات كل واحد منا . ولأننا كنا صغارا وليس بيننا كبير يتولى قيادتنا ونسمع كلامه فإن المعارك كانت تنشب بيننا لأتفه الأسباب ثم نعود نتصالح بسرعة حتى لا يصل أمرنا صباحا إلى ناظر المدرسة فتكتوى أيدينا بعصاه .

- **قويسنا مدينة نظيفة:**

وكانت قويسنا مدينة نظيفة جدا وشوارعها غير مرصوفة ، لكنها مخططة ومستقيمة وتمر بها عربة رش الماء يوميا . ومحطة القطار التى نركب منها كانت هى الأخرى غاية فى النظافة حيث كان العامل «الفراش» يروى الأشجار بالماء ويقلمها وينظف البلاط ويلتقط القمامة مهما كانت صغيرة . وكان على المحطة استراحة صغيرة من الخشب على الطراز الإنجليزى لا تفتح تقريبا إلا لقاضى المحكمة يأتيها بصحبة الحاجب الذى يحرسه . ويحمل له الحقيبة حتى يركب القطار إلى القاهرة . وكانت هيبة القضاء تصاحبه فلا يسمح لأحد أن يخالطه ولا يتجرأ أحد أن يتحدث معه أو يسامره.

وفى نهاية كل أسبوع يوم الخميس بعد الدراسة يسمح لنا بالعودة إلى بيوتنا ، لنزور أهلنا وتزودنا أمهاتنا بالأرز المعمر والخبز والقُرَص ، ثم نعود يوم السبت إلى المدرسة مشبعين محملين بزاد الأسبوع .

كانت حياتنا بسيطة ، قميصا واحدا وحذاءا واحدا طول العام ، وقد يمتد عمر الحذاء إلى العام التالى أما البدلة فلا يصح مطلقا أن يقل عمرها عن العامين وقد يمتد إلى ثلاثة أو أربع أعوام ، وكل ما سبق « البدلة والطربوش والقميص والحذاء » لا يتعدى ثمنها جميعا الأربعة جنيهات.

وكنا فى المراحل الأولى لا يقدر أحد على اقتناء المكواة الحديدية التى تسخن بوضعها على الباجور وبالطبع المكواة الكهربائية لم تكن قد اخترعت لكنى أريد أن أمحو تكسرات القميص كما لو كان مكويا . خاصة ما ظهر منه من تحت البدلة فأبلل هذا الجزء وأضعه على زجاجة لمبة الجاز وهى موقدة لكى تقوم مقام المكواة ، لكن هذه الزجاجة أحيانا ما تنكسر لأن القميص مبلل وهى ساخنة فأتسبب فى مشاكل تعود عليّ باللوم.

- **حياتنا البسيطة:**

على أن حياتنا البسيطة هذه كانت تظهر بوضوح فى طعامنا فلقد كان يسمح لنا بتناول طعام الغذاء فى المدرسة فيجلس معظم التلاميذ على الأرض المفروشة بالرمل فى جماعات وقد فرد كل واحد منا منديله المحلاوى وظهر منه الرغيف « المطرحة » وقطعة الجبن القريش ، ونبدأ الأكل بشهية وسط المرح الذى يهيمن عادة على الأطفال وهم فى الشكل الجماعى بعيدا عن الآباء . ولا يخجل أحدنا من هذا المستوى البسيط فكلنا متشابهون وليس فينا من أتى بجديد لا نعرفه . هذه البساطة فى المأكل والملبس لابد أن تكون كذلك فى المسكن .

- **الفلاح والجاموسة:**

ففى أحد الأيام وفى حصة اللغة العربية طلب منا أستاذنا محمد عصر أن نكتب موضوعا إنشائيا يصف كل واحد منا مسكنه . وعادة قبل الكتابة يناقشنا المدرس فى الموضوع ويترك الفرصة لبعض التلاميذ أن يتناولوه أمام زملائهم . وجاء دورى لأقف أمام التلاميذ وأصف منزلنا فقلت : إن دارنا تتكون من أربع غرف نعيش جميعا فى غرفة واحدة ونستعين فى الصيف بالمصطبة الواسعة التى تترك فراغا يسمى وسط الدار، وأما الغرف الثلاث الباقية فهى للجاموسة وبقية المواشى ... عندئذ ضحك المدرس وضحك التلاميذ من هذه الصراحة ، ثم علق المدرس قائلا : تعنى فعلا أن الجاموسة لها ثلاث غرف وأنتم جميعا لكم غرفة واحدة ؟ قلت له نعم الغرف الثلاث إحداها لغذاء الجاموسة وهو « التبن » وهو يخزن طول العام ، وأما الثانية فهى لتخزين لبن الجاموسة من أجل عمل القشدة والجبن القريش ، وأما الثالثة فهى عبارة عن حظيرة تبيت فيها الجاموسة والحمار والماعز

والخروف . عندئذ لاحظت الهدوء والاقتناع على وجه المدرس والتلاميذ بل والتعجب لهذه البساطة والصراحة فى تناول الموضوع الذى نعيشه ونعرفه جميعا دون استثناء ، فلم يكن أحد من التلاميذ تختلف حالته عن حالتى ، فجميعنا فلاحون ونعرف هذه الحقيقة ونعايشها فى بيئتنا الريفية ونعلم جميعا أن الجاموسة عصب حياة الفلاح تساعده فى الحقل وتغذيه هو وأولاده بلبنها آخر النهار ، فكيف لا يفضلها ويميزها بثلاث غرف وإلا فماذا يفعل غير ذلك ومهنته التى يعرفها هى فلاحة الأرض .

ومع ذلك لم يكن بيتنا صغيرا فهو مثل أى شقة الآن مكونة من أربع غرف ولكن الذى أضحك التلاميذ هو تناول الموضوع بهذه الصراحة وإظهار حقيقة أن الجاموسة لها الحق فى ثلاث غرف وباقى السكان الآدميين لا حق لهم إلا فى غرفة واحدة . وبعد أن ساعدنى المدرس فى تنظيم الموضوع قدر لى هذه الصراحة وأمرنى بالجلوس .

▪ مدحت بكتاش:

وكما قلت فإن حالتى تتشابه مع كل من يجلس معى فى هذا الفصل بل فى المدرسة كلها فنحن جميعا شركاء فى هذه البيئة إلا تلميذا واحدا كان يجلس فى مقدمة الصف يحاول جاهدا أن يفهم ما أقول بل إنه لا يصدق ما أقول . هذا التلميذ حقيقة ليس شبيها لنا جميعا فى أى شيء ، فى ملابسه أو فى حقيبته أو فى ملامحه أو فى لون بشرته أو حتى فى اسمه ذو النغمة النشاذ بين محمد وأحمد وعلى وعبد الفتاح ، اسم هذا التلميذ مدحت بكتاش ونظرا لأن اسمه غريب على مسامعنا فكنا فى بادئ الأمر ننطقه « مضحك بكتاش » فما معنى مدحت بالنسبة لنا أولاد الفلاحين ، حتى الاسم صعب علينا أن ننطقه أو نفهمه . وكلنا نعرف عنه أنه ابن

المأمور الذى أحيل إلى المعاش . والمأمور قديما كان أعلى رتبة فى المركز وحاكما له ولجميع القرى التابعة له . وكانت له سطوة فلا أظن أن أحدا كان يتجرأ أن يمشى على مقربة منه .

ومن ظاهر هذا الاسم يبدو أنه من أصول تركية تنبئ عنها ملامحه، لكنه كان تلميذا مهذبا مع الجميع وهادئ الطبع .

- **البانيو والبديه:**

وجاء الدور على هذا التلميذ ليصف منزله . ويبدأ يتحدث عن حديقة المنزل وما بها من ورود وأشجار ثم يطوف بنا داخل البيت ليصف لنا حجرة الصالون ، وينتقل بين الحجرات والصالات إلى أن وصل إلى الحمام، فحدثنا عن البانيو والبديه ، وعن كل مظاهر الترف فى الحمام .

والحقيقة كنا جميعا مشدودين إلى كلامه شغوفين بسماع هذه الترنيمات ، لكننا لا نفهم شيئا ولا نتصور ما يقوله وكلنا يود أن يسأله عن هذه الألفاظ الغريبة ... إن بيوتنا ليس فيها صالونات ولا حتى حمامات ، ولا نعرف سوى المصطبة والترعة فماذا يريد أن يقص علينا هذا الزميل ؟ فكما أنه لا يفهمنا فنحن كذلك لا نفهمه لولا أن الظروف وحدت بيننا وجمعتنا فى فصل واحد .

ويشاء الله أن يدعونى هذا التلميذ لأذاكر عنده فى إحدى الليالى وكنا فى هذا الوقت فى السنة الرابعة الابتدائية أى السنة النهائية ونسكن فى قويسنا كما قلت سابقا .

وبيئة هذا التلميذ كانت لا تسمح له أن يختلط بنا أو يصادق أحدا منا، لكن هذا ما حدث ودعانى ولبيت الدعوة وأنا مشفق على نفسى من هذه

الزيارة. لكنى دخلت البيت من باب السور الخارجى ومررت فى وسط الحديقة وتهيأت لأن أشاهد ما سمعت فى الفصل. ولأننى مثل بقية التلاميذ لم أكن أدرك ما يعنيه كلامه لأن لنا حدودا فى التخيل لا يخرج عن بيتنا، وأنّى لنا أن نتخطى مشاهد الريف وبيوته المتراصة إلى هذا العالم الذى يتحدث عنه ؟ لكنى فى النهاية صعدت درجات السلم مع زميلى لأدخل صالة كبيرة من مدخل واسع « وسط الدار » كما نقول ، هذه الصالة رصت على جوانبها الكراسى ووضعت بعض الأرائك وعلقت بعض النفائس ، وجلست إحدى السيدات بين هذه التحف المتنوعة مرتدية أفخم الثياب التى لا أعهدها ، وبالطبع وقر فى نفسى أن هذه السيدة هى والدة زميلى مدحت الذى يصطحبنى ويسير بى كأننا فى متحف للأسرة الملكية. لكنى اضطربت بعض الشيء من ضخامة وتنوع ما أرى، وأشفقت على عقلى أن يدرك ويتصور ويتحول عن الغرف الثلاث الخاصة بالجاموسة إلى هذه المشاهد التى لا عهد له بها ، وكادت رجلاى تخوننى حينما زاد اضطرابى من مفاجأة جلوس والدته فى مواجهة دخولى واقترابى منها .

ماذا أقول لها حين أمر عليها وما هى التحية التى أحييها بها ، وهذه هى أول الطلاسم التى لا أعرفها . هل أقول لها « سل الخير » أى مساء الخير يختصرها الفلاحون فى هذا الوقت ، نعم سأقولها لأننى لا اعرف غيرها وحين حازيتها استجمعت عزيمتى وألقيتها وأنا أمر سريعا ، ولم أنتظر حتى أسمع الرد بل لم أتبين إن كانت ردت علىّ أم لم ترد ، لكننى أعتقد أنها تصورت أننى أقول لها مساء الخير وأنها قد ردت بصوت منخفض ، ودخلت بعدها مع زميلى فى حجرة واسعة جدا تتوسطها منضدة كبيرة ، حولها التماثيل والتحف على أبعاد متساوية ثم جلست مع زميلى لأذاكر معه لكن ذهنى كان منصرفا عنه إلى ما حولى أحاول أن أفهم ، أحاول أن

أتصور، أحاول أن أتعايش ، إنى فى حلم حتى انصرفت من عنده إلى زملائى فى الحجرة التى استأجرتها بخمسين قرشا وكان ذلك فى عام ١٩٤٩م ، وحكيت لزملائي ما رأيت بين ذهولهم ودهشتهم.

ولنعد ثانية إلى المدرسة فهذا حلم لن يعود ولا فائدة من الأحلام لأنها بعيدة عن الواقع .

انتقلت من الصف الرابع الابتدائى إلى الصف الأول الثانوى فى عام ١٩٥٠ وحصلت على الشهادة الابتدائية وأصبحت من حملة المؤهلات المعدودين فى القرية ، ولأن المدرسة تتبع جمعية المساعى المشكورة فإن المصروفات السنوية فى القسم الثانوى كانت اثنى عشر جنيها وهذا مبلغ كبير فى ذلك الوقت لا يقوى على دفعه إلا الأغنياء كما قلت سابقا فمن أين لوالدى بهذا المبلغ وهو يتعثر سنويا فى الإنفاق على أسرته ويتراكم دينه سنة بعد أخرى . وهذه السنة بالذات حمل ما أنتجته أرضه من القمح إجباريا إلى شونة الحكومة وحمل الأكياس ووضعها على الميزان ولكن الرجل الذى يتفحص جودة القمح خيب ظنه وكتب فى خانة الجودة أن الغلة « ممسوسة ٥٠٪ » معنى هذا أن السعر سينخفض بنسبة كبيرة ، ولما علم والدى بما كتب علت وجهه الكآبة وبدأ يحدث نفسه بحزن. لكنه فى النهاية رضى بما قسمه الله خاصة وأنه لا يستطيع مثلا أن يرشى أو يفعل أى شيء مع أى موظف لكى يساعده.

لقد ضاقت عليه الدنيا فلماذا لا يكتفى بالشهادة الابتدائية ويخرج ابنه من المدرسة ليحصل على أية وظيفة بهذه الشهادة فيما بعد ، فيتخفف من أعبائه ، وقد يساعده ابنه بقدر من المال يعينه على تربية باقى الأولاد ؟ ولم يكن والدى يحسب الأمور بهذه الطريقة ، فقد كانت عاطفته معى فى أن

أتعلم وأكون من بين المتعلمين فى بلدتنا . أما سداد المبلغ علىٰ قسطين فالله هو المعين ... وبالفعل وبعد معاناة شديدة أخذ فى جمع وتسديد القسط الأول حتى أتى الله بالفرج وكافأ والدى وأصبح التعليم فى هذه المدرسة مجانيا .

- **المدرس أيوب:**

كان النظام فى هذه المدرسة فى غاية الدقة وكان المعلمون على قلب رجل واحد فى أداء مهمتهم حتى العمال « الفراشين » كانوا كذلك وانتظمت فى الصف الأول الثانوى وداخلنى شعور بأننى أصبحت كبيرا بل أصبحت متعلما وكيف لا وأنا أحمل الشهادة الابتدائية .

وكان هذا الشعور يلازم زملائى كذلك ، لكن المدرس أيوب كان له رأى آخر فنحن فى نظره فى بداية الطريق ويمازحنا بأننا ما زلنا جهلة ، فنشتعل احتجاجا كيف نكون جهلة ونحن نحمل الشهادة الابتدائية؟ فينظر إلينا بابتسامة لها دلالتها ويبدأ درسه . كنا معجبين بهذا المدرس الذى يأتينا يوميا من القاهرة وكان أنيقا جدا ويلبس أحدث الملابس وأغلاها، وفى أحد الأيام وجدناه يشد وسطه بحزام أبيض شفاف مثل الزجاج ، كيف والزجاج لا ينطوى ولا ينثنى ؟ وأحس هو أننا مشدودون إلى الحزام لا إلى شرح الدرس فابتسم ابتسامته المعهودة وغطى حزامه وبدأ يواصل الشرح ، وعرفنا بعد ذلك أن هذا الحزام « نايلون » ولبسنا جميعا هذه الأحزمة النايلون بعدها بسنوات قليلة حيث انتشرت وبأسعار تناسبنا .

وإذا كنت قد تخطيت المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية فهذا يعنى أننى قد تخطيت كذلك كل ما سردته من أحداث عن الطفولة وعن بساطة الريف إلى مرحلة النضج والمواجهة وتكوين الرأى والانفتاح على

المدينة بما تحوى من صور وأوضاع مغايرة . ولأن النتائج تأتى بعد المقدمات فإننى أعود ثانية إلى مرحلة الطفولة لأحكى قصة حياتى من زاوية أخرى، تلك الزاوية التى استويت عليها وأهلتنى بعد ذلك لأدخل المعترك السياسى والتى على أساسها اخترت طريقى.

الفصل الثالث

قصة الأجاهرة

قصة الأجاهرة

تحدثت قبل ذلك عن البيئة وأثرها على الإنسان ، وكنا صغارا نتأثر كثيرا بهذه البيئة الريفية التى عودتنا على الخشونة والتحمل ، كما بعثت فينا روح الجرأة والإقدام ، فجعلتنا على مراحل حياتنا نتقدم الصفوف عند الشدائد سواء كنا صغارا أو كبارا .

وانطلقنا نؤدى دورنا بحماس ونستدعى فى الملمات ونطلب عندما يحتدم الأمر ، وما تأخر أحدنا عن مشهد فيه يظهر معدنه وتتجلى فيه رجولته ، وما تخلفنا مرة واحدة عن أن نكون أول الملبين وأول المندفعين . نتفاوت فى الأداء ونتفاوت فى القدرة لكن يجمعنا شعور بأننا فى خندق واحد وأننا على طريق واحد ... وأننا فى النهاية « أجاهرة » ... هذا الاسم الذى دائما نعتز به والذى أطلقه علينا إخواننا في السجون ، فإذا قيل الأجاهرة فمعنى ذلك كل الصفات السابقة وأنهم مطلوبون لأداء عمل يتطلب هذه الصفات ، وكان رائدنا فى هذا هو الحاج عشماوى سليمان هذا الرجل بعصاه كان دائما يهاجم ولا يدافع ، ويَضرِب ولا يُضرَب ، وينتصر للحق بأى ثمن مهما كانت القوة التى أمامه ، ولذلك كنا نحبه ويحبنا ويستدعينا معه ونفرح لنصرته ونعتز بأننا من حزبه .

- **الحاج محمد أبو السعود:**

بداية الأجاهرة عندما كانوا صغارا ، خرجوا من قريتهم إلى مدينة قويسنا للالتحاق بمدرسة المساعى المشكورة الابتدائية . وكان بالمدرسة

مدرس شاب اسمه الحاج محمد أبو السعود ، حج إلى بيت الله وهو شاب ، وكان محترما بين زملائه ويظهر على وجهه السماحة والهدوء تعلوه الهيبة والوقار فقد اقترن اسمه مبكرا بلقب « الحاج » .

هذا المدرس كان ضمن جماعة الإخوان المسلمين ومن الأوائل الذين شربوا من الأستاذ حسن البنا . ولأنه صاحب رسالة فقد استرعى انتباهه هؤلاء الصغار القادمون من أجهور الرمل والذين تجمعهم صفات تكاد تكون مشتركة .

وبدأ العام الدراسى ١٩٤٦-١٩٤٧ وبدأت أنا من الصف الثانى بامتحان مسابقة ، وبدأت مواهبى تظهر فى مادة الرسم مما جعلنى مقربا عند الحاج محمد أبو السعود مدرس التربية الفنية ، وشيئا فشيئا بدأ يتحين الفرص ويتحدث إلينا عن الإسلام والسلوكيات التى يجب أن نسلكها كمسلمين ، وكنا منبهرين بشخصيته نستمع إلى حديثه بتشوق . وعن طريقه عرفنا شعبة الإخوان المسلمين فى قويسنا حيث نذهب كل خميس بعد الدراسة لنجد فى انتظارنا الأستاذ جمال إبراهيم الذى يعمل موظفا بالنيابة ، فنسمع منه القرآن والحديث ونتفق على حفظ بعضها ويسمعنا كذلك سيرة الصحابة وأخبار العالم الإسلامى ، وكان جادا معنا مثابرا على الحضور يتدرج معنا برفق وينزل إلى مستوانا الصغير ويتناغم دوره مع أداء الحاج محمد أبو السعود فى المدرسة .

فى هذا الجو الممتع يطالعنا ثلاثة فى أبهى منظر يدعو للتوقف والاحترام ويفرض علينا بل على جميع الناس فى أنحاء مركز قويسنا الاستماع إليهم والثلاثة على خط واحد يلبسون « البدلة والطربوش » وعليهم الوقار مع شيء من عظمة هذا الزمان .

إذا تحركوا في أي اتجاه فإن طلعتهم مهابة والناس يفسحون لهم الطريق. ونحن الأجاهرة الصغار ألا نفخر ونعتز بأن هذه الكيانات الكبيرة تجالسنا وتتحدث إلينا ؟!! لقد نزلوا إلى القرى يخالطون الناس ويتحدثون معهم .

لكن الناس كانوا يعجبون من أمرهم ومع ذلك كانوا ينصتون إليهم بشغف ، لقد تعود الناس أن يكون واعظهم بعد صلاة الجمعة شيخ معمم متخرج من الأزهر ، أما هؤلاء فما علاقتهم بالوعظ والإرشاد ؟ الوظائف في ذلك الزمان كانت قليلة والذى يلبس البدلة والطربوش فهو « الأفندى المحترم » المسموع الكلمة وخاصة إذا كان يشغل إحدى الوظائف الكبيرة التى لها علاقة بحياة الناس . والثلاثة كانوا كذلك .

الأول هو الأستاذ عبد المنعم عطية رئيس « شعبة الأخوان المسلمين في قويسنا ويعمل فى بنك التسليف فى موقع مهم ، وكل تعاملات الفلاحين بخصوص أرضهم لا بد أن تمر من خلال هذا البنك سواء كانت فى التقاوى أو الأسمدة أو توريد المحاصيل وقبض ثمنها إلى غير ذلك، والأستاذ عبد المنعم عطية لا يجيد الخطابة ولا يتحدث كثيرا لكنه كان صاحب همة عالية ويجيد الإدارة ويصطحب فى حركته طولا وبدنا ممتلئا قليلا داخل بدلة أنيقة وطربوش أحمر على رأسه ، وهذا يكسبه هيبة وعزا أمام الناس. وقد رأيته بجسمه الممتلئ يجري معنا في السجن الحربي في ليلة طويلة حتى سقط على الأرض ، والعسكري يشبعه ضرباً حتى ينهض ، والرجل لا يتمكن حتى من الكلام ، فيرفع يده إلى العسكري يستعطفه ، والعسكري بدوره لا يفهم لغة الاستعطاف ، ويستمر في ضربه.

أما الثانى فهو الأستاذ محمد شديد الذى يعمل فى النيابة بوزارة

العدل. وكلمة النيابة كانت تخيف الناس آنذاك وحتى الآن ، لكن صاحبنا كان ظريفا لطيفا وسيما متواصلا فى الحديث صاحب وقفات واستنتاجات ، يحرك يديه بابتسامة ويدفع بطربوشه إلى الإمام فيزداد حلاوة وشبابا، وإلى الخلف فيزداد هيمنة وتمكينا على مستمعيه .

أما الثالث فهو الأستاذ عبد الرزاق أمان الدين صاحب النبرات القوية المؤثرة والعبارات المسترسلة والمعانى المتدفقة والاستشهادات المتوالية واللحية المهابة والقامة المعتدلة .

وعلى قدر إيمانه العميق بالدعوة ، وموقعه القيادي بين الإخوان ، ابتلي ومرّ بامتحانات قاسية في السجون المصرية . فحينما كان في سجن ليمان طرة افتعلت أجهزة الدولة السياسية والأمنية أسباباً لضرب الإخوان بالرصاص ، والإخوان لا حول لهم ولا قوة لأنهم داخل الزنازين ، وأجمعوا أمرهم وجمعوا جنودهم وصوبوا رصاصهم نحو الضعفاء داخل الزنازين ، وكانت الحصيلة النهائية واحد وعشرين شهيداً وعدداً كبيراً من الجرحى. ولم يتحمل الأستاذ عبدالرزاق أمان الدين هول المشهد ، وهو أحد المسئولين عن الإخوان في السجن ، وإحساسه بالمسئولية عن هذه الأرواح أمام الله إن فاته صواب الرأي والاجتهاد ، لم يتحمل حجم المصيبة فأصابته حالة نفسية ظلت تلازمه طوال فترة السجن ، لكن قدره كان معه على موعد آخر في امتحان أكبر ، فقد عذبه زبانية عبدالناصر في السجن الحربي سنة ١٩٦٥ لأنه كان مسئولاً عن الإخوان قبل ذلك في سجن القناطر الخيرية .

هؤلاء الثلاثة كانوا زوارنا فى بعض الجلسات وفى قريتنا أجهور الرمل. وبين الحين والحين نكون ضيوفا على الحاج فؤاد علام وهو يعمل أيضا فى بنك التسليف وهو رجل دمس الخلق يعمل فى صمت ، أنيق فى

مظهره دقيق فى خطواته ، يحب العمل التربوى ويجيده . وشتان ما بين فؤاد علام هذا من عزبة العلامية مركز قويسنا صاحب الهمة الرفيعة والخلق النبيل والنظرة المستقبلية المرتبطة بالآخرة والعلاقة مع الله سبحانه وتعالى .. وبين فؤاد علام الجلاد من قرية ميت خاقان مركز شبين الكوم ، هذا الذي التحق بركب المجرمين ، وفتن المؤمنين والمؤمنات ، وعذب وقتل أصحاب الدعوات ، وبالرغم من أن آخرته قد اقتربت فإنه لا يزال يعاند ويكابر وهو يتحدث في القنوات الفضائية ، كما عاند أبوجهل من قبل حتى وهو في سكرات الموت ، يا ليته يقتنع ويعترف في الدنيا قبل أن يعترف في الآخرة رغم أنفه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [1] والرسول يحذر هؤلاء فيقول: « **دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت ....** » .

وبين كل هؤلاء الآباء كان الأجاهرة الصغار يخطون خطواتهم الأولى فى طريق الدعوة الإسلامية، يشربون من هذا وينهلون من ذاك ، يرتعون فى أحضان الآباء ويستمعون بحيوية الشباب من الذين سبقوهم بخطوات فى هذا المضمار . وكان يقود هذا الشباب الأخ السيد ورد الطالب بكلية دار العلوم حيث كان يعيش وحيدا فى بيت بسيط له فناء رملى واسع ، وكان على قدر كبير من الذكاء فى تجميع الشباب وتربيتهم فى هذا البيت ، يساعده فى ذلك بعض من الطلبة الذين نضجوا فى فهمهم وسنهم وكانوا أمثلة طيبة لغيرهم ويحضرنى منهم « مصطفى شعراوى ومحمود شعراوى وعبد الشافى الطورى وعز الدين شلبى ومحمود نصار وفتحى عبد المجيد »

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤٢.

أما الأخ عبد المنعم سعيد فكان موظفا لا يلقانا إلا باشًا ضحوكا تصاحبه النكتة والدعابة مثل الصحابى « أبى نعيمان » وكنا بحكم سننا الصغير نحب أن نسمع منه أو يزاول نشاطه الدعابى معنا، ولقد ظل يداعبنا صغارا وما زال يداعبنا كبارا حتى لقى الله تعالى.

لم تكن البيئة التى عشت فيها محدودة بهذا العدد الذى ذكرت وإنما فقط ذكرت الذين كانت لهم علاقة بنا نحن الأجاهرة الصغار بل وكان لهم دور فى تربيتنا ومصاحبتنا ، أما المحيط الذى كنا نتجول فيه فكان واسعا ورحبا تخطى حدود المركز وقراه إلى شبين الكوم وبنها وما جاورهما من القرى والمراكز على امتداد فترات التربية .

▪ الحاج عبد الخالق يوسف:

وكان بمدرسة المساعى عامل « فراش » ... اسمه الحاج عبدالخالق يوسف من قرية عرب الرمل فلاحظنا أن هذا الرجل بالرغم من أنه عامل بسيط إلا أن له هيبة فى المدرسة ، وجميع المدرسين يعاملونه باحترام بل ويتهيبون منه فى بعض الأحيان ، وهو بالتالى كان شديد الاعتزاز بشخصيته كرجل مسلم لا يداهن ولا يمارى ، جرئ يقذف بالحق لدرجة الخوف منه ، فهو لا يعرف ما بين السطور وتخرج الكلمات من فمه واضحة قوية سمح بها ذهن صافى وفطرة نقية ، وتهتز لحيته من الغضب إذا انتهكت حرمات الله . وكان يقول : « مَن استُغْضِبَ فلم يغضب فهو حمار » .

ملامحه بارزة وقسماته واضحة يغطى رأسه بقماش أبيض يتدلى على كتفيه كأنه فارس من البادية، وحينما يحتدم الأمر .. وكأنى به يقول دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، وأتخيله أنه واقف بجوار سيدنا عمر أمام رسول الله وأنه قادم من هناك فى هذه اللحظة . فهو صحابى تأخر به

الزمان . هذا الرجل كان صادقا مع نفسه ومع الله فحينما ظهرت بوادر الحرب « الفلسطينية » مع اليهود سنه ١٩٤٨ كان أول الملبين. خرج من قريته عرب الرمل ومعه ابنه وبعض من أقاربه حينما سمع نداء الأستاذ الشهيد حسن البنا للجهاد فى فلسطين .

وانتظم هو ومن معه ضمن الدفعات الأولى التى ذهبت إلى ميدان القتال ، وهناك أبلى بلاء حسنا ، ثم عاد بعدها إلى قريته بدون ابنه الذى استشهد فى أحد المعارك ، ولما ضاقت به مصر حينما بدأ اعتقال الإخوان المسلمين سنه ١٩٥٤ ولأنه رجل متوكل على الله ذهب إلى مدينه السويس وليس معه إلا القليل جدا من النقود التى لا تكفى طعامه إلا أياما معدودة ، ومن هناك ركب الباخرة مع الحجاج دون أن ينتبه إليه أحد ودون أن يكون معه حتى جواز سفر أو أيه أوراق تدل عليه – وكان الله معه حتى نهاية الرحلة ، وفى الأراضى الحجازية حصل على الجنسية السعودية وأكمل مشوار حياته هناك حتى توفى بها .

وإذا كان الحاج عشماوى سليمان بأسلوبه القوى فى الدعوة قد اجتذبنا وأصبحنا شعوريا نتمى إلى طريقته فإن الحاج عبد الخالق يوسف كان إماما لنا فى الجهاد والتضحية والفداء ، وكلا الرجلين كانا لا يجيدان التربية ، ولكنهما فقط معالم فى الطريق ، يتجمع الناس حولهما لأنهما نماذج فذة تفرض وجودها وتملى على غيرها .

بالرغم من أن الحاج عبد الخالق لم يكن من أرباب الشهادات إلا أنه كان خطيبا مفوها ويشمر عن ساعديه ويختم القرآن فى صلاة القيام ، ونسمع منه الآيات ونحن وراءه كأنها آتية من الزمن البعيد وأنزلت علينا كما أنزلت على الصحابة من قبل.

هؤلاء هم الرواد الذين شربنا منهم وهذه هى البيئة التى تربينا فيها وهذه هى الظروف التى جعلتنا نسير فى هذا الطريق الصعب ، كان كل شيء حولنا يدفع بنا إلى التميز ويأخذ بيدنا بعيدا عن متاهات الشباب.

▪ أول شعبــة عام ١٩٤٧

فكرنـا ونحـن صـغار أن يكـون لنـا كيـان مسـتقل ، أى أن يكـون فـى أجهور الرمل مقر نجتمع فيه ونستقبل فيه أيضا زوارنا من الشعب الأخرى ، واستأجرنا غرفة بخمسين قرشا ندفعها كل شهر بصعوبة وكانت هذه الغرفة فى بيت أبو خلاف لها باب مستقل على الشارع فى مواجهه ضريح الشيخ يوسف الظهار ، وتكرم علينا صاحب البيت بمنضدة صغيرة ضمن الإيجار وضعنا عليها « لمبة الجاز نمرة ١٠»

ولكن هذا الأمر لم يدم طويلا وتأخرنا عن دفع الإيجار مما دعا صاحب البيت أن يغلق باب الحجرة فى وجوهنا ويستولى على لمبة الجاز ، ونظرا لأننا جميعا فى سن واحدة تقريبا حوالى ثلاث عشرة سنه فلنترك أمر المقر مؤقتا حتى يشبُّ عودنا وتنضج مفاهيمنا ونتحمل المسؤولية ويكون بيننا من هو أكبر منا يحسم خلافاتنا ويجمع أمرنا ، وبعد فترة من الزمن رزقنا الله بهذا الكبير وهو الأستاذ السيد الشيخ المدرس بمدرسة القرية ، فقد أعجبه جمعنا فانضم إلينا ، لكننا بعد فترة جعلناه رئيسا علينا ، فهو على شاكلتنا أجهورى الطباع مثلنا ، وعنده القدرة على نحمل تبعات أعمالنا، وقد بدا أمامنا فى تصرفاته أنه رجل بمعنى الكلمة جريء فى الحق ، شاب ذو فتوة وعنده من الشهامة والقدرة على المواجهة ما يكفى أن يقف فى مقدمة صفوفنا خاصة أنه يملك بيتا كبيرا يؤوينا إذا دعت الضرورة وأن فى هذا البيت زوجته « الست أم فاروق » احتسبتنا أولادا لها مع أولادها، لم يكن

هذا الرجل يتأخر عن نصرتنا فى أحلك الظروف وفى كل المواقع .

ويوما بعد آخر كان يسابقنا فى المواقف التى تدل على صدق النية وحسن الأداء وإخلاص العمل لله . ففى بعض الأحيان وعندما تحدث أى مشكلة أو يقع أى خطأ فى العمل نجلس لنحاسب أنفسنا ونراجع تصرفاتنا وكان لا يظهر عليه الضيق إذا وجهنا له اللوم كما نوجه لأحد منا بالرغم من فارق السن بيننا وبينه . وقد ظهر معدنه الأصيل حينما دخل السجن وخرج مع الإخوان فى سجن طرة إلى الجبل لقطع الأحجار وحملها ، حيث كان يتسابق لحمل الأحجار الكبيرة تخفيفا عن إخوانه ويشاطره فى هذا السباق أخ له اسمه محمد الشيخ حيث كانا يتصدران كل المجابهات مع ضباط السجن ويقومان بالأعمال الثقيلة مع بقية الفرسان من الإخوان المسجونين ، رحمهما الله ورحم الجميع وجمعنا بهم كما اجتمعنا فى الدنيا فى جنات النعيم .

وفى هذا المجال لا أنسى كذلك رجلا من رجالات عرب الرمل هو الأستاذ صلاح حسن الذى كان له الفضل الكبير فى تهيئة الظروف أمامنا وإتاحة الفرصة أن نلتقى عنده على « حرف البركة » حيث يقدم لنا بعض الطعام مع بعض الإرشادات والنصائح ، ويساعدنا ماديا ومعنويا ، وباعتباره وجها مقبولا فى القوم كنا نرجع إليه ونلجأ إلى داره فيشملنا بأبوته ويسعدنا بأخوته .

وكانت هذه فرصة لنا أن نجعل من القريتين أجهور وعرب الرمل قرية واحدة ، تتحرك فيها الأنشطة الشبابية وتتنافس ، ثم تتوحد وتتفاعل في المناسبات وعلى الأخص الدينية منها والرياضية ، وانعكست هذه المظاهر على سكان القريتين بالتقارب والتفاهم في المصالح المشتركة .

▪ الشباب يتربى ويبدع:

فى عام ١٩٤٧حضر إلى عرب الرمل الأستاذ حسن البنا يدعو الناس ويمهد لإعلان الجهاد فى فلسطين . وتحمس الناس فى كل مكان وتكونت فرق الجوالة فى كل قرية . وكنا نحن الصغار شهداء على ذلك ، نشارك الناس حماسهم ، ونجهز أنفسنا معهم ، ونمر فى شوارع القرية نردد التكبيرات لنوقظ الناس لصلاة الفجر. وفى الليل نجتمع لصلاة التهجد فى أحد المساجد ، وكنا نقبل على هذه الصلوات الليلية بشغف ، خاصة إذا كان المكان هادئا وبعيدا عن القرية ، لذلك كثيرا ما كنا نذهب إلى خارج عرب الرمل ناحية الشمال بعد منتصف الليل حيث كانت هناك مصلى على شاطئ الترعة ((هى الآن مسجد)) وكان ينتظرنا هناك بعض شباب عرب الرمل على رأسهم الحاج عبدالخالق يوسف والأستاذ صلاح حسن ، وفى جنح الظلام الدامس وخيالات الأشباح من حولنا ، والماء فى الترعة يشتد سواداً إلا من لمعان خفيف عند الضوء . وقد يكون باردا والرياح تحرك أعواد الذرة بأصوات وحفيف ، ولا يعرف أحدنا الآخر إلا من صوته .

وفى هذا الجو نقف أمام الله وحدنا نناجيه فرادى ، ونشحن قلوبنا بحبه والتقرب إليه حتى يؤذن الفجر ونصليه فى المكان نفسه ، ثم ننصرف قبل ظهور الضوء الأول للنهار ، وعلى غرار هذا المصلى كانت الأخرى فى طرف قريتنا بجوار ضريح الشيخ « أبو السباع » . لكنها كانت مهدمه وغير مستعملة والأرض غير مفروشة. فأصلحنا أمرها وفرشناها بأعواد النباتات التى انتزعناها من الرشاح « المصرف » وصارت لنا مصلى دائمة فى صلاة الجمعة كذلك. وأصبح هذا العمل نواة لتجمع الناس وإقامة المسجد الكائن الآن، فى هذا الجو الذى اشتد فيه عودنا ونضجت تصرفاتنا بدأنا نفكر فى أن نقدم للناس نموذجا عمليا لدعوتنا حتى يصدقنا الكبار ويقتربوا منا ،

ولابد أن يكون هذا العمل فريدا لم يطرقه أحد قبلنا ولا تعرفه قريتنا ولا أية قرية أخرى .

▪ إنـارة القرية

وبعيدا عن إقامة المصلى والصلاة فيها ودعوة الناس إلى ما نحن عليه. فنحن أمام تفكير جديد يتضمن مشروعين أحدهما عن نظافة القرية وإنارتها، والثانى عن التعليم ومحو الأمية ، وكل مشروع منها يعتمد على النواحى المادية والجهد البشرى، أما الجهد البشرى فنحن نتكفل به وأما النواحى المادية فليس أمامنا إلا القروش التى نستخلصها من مصروفنا الخاص ، وبالنسبة للمشروع الأول فلأن نقودنا قليلة فقد بدأنا التجربة فى بعض الشوارع مثل شارع أبو منسى الذى يسكن فيه الأخ سعد منسي ، وشارع أبو عمارة الذى أسكن أنا فيه وبعض الشوارع الرئيسية فى شرق البلد.

واشترينا الفوانيس ولمبة الجاز التى توضع فى الفانوس ، وتوسمنا فى أحد البيوت الخير وأعطيناهم الفانوس ليراعوا إضاءته وتعليقه فى الشارع أمام منزلهم ، ولما رأوا أن النور سيكون أمام منزلهم ولن يدفعوا شيئا فإنهم تبرعوا بوضع الجاز فى اللمبة كل ليلة. وبشيء من الحكمة والقول اللين جعلنا بعضهم يكنس وينظف أمام بيته ، وبالتالى أصبح الشارع نظيفا مضاء ، والناس يدعون لنا ويحبوننا كأولاد صغار نعمل الخير للبلد.

▪ تعليم القريـة

وأما المشروع الثانى التعليمى فقد قمنا بإنشاء قسم ليلى لمن فاته قطار التعليم ، ومن هذا القسم يستطيع الحصول على الشهادة الابتدائية التى بها يدخل الحياة الوظيفية . وقد قمنا بهذا المشروع بطبيعة الحال بعد أن حصلنا

جميعا على الشهادة الابتدائية، لأننا نحن الذين سنقوم بالتدريس فيه ، وليس فى مقدورنا أن ندفع مبالغ مهما كانت بسيطة لمدرس يقوم بهذه المهمة خاصة وأنه لا أحد يساعدنا أو يدرك أبعاد المشروع فى ذلك الوقت – وكنا قد حصلنا على مقر جديد للشعبة مجانا مكونا من حجرة واحدة مفتوحة على حجرة أخرى غير مكتملة الجدران ، وليس لها بالطبع سقف ، ثم حديقة بها ثلاث شجرات جوافة ، وكان هذا المكان جميلا جدا مناسبا لأعدادنا وعمرنا وطبيعة العمل الذى نقوم به ، ويقع على طريق رئيسى وبجوار الترعة وكان هذا المكان ملكا لعائلة أبو سالم وبالتحديد الأستاذ أحمد بيومى سالم وإخوته.

فى الوقت ذاته يندرج فى خطنا أخوه الصغير عشماوى بيومى سالم وكثير من تلاميذ العائلة ، فلم يكن لديه مانع من أن يتنازل عن هذا المكان لنزاول فيه نشاطنا ، وإن كان هو ذاته قد انقلب علينا بعد ذلك وطردنا من المكان ، ولكننا وجدنا من العائلة نفسها من يأوينا فى بيته نخوة وتعصبا وهو الشيخ عبد الغفار سالم الذى كان ابنه محمد عبد الغفار سالم معنا فى النشاط نفسه – المهم أن هذا المكان كان البداية الحقيقية لانخراطنا فى صف الإخوان المسلمين فى عام ١٩٤٩م ، وفيه برز دورنا على مستوى القرية والقرى المحيطة وفيه تخرجنا جميعا إلى مستوى الحياة السياسية.

أعود ثانية إلى مشروع القسم الليلى فبعد أن توفر لنا قدر من المال البسيط صنعنا سبورة واشترينا الطباشير ، لكن الإضاءة لابد أن تكون قوية ولا يصلح الفانوس والقرية لا تعرف الكهرباء حيث كنا فى أوائل عام ١٩٤٩م فاشترينا من هذا المال « كلوب بريمس » وهذه الوسيلة مازالت موجودة ، وبدأ الضوء يشع فى أركان الحجرة والأعداد تتزايد ، وكنت أنا أقوم بتدريس مادة اللغة الإنجليزية، وفى إحدى الليالى كان ضمن

الموجودين أحد الفلاحين الشبان اسمه محمود إبراهيم الخولي وكانت له طبيعة خاصة تجعله بعيدا عن الدراسة أو حتى عن الحروف العربية فهو موغل فى الريفية لا يدانيه أى فلاح آخر ، ومع ذلك يدخل مع الناس فى مداعبات إلى حد العراك، محمود هذا لى به صلة قرابة وجلس يستمع والعصا بجانبه إلى الشرح فى حصة الإنجليزى ، وكل الجالسين ينظرون إليه وكأنهم يريدون أن يقولوا شيئاً ، ولا يمنعهم سوى استرسالى فى الشرح ورغبتهم فى الاستفادة وخوفهم من عصا محمود وهو الأهم من تلك الأسباب ، لكن محمودا أبى إلا أن يفجر الموقف فنادى على بأسلوبه الخاص أن أتمهل فى الشرح لأنه أوشك أن يفهم الإنجليزى ، عندئذ انفجر الجميع بالضحك، فقام محمود وأمسك بعصاه استعدادا للقتال معهم، وخوفا منى على الكلوب المعلق فى السقف أن تطوله عصا محمود الطويلة فينكسر وتظلم الدنيا وتنتهى ليلتنا، تقدمت إليه بحكم القرابة أن ينزل عصاه ويتسامح ، وبالفعل وافقنى وانتهت ليلته ليقابلنى فى الغد ويقول لى : « أنا يا ابن سيدى مبسوط من الإنجليزى بس خلى بالك منى وأنا سأعطيك اللى فيه النصيب » .

ومضت الأيام الأولى وغاب محمود عن المسرح واستقرت الأوضاع وانتظم المجتهدون وتقدم بعضهم إلى الامتحان ونجح وحصل على الشهادة الابتدائية ، واذكر منهم إن لم تخنى الذاكرة محمد عبد العظيم والسيد خاطر وعبد العظيم حجاج وهم الآن شيوخ كبار وبعضهم رحل عن الدنيا.

هذه الأعمال وهذه الأفكار لا يقوم بها إلا رجل كبير ومحنك ، وقد يتردد مرات على الإقدام والتنفيذ فى ذاك الزمان ، فما بالك بهؤلاء الصغار الذين حملوا عبء هذا التنوير « نور الفانوس ونور العلم » . خاصة وأن هذه الأفكار لم تأتهم من خارج القرية أو من جهات حكومية أو من

مساهمات مالية تساعد على هذا، وإنما هو تفكير نابع من شحنات التربية التى سبق الحديث عنها، واندفاعة قوية مستنيرة تقدم الإسلام للناس فى صورة عطاء يقبلون عليه ، وهذا ما لا يستطيعه اليوم الدعاة ولا التنظيمات الرسمية ، لأن الذى يعطى بغير مقابل هو الذى يملك القدرة على التوصيل الجيد.

ولأننا – نحن الأجاهرة الصغار – كنا على استعداد تام لتلبية أى نداء من أى مكان وفى أى وقت ، لأن الصلة اليومية بيننا لا تنقطع حتى لو كنا فى الحقول ، فإذا كان الأمر يقتضى الذهاب إلى قويسنا على الفور فإن المسالك تأتى بنا من كل صوب وحدب ، وبما أننا لا نركب السيارات وليس معنا نقود ، لذلك فإننا نسلك الدروب الموصلة مباشرة بين المزارع ، وعبر الماء فى « ترعة الخضراوية » سباحة إلى الشاطئ الآخر ، حاملين ملابسنا إلى أعلى.

وبالطبع كنا حفاة فى أغلب الأحيان لأن الحذاء المخصص للمدرسة لا يتحمل كل هذا التحرك ، ونحن بدورنا لسنا فى حاجة إليه ، فقد تعودنا ألا يعوق حركتنا أى شيء مهما كان لازما وضرورياً ، وإلا لما كنا «أجاهرة»، وحتى تكتمل الصورة أمام الآباء ونأخذهم فى جانبنا فإنه إذا تقررت ليلة حصاد القمح « ضم الغلة » عند أحدنا فإننا نتواجد معه فى هذه الليلة على مرأى ومسمع من والده ، ونتبارى فى الحصاد ويصرخ كل منا فى جانب من الحقل شحذا للهمم وتقوية للعزائم ، ألسنا بهذه الصورة نملأ العيون فى قريتنا ويعمل لنا بعد ذلك ألف حساب ؟!.

مساهمات مالية تساعد على هذا، وإنما هو تفكير نابع من شحنات التربية التى سبق الحديث عنها، واندفاعة قوية مستنيرة تقدم الإسلام للناس فى صورة عطاء يقبلون عليه ، وهذا ما لا يستطيعه اليوم الدعاة ولا التنظيمات الرسمية ، لأن الذى يعطى بغير مقابل هو الذى يملك القدرة على التوصيل الجيد.

ولأننا – نحن الأجاهرة الصغار – كنا على استعداد تام لتلبية أى نداء من أى مكان وفى أى وقت ، لأن الصلة اليومية بيننا لا تنقطع حتى لو كنا فى الحقول ، فإذا كان الأمر يقتضى الذهاب إلى قويسنا على الفور فإن المسالك تأتى بنا من كل صوب وحدب ، وبما أننا لا نركب السيارات وليس معنا نقود ، لذلك فإننا نسلك الدروب الموصلة مباشرة بين المزارع ، وعبر الماء فى « ترعة الخضراوية » سباحة إلى الشاطئ الآخر ، حاملين ملابسنا إلى أعلى.

وبالطبع كنا حفاة فى أغلب الأحيان لأن الحذاء المخصص للمدرسة لا يتحمل كل هذا التحرك ، ونحن بدورنا لسنا فى حاجة إليه ، فقد تعودنا ألا يعوق حركتنا أى شيء مهما كان لازما وضرورياً ، وإلا لما كنا «أجاهرة»، وحتى تكتمل الصورة أمام الآباء ونأخذهم فى جانبنا فإنه إذا تقررت ليلة حصاد القمح « ضم الغلة » عند أحدنا فإننا نتواجد معه فى هذه الليلة على مرأى ومسمع من والده ، ونتبارى فى الحصاد ويصرخ كل منا فى جانب من الحقل شحذا للهمم وتقوية للعزائم ، ألسنا بهذه الصورة نملأ العيون فى قريتنا ويعمل لنا بعد ذلك ألف حساب ؟!.

▪ الصعود على المنبر

فى أحد الأيام طلب منى إخوانى أن أصعد المنبر وأخطب الجمعة فى مسجد الشيخ يوسف، لأن مخاطبة الناس على المنبر إحدى وسائلنا فى تعريف الناس بنا، ودعوتهم إلى ما نحن عليه، وكنا لا نتهيب تنفيذ أمر رأيناه وأجمعنا عليه، وأنا بالتالى على التنفيذ، وإن كان عمرى لا يتجاوز الخامسة عشر، وليس لى سابق تجربة فى الخطابة.

وفى يوم الجمعة وقبل الميعاد بحوالى الساعة جلست أمام المنبر متحفزاً وحولى إخوانى أقرانى فى عمرى، ولا يعلم بسرنا أحد غيرنا، ولم نكن نعلم أن هذا الأمر بحاجة إلى استئذان من الخطيب المعتاد، المهم أننا متحمسون لتنفيذ ما اتفقنا عليه، ولما حان الميعاد هرولت على درجات المنبر كالمعتاد حتى يؤذن المؤذن بين يدى، لكن الناس حملقوا وتلفتوا وتمتموا وكأنهم يريدون أن يقولوا شيئاً، وعلى الفور استجاب لهم والدى وقام من مقامه واتجه نحوى قائلاً لى بغضب : « انزل يا ولد » وكررها مرات وفى كل مرة يحتد ويظهر عليه الغضب ، وأنا ثابت فى مكانى لا أستجيب .

وكنت خائفاً أن يصعد إلى وينتزعنى من مكانى، لكن الخطيب المعتاد الحاج يوسف صقر كان شيخاً كبيراً وقوراً وله رأى آخر، فانتصب واقفاً ودفع والدى ، واتجه إلى الناس وكأنه يقول لهم : « الأمر صحيح وليس فيه غرابة » وحتى يطمئنهم خلع عمامته الكبيرة وصعد درجات المنبر ثم وضعها فوق رأسى ليسبغ على أدائى الصفة الشرعية، لكن رأسى صغير والعمامة كبيرة وتهتز وتميل كلما زمجرت وصرخت لأستحث الناس إلى المعنى الذى أريده، ولا أرى فى الناس وأنا أنظر إليهم إلا عيوناً مرصوصة

تبرق نحوى، وتلمع وتضيء كأنها عيون القطط فى الليلة الظلماء فيسرى تيار الخوف فى أنحائى، ويزاحمنى السؤال وأنا أقرأ من الورقة المكتوبة : « هل هذه نظرات الإعجاب أم نظرات عدم الرضاء » ... ولكن الورقة مكتوبة ولا بد أن أنتهى منها وأصل إلى نهايتها مهما كانت النتيجة .

وفى النهاية وصلت ونفذت ما طلب منى، ونزلت من على المنبر ، وأخذ الحاج يوسف عمامته ليضعها على رأسه ويؤم الناس فى الصلاة.

كانت قريتنا فى هذا الوقت أشبه ما تكون بقرى الصعيد من حيث القتال والثأر وتواجدت فى قريتنا من قديم نقطة شرطة ، وفرض علينا حظر التجول فى بعض الأحيان.

وكان يتناوب على القتال والثأر ثلاث عائلات : عائلة أبو صقر وعائلة أبو سالم وعائلة الشعراوي ، والآن والحمد لله هم فى وئام وبعيدون كل البعد عن هذا الماضى.

والذى يعنينى من ذكر العائلات أنها جميعا كانت ممثلة معنا فى الشعبة عن طريق أبنائها الصغار ، والذين كانوا معنا فى المدرسة ، وكان الحب سائدا بينهم ويتعجب الأهل ويحذرون أبناءهم وخاصة الذهاب إلى البيوت المعادية ، لكن الإسلام هيمن علينا جميعا وعلمنا الحب فى الله ومخاصمة كل تلك العداوات فسرنا فى طريق واحد ورضينا بالمصير الواحد.

لكن عائلة أبو سالم كانت أكثر العائلات إنجابا للشباب الذى انخرط فى صفوفنا وكنا قد عشنا بينهم فى المكان الذى أعطوه لنا ، وإن كنا قد طردنا منه بعد ذلك ، فإن منهم من غضب لما حدث وأخذته النخوة كما قلت سابقا هو الشيخ عبد الغفار سالم وأجارنا وفتح لنا بيته لنجتمع فيه ، بل

إن منهم من برز فينا بعمله وأصبحت له كلمة مسموعة بيننا، واستحوذت شخصيته على الكثير منا ألا وهو السيد إبراهيم سالم والذى كان له الفضل فى تقريب شباب العائلات المتطاحنة.

وعلى الرغم من أنه كان صاحب همة عالية وأدواره بارزة إلا أنه كان متواضعا جدا ، ففى أحد الأيام أغلظ القول لأحد إخوانه وأخطأ فى حقه فأحس فى داخله أنه تعدى عليه . وعند خروجنا فى اليوم التالى من المسجد بعد صلاة العشاء ، فى وقت متأخر من الليل وضع خده على الأرض وأقسم ألا يبرح مكانه حتى يطأ صاحب الحق رأسه بقدمه ، ولما كنا نعرف منه التصميم ، وأننا إن تركناه سيظل هكذا على الأرض فقد حملنا صاحب الحق على التنفيذ حتى ننهى الموقف ، وعلل هو ذلك الموقف بأن رأسه الذى استعلى عند مخاطبة أخيه لابد أن ينزل تحت الأقدام حتى لا يعود لمثلها.

كان إيجابيا مع نفسه ومع ربه ومع الآخرين. وحمل كل شباب عائلته على الفهم الصحيح لمعاني الإسلام وخص أخوته أحمد ومحمد بقسط من هذه التربية فساروا على نهجه ، ويلاحظ أنه ومعظم شباب عائلته كانوا يحفظون الشعر الشعبى الحماسى : أبو زيد الهلالى و الزناتى خليفة وغيرها، كانوا يحتفظون فى بيوتهم بدواوين هذا الشعر ، ولذلك كان الاندفاع من السمات التى تتميز بها أفراد العائلة. ومع ذلك فقد كنا جميعا نتبارى فى هذا الاندفاع لنقدم أروع المواقف ونزايد على التاريخ فى ذلك ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾.[1]

(١) سورة المطففين : الآية ٢٦.

• ألــوان من التربية

نحن صبية على أعتاب الشباب تتوفر لنا الإمكانيات النفسية والبدنية والروحية، فقط نحتاج القدوة والتوجيه ، والتاريخ ملئ بهذه الشواهد البارزة، كما أن الحاضر أمامنا تتوفر فيه القدوة وجميع المقومات، والسوق مزدحم بالبضائع لمن أراد أن يشترى ويختار. وعلى طريق التربية وطريق المعرفة قدر استطاعتنا يصطحبنا الزميلان السيد سالم وعبد الحميد ماضى مع الشعر الشعبى ، ونضرب الأرض بأقدامنا عند المقاطع القوية. ولا نكتفى بهذا بل ندخل فى عمق الشعر الجاهلى ونقف مع عمرو بن كلثوم بعد أن قتل عمرو بن هند ونردد معه....

إذا مـا الملك سـام النـاس خسـفا	ابينـــا أن نقـــر الـــذل فينـــا
ونشـــرب إن وردنـــا المـــاء صـــفوا	ويشـــرب غيرنـــا كـــدرا وطينـــا
إذا بلـــغ الرضـــيع لنـــا فطامـــا	تخـــر لـــه الجبابـــر ســـاجدينا

ثم عندما نضج فينا البدن والعقل وألحت علينا العاطفة المشحونة بومضات التاريخ أصبحت الشهادة فى سبيل الله تستهوينا ، فرددنا بعد ذلك مع الشاعر المعاصر الشاب هاشم الرفاعى الذى اغتيل فى ظرف غامض.

انا لست أدرى هل ستذكر قصتي	أم سـوف يعروهـا دجـى النسـيان
أم اننـى سـأكون فـى تاريخنـا	متـــآمرا أم هـــادم الأوثـــان
كـل الـذى أدريـه أن تجرعـي	كـأس المذلـة لـيس فـى إمكـانى
أهـوى الحيـاة كريـمة لا قيـد	لا إرهـاب ، لا استخفاف بالإنسـان
فإذا سقطت سقطت احمل عزتي	يغلـى دم الأحـرار فـى شـرياني
وإلى لقـاء تحـت ظـل عدالـة	قدســية الأحكــام والميــزان

وتدارسنا وطبقنا ذلك في حياتنا ، أخذنا من الماضي والحاضر كل ما له علاقة بالشجاعة والإصرار ، وكان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ هو رائدنا، نصطف خلفه ونسير وراءه ولا نمل دراسة حياته والاستشهاد بمواقفه الواضحة والمؤيدة من القرآن الكريم.

وفي جانب آخر كانت لنا جلساتنا مع كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي فأضفى على حياتنا حب الله والخوف من معصيته ، فسبحنا ليلا مع القرآن الكريم نرتله في التهجد ونترنم به في حركتنا اليومية.

ولأننا بطبيعتنا نحب أن نبذل الجهد ، وأن نقوم بالأعمال الشاقة ، فقد أشبعنا أنفسنا من الرحلات والمعسكرات أيا كان نوعها ، وكان يطيب لنا في الليالي المقمرة أن تقام لنا المعسكرات في جبل قويسنا القريب منا وبصحبة الأخ محمود الحواتكي أحد قيادي النظام الخاص وكذلك الأخ فوزي فارس رحمه الله الذي كان طالباً في كلية دار العلوم، وأحد فرسانها في المعسكرات الجامعية، وضمن الطلائع المقاتلة في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م .

لقد انعكست هذه البيئة على حركتنا ، ففهمنا وخضنا تجارب قوية وعنيفة على مرأى ومسمع من العائلات المتقاتلة ، وكان الجميع يتهيبون الدخول معنا في خصومات ، لأننا في نظرهم أولاد متهورون ويمكنهم أن يقدموا على تصرف غير محسوب ، ليس بوسع أحدهم اتقاءه أو الرد عليه لأن عددنا كبير ، وأننا نمثل معظم العائلات في القرية ، وأن جميع الطلبة تقريبا كانوا من الإخوان على درجات.

وكنا نشكل الجيل الثاني المتعلم في القرية حيث لا يسبقنا في التعليم سوى أعداد قليلة يشكلون الجيل الأول الذي يحتكر المعرفة على مستوى القرية.

العمل مثلنا غدا أو بعد غد ، وقد جاءوا من أماكن بعيدة بل ومن القاهرة نفسها.

وسرنا لنبحث عن مكان نبيت فيه فقال أحدنا أنا أحفظ عنوان طلبة أزهريين من قريتنا يسكنوا فى حى الجمالية ، وبالسؤال والبحث وصلنا إليهم وقد فوجئوا بنا وتعجبوا لأمرنا ، كما فوجئت أنا بهؤلاء الرجال الكبار الذين لا يزالون يدرسون ؟ نعم طلبة يدرسون ، وهذا كان أمرا طبيعيا فى الماضى ، حيث مشوار الدراسة فى الأزهر طويل ، ولا داعى للقلق على السن عند التخرج، والمهم أن الناس رحبوا بنا وأطعمونا مما جاءوا به من القرية ولكن إلى متى ؟ لابد أن نفكر فى مكان آخر يتحملنا. وكان هذا المكان هو سكن الأستاذ محمد الشيخ الذى يعمل مدرسا بالمدارس الابتدائية. ذلك الرجل الشهم الذى وسعنا فى سكنه بل وشاركنا المعارك مع المدير المزيف ، وشاء الله لهذا الرجل أن يكون كما أشرت سابقا مع أخيه السيد الشيخ ضمن الإخوان فى سجن طرة .

والقصة طويلة أختصرها فى أننا يوميا نبدأ معاركنا الصباحية مع هذا المدير المزيف ونمزق ملابسه الجديدة التى اشتراها من الخمسة جنيهات التى سرقها منا ، وينتهى بنا المطاف إلى قسم الشرطة حيث يخرج منه بسرعة ، بالرغم من جمهور المضحوك عليهم ونحن فى طليعتهم ، فماذا نفعل ؟ نسير فى الشارع بلا هدف وفجأة ينادى أحدنا وهو يشير إلى لافتة ... هذا مكتب المحامى الأستاذ عبد القادر عودة وكنا نعرف أنه من الإخوان وإن كنا لم نره من قبل ، وفرحنا بأننا قد وجدنا من يساعدنا .

ودخلنا عليه وملابسنا غير نظيفة وبعضها ممزق فتعجب من الداخلين، لكننا بسرعة عرضنا قضيتنا عليه وأننا من إخوان أجهور الرمل مركز قويسنا فبتسم الأستاذ عبد القادر رَحِمَهُ اللهُ من سذاجتنا الريفية ، وأشار على الأستاذ

إبراهيم الطيب بعمل مذكرة لقسم الشرطة والذى بدوره أوكل الأمر لاثنين من الشباب المحامين اللذين كتبا المذكرة ثم ودعنا الأستاذ عبد القادر عودة وهو يقول : « أنتم عملتم زى الصعيدى اللى اشترى ترماى » ... وهذه القصة كانت تقريباً فى عام ١٩٥١م.

ولأننا قد تعبنا من المعارك اليومية ، والسير فى الشوارع ، فقد دخلنا مسجدا نصلى فيه ونستريح من حر الشمس ، ثم خرجنا لنجد أن حذاء أحدنا قد سرق – وشر البلية ما يضحك ، فقد سرنا فى الشارع نضحك مما جرى لنا ، ومن حالة ملابسنا التى تمزق بعضها وتغير لونها من العرق والتراب ، فقررنا هذه المرة أن نركب الترام لأننا تعبنا .. ونذهب إلى سكن الأستاذ محمد الشيخ . ولكن ليس معنا نقود ولا نعرف كم ندفع فى الترام. لا داعى للتفكير لنركب الترام .

وعندما هممنا بالركوب وتحفزنا بطريقة البسطاء إذا باثنين من المخبرين يمسكون كل واحد منا من قفاه ويدفعون بنا نحو قسم الشرطة على أننا لصوص ، ولكنهم تركونا بسرعة حينما اكتشفوا أمرنا وعرفوا أننا قرويون لا نعرف شيئا.

وتمر الأيام ولا أمل فى استرجاع نقودنا، وتتمزق ملابسنا نتيجة المعارك اليومية، علاوة على لونها الداكن الكئيب من كثرة العرق والغبار، ويظهر علينا الإجهاد البدنى بسبب التعب وقلة الطعام، وصرنا نتحرج من التردد على الذين استضافونا ... فللضيافة نهاية ... وللنصرة حدود ...

وأخيراً ونحن الأجاهرة الذين لا يعترفون بالهزيمة اعترفنا بها، واستسلمنا للرحيل عن القاهرة ... تلك المدينة التى لا أول لها ولا آخر، والتى تحوى كثيراً من الأسرار يعجز البسطاء أمثالنا أن يعرفوها ... إلى قريتنا البسيطة التى لا مكان لنا سواها.

إلى مدينة بنها العسل

بنها هى المدينة الثانية فى حياة الأجاهرة بعد مدينة قويسنا ، ولكن بنها مدينة كبيرة وعاصمة لمحافظة القليوبية والحركة والنشاط فيها أوسع من مدينة قويسنا ، وينتهى إليها كل خطوط السكك الحديدية القادمة من محافظات الوجه البحرى فى اتجاه القاهرة .

فهى جيدة المواصلات وتبعد عن القاهرة حوالى ٤٥ كيلوا مترا، ويوجد بها كوبرى على النيل يصلها بمحافظة المنوفية وبالطريق الزراعى إلى الإسكندرية ، وتطل على النيل بجبهة طويلة كورنيش يسمح لنا بالحركة ويقرب إلى أذهاننا صورة الحياة فى المدن الساحلية كالإسكندرية ، كما أنها كانت فى أيامنا مضاءة بالكهرباء وهذا فى حد ذاته نقلة حضارية من قويسنا التى تضاء « بالكلوبات » ، لكننى كنت أسمع من الناس فى بنها كلمات آتيه من الماضى البعيد مثل « بوابة العمرى والإسارية » وحتى الآن لا أعرف أين كانت بوابة العمرى ولا ما هى الإسارية ؟ [1].

▪ مدرسة بنها الثانوية

لم تكن مدينة بنها جديدة على فقد كنت أذهب إليها فى إجازة الصيف لأخذ حقنة البلهارسيا ، ثم استحمم فى نهر النيل واشترى البطيخ

(١) أخبرني أحد أصدقائي والكتاب تحت الطبع أن الإسارية معناها القيصرية أى المكان أو السوق الذى يتم فيه البيع أو الشراء تحت إشراف جنود القيصر منذ أيام الرومان ، وهي موجودة في كل مدن مصر القديمة من بقايا العهد الروماني.

وأعود إلى قريتنا - لكننى الآن جئتها لابسا البدلة ولكن من غير طربوش ، فقد تخففنا منه – نحن الطلبة – لأنه يقيد حركتنا ، وتمردنا على الزى الموحد ، ولا أحد يستطيع أن يجبرنا على زى معين ، فقد كبرت أجسامنا وأصبحنا طلبة بعد أن كنا تلاميذا ، والمدرسة كبيرة جدا وهى الوحيدة فى المحافظة (بنها الثانوية الأميرية) ومثلها للبنات على مقربة منا ومبانيها فخمة ضخمة تحتوى على معامل وفصول واسعة وكثيرة ، وبها مطعم كبير يحوى جميع التلاميذ فى وجبة الغذاء ، وملحق به مطبخ تعلق فيه الذبائح لحين تقطيعها وطهيها مع الخضار والأرز.

وتحتوى المدرسة على المدرجات والمعامل المتنوعة التى تستخدم بكفاءة فى حصص الكيمياء والطبيعة والأحياء، أى لكل مادة معاملها ، وكان عدد التلاميذ بالمدرسة حوالى ١٢٠٠ تلميذاً، ولا يزيد عددهم فى الفصل الواحد عن ٣٦ تلميذاً، وقد يقل عن ذلك فى بعض الفصول.

أما المدرسون فكانوا على قدر كبير من الجدية، ومنضبطون فى سلوكهم أمام التلاميذ، والدروس الخصوصية لا يميل إليها التلاميذ والمدرسون على السواء إلا فى الحيز الضيق جداً للحالات الخاصة .

كما أن المناهج والتقسيم النوعى للعلوم يؤديان حتما إلى الاختيار الصحيح فى الحياة، فبعد نهاية الصف الرابع الثانوى يحصل التلميذ على شهادة « الثقافة العامة » التى تسمح لحاملها بالتوظف فى مجالات العمل بالدولة، والذى يريد أن يكمل مشوار التعليم وعنده القدرة على ذلك عليه أن يحصل فى العام التالى على شهادة التوجيهية من القسم الأدبى أو العلمى أو الرياضى، حيث يتوجه إلى الكلية التى تناسب تخصصه.

لكن المدرسة ومعها مدرسة البنات دخلتا الآن ضمن مبانى جامعة بنها، وكانت المدرسة تضم كل تلاميذ مدينة بنها وأنحاء محافظة

القليوبية وكذلك البلاد المجاورة من محافظة المنوفية ويأتيها المدرسون من أماكن شتى بل من القاهرة ، كما يدرس لنا مادة الفرنساوى أستاذ من فرنسا لا يعرف العربية ويضطر أحيانا إلى الترجمة بالإنجليزية إذا صعب علينا فهم العبارة الفرنسية .

وكنا ننتظر حصته المليئة بالمرح والمشاكسات بيننا وبينه ، فقد كان يعجبنا فيه شبابه ووجهه الأحمر ، وحركاته المليئة بالحرية ، حتى إنه كان يجلس أحيانا على قاعدة شباك الفصل العريضة ، ويدلى رجليه ويبدأ فى ترنيم إحدى الأغنيات الفرنسية ، ويداه تلعبان فى الهواء كأنه فى أحد المسارح الليلية – ثم ينقلب هذا المرح إلى شجار بيننا وبينه إذا أحس أننا نتهكم عليه فيما بيننا ، أو أن أحدنا داعبه بطريقة تؤذى مشاعره ، ولا يفض هذا الشجار إلا دخول المدرس الأول نجيب النوري .

▪ المسرح السياسى:

ولأن المدرسة تقع على النيل أمام كوبرى بنها فقد كان الكورنيش مسرحا لتجمعات الطلاب وحركاتهم خاصة أثناء المظاهرات – ولم يكن مدير المدرسة – وهو من القاهرة ، وعلى درجة وكيل وزارة ويحمل لقب « بك » يستطيع أن يتحكم فى هذا الشتات من المدرسين والطلاب خاصة وأنه يسافر يوميا ، كما كان الجو العام تسوده الحرية التامة للمدرس والطالب ، فتشكلت بذلك التجمعات السياسية المختلفة ، وصارت أركان المدرسة الكبيرة تموج بهذه التجمعات ، وأصبح الفناء الكبير مسرحا للتجمع وإلقاء الخطب ، تمهيدا للإضراب الكبير وللمسيرات السياسية ، التى تسير فى شوارع مدينة بنها ، تهتف بسقوط الملك أو سقوط الوزارة.

ولـم يكـن هنـاك فـارق كبيـر بـين أجـواء المدرسـة الثانويـة وأجـواء الجامعـات ، فالاجتماعـات والإضـرابات والمسـيرات تحـدث هنـا وهنـاك ، والتنظيمـات السياسية موصـولة بين الجانبين ، والطالـب فـى هـذا الجـو مـن الحرية ينمو بسرعة ويعرف الكثير عن الدولة وحكامها ، وبذلك يتحدد موقفه ومستقبله وانتماءاته.

فى هذه المساحة الواسعة من الحرية والبيئة المفتوحة عاش الأجاهرة أحلى أيام عمرهم ، وسجلوا روائع مواقفهم فى أزهى فترة من شبابهم ، فهم بطبيعتهم الريفية يعشقون الحرية ومارسوها فى الحقول وحوارى القرية ، وتركوا مدرسة المساعى المشكورة فى قويسنا بنظامها الصارم إلى مدرسة بنها الثانوية التى ليس فيها أى نوع من أنواع القيود ، ولا يتحكم فى الطالب سوى رغباته وما اختاره لنفسه ، فحركوا المظاهرات وقادوها ، وتعقبتهم الشرطة إلى حد أن وقفت قوة منها على كوبرى بنها الذى يصل المنوفية بالقليوبية ومنعتهم من عبوره والدخول إلى مدينة بنها ، ولـم ندخلها إلا بعد فترة وبتصريح نحمله ونبرزه عند دخول المدرسة.

بعد الإضطرابات والمظاهرات سنة ١٩٥٤م أغلقت مدرسة - بنها الثانوية - ومنع - الأجاهرة - من عبور الكوبرى والدخول إلى مدينة بنها. ثم سمح لنا بالدخول للمدرسة بعد ذلك بهذا الكارنيه.

وضمن التيارات السياسية فى المدرسة كان التيار الغالب هو تيار الإخوان المسلمين والذى كانت له الكلمة الفاصلة فى المواقف السياسية بالمدرسة ، ويحسم الصراع غالبا لصالح هذا التيار مع كل التيارات الأخرى التى تتمثل فى ثلاث تيارات رئيسية :

التيـــار الأول : وهـو حـزب الوفـد بقيـادة النحـاس باشـا ورمـوزه فـى المدرسة كانت قليلة جدا ومعدودة ، وليست له أيديولوجية معينة وإنما هى شخصيات بارزة فى ملابسها وفى أحجامها ، وتظهر فقط فى المناسبات التى لها علاقة بحزب الوفد الحاكم .

أما التيار الثانى : هو حزب مصر الفتاة بقيادة أحمد حسين وهذا التيار كان يميل بعض أفراده إلى الأفكار اليسارية وينادون بشعارات اشتراكية أقرب ما تكون إلى الماركسية . وقد وجدنا بعضا منهم معنا فيما بعد فى سجن الواحات الخارجية مع الشيوعيين أذكر منهم أحمد بدر ومحمد شندي الذي اختل توازنه بعد أن خرج من السجن ويسير الآن في شوارع بنها على غير هدى .

ثم التيار الثالث : والذى جاء متأخرا هو هيئة التحرير التى تشكلت بعد مجيء جمال عبد الناصر إلى الحكم .

وكان العام الدراسى ١٩٥١ - ١٩٥٢ هو العام الذى انتقلت فيه من الصف الثانى الثانوى بمدرسة المساعى المشكورة إلى الصف الثالث الثانوى بمدرسة بنها الثانوية وبالتحديد الصف ثالثة ثامن والذى كان موجودا فى الدور الثانى فوق مطعم المدرسة ، وهو نفس العام الذى اشتد فيه الغليان على مستوى جبهات كثيرة من الشعب المصرى إزاء تصرفات الملك فاروق ، مما دفعنا إلى الخروج من المدرسة فى مظاهرات صاخبة

تهتف ضد الملك وبسقوط بعض رموز الحكم.

ولما كان نظام الإخوان آنذاك يقتضى أن يكون فى كل مدرسة طالب مسئول عن نشاط الإخوان فقد كان السيد إبراهيم سالم هو المسئول فى سنة ١٩٥٣ – وكان شعلة من النشاط والحركة بالليل والنهار وجمع كثيرا من الطلبة حوله من شتى البلاد وكانت شخصيته مقنعة تعلوه مسحة من الخشوع، لكنه صاحب همة عالية وقدرة على العطاء ، وفى أيامه حدثت اشتباكات كثيرة بيننا وبين بعض الطلبة ، كان من نصيبى فيها طعنتان نافذتان بمطواة إحداهما فى الرأس والثانية فى الأنف .

وفى المستشفى الأميرى المجاور للمدرسة تم خياطة الجروح ووضعت الأربطة على رأسى ، وخرجت آخر النهار إلى البيت لأصرف أبى وأمى عن كثرة السؤال بأن الأمر لا يعدو أن يكون بسيطا فى مشاجرة عادية ، لكن هذا الأمر لم يمر بسهولة مع إخوانى الذين بدءوا بالتربص والاستعداد.

وكان فارس المعارك كلها هو عبد العليم مرسى ، يدخلها مثل الجمل الهائج ، بالرغم من أن انتماءه للإخوان لم يكن على دراية منه بل هى العصبية للأجاهرة والنخوة الريفية ، وساعده على ذلك ضخامة جسمه وقوة بدنه وسلامة طويته ، ومن الأشياء الطريفة أنه بعد انتهاء المعارك يصل الأمر للشرطة ويتم استجواب المضروبين فمعظمهم يجمع على أن عبد العليم مرسى هو الذى ضربهم ، وكان هناك طالب آخر من الإخوان يسكن فى بنها واسمه محمد عبد العليم مرسى ، فتذهب الشرطة للقبض عليه بينما الفاعل الحقيقى هو عبد العليم مرسى الأجهورى وليس محمد عبد العليم مرسى البنهاوى الذى يقول فى نهاية الأمر ضاحكا :

« اضرب يا عبد العليم يا أجهورى وأنا اللى أروح فيها » .

الأحداث العالمية التي يفهمها من منظور آخر غير المفهوم السطحي الذي تركنا عليه في قريتنا أجهور الرمل فوجئ بمفهومنا المتقدم والمتطور لحركة التاريخ ، وصراعنا الحتمي مع اليهود ، والنقلة النوعية من المفاهيم السطحية إلى الدراسة والتعمق ومباشرة الواقع الذي عرفه واحتك به بعد أن انتقل إلى أوربا .

فى إحدى المرات كان الاتفاق على إضراب يتمشى مع الإضراب العام فى كل أنحاء مدارس وجامعات مصر ، ونخرج بالطلبة إلى الشوارع لكن أعضاء هيئة التحرير الموالية للحكومة سبقونا ونظموا إضرابا داخل المدرسة ، فى شكل اجتماع كبير فى فناء المدرسة تلقى فيه الكلمات ليحولوا دون خروج التلاميذ إلى الشوارع ، ولما كان تحريك هذه الجموع إلى الشارع يحتاج إلى خطاب حماسى يجعلهم لا يكتفون بهذا القدر ويفرض عليهم الخروج إلى الشارع ، لذا كان واجبا على أن أسرع بإلقاء هذا الخطاب ، وانتهاز الفرصة السانحة ، لكننى تأخرت وضاعت الفرصة وعندئذ غضب البعض منى وعقدوا لى جلسة بدأتها أنا بالاعتراف بالخطأ وعدم التقدير ، بدون إبداء أعذار أو تعليلات مع استعدادى لتقبل أية عقوبة على ، عندئذ انطفأت حدة التوتر وزال ما فى النفوس من غضب وقرر المتشددون عقابى بصيام أسبوع كامل لكن استقر الرأى فى النهاية على صيام يومين اثنين فقط ، وانفضت الجلسة وقلوبنا صافية...

لكننى وعيت الدرس. وفى مرة ثانية خرجنا بالتلاميذ إلى الشارع وكانت المناسبة هى المطالبة بعودة محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية بعد أن غدر به جمال عبدالناصر ومن معه من الضباط وأجبر على التنحي. وتعمدنا هذه المرة أن تمر المظاهرة أمام مديرية الأمن ، ولما كان الناس جميعا يحبون اللواء محمد نجيب الذي قاد انقلاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

ضد الملك فاروق ونظامه ، وأصبح أول ريئس للجمهورية بعد هذا التاريخ، فان الهتافات كانت حماسية والكلمات شديدة ومعبرة ، وعندما أشرفنا على مديرية الأمن وجدنا الضباط والعساكر فى مواجهتنا ، واحتدمت المعارك بيننا وبينهم ، لكنهم استطاعوا أن يعتقلوا بعضنا ، ووجدت أحد الضباط برتبة كبيرة يتوجه نحوى ومعه بعض العساكر واستطاع أن ينتزعنى من بين المتظاهرين.

وانتظرنا فى مديرية الأمن لحين تدبير ترحيلنا إلى أى معتقل ، أو أن تتصرف الجهات العليا فى أمرنا. لكن الله أراد أمرا آخر فقد عاد محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية فى اليوم نفسه بعد أن عمت المظاهرات جميع أنحاء مصر ، وصدرت القرارات بخروج جميع المعتقلين وحضر والدى إلى مديرية الأمن ليوقع على استلامى ويؤنبنى أمام الضابط.

ولا أذكر ونحن نعد أنفسنا لكفاح طويل أننا استخدمنا أثناء التدريب أى نوع من السلاح واكتفينا بالتدريب على الأسلحة فى معسكرات الحرس الوطني التى كانت تعدها الدولة استعدادًا للحرب فى القناة مع الإنجليز ، وإذا كانت المعسكرات بأنواعها تستهوينا لنستكمل عدتنا بعد التدريبات الشاقة التى فرضتها علينا البيئة الريفية والتى فرضناها على أنفسنا فى جبل قويسنا – فإن هذا الاستعداد لم يكن وراءه أبعاد سوى أننا أحسسنا بطعم العلاقة المبنية على الإيمان وعلى الحب فى الله ، واستثمرنا هذا فى تحقيق وعد الله وإعلاء كلمته ، ولو تذوق المنكرون طعم هذه الحياة لما أجهدوا أنفسهم فى محاربتنا ، ولما استمروا فى محاصرة الشباب بدعوى أن هذا استغلال للدين للوصول إلى مآرب أخرى ، لكن على أية حال لقد سرنا فى طريقنا مستمعتين بكل خطوة فيه، آملين من الله ألا نكون قد أسرفنا أو فرطنا.

كانت الرحلات أحد الأنشطة المهمة فى تجميعنا والترويح عن أنفسنا ولا تقل أهمية عن المعسكرات والندوات والكتائب الليلية التي تقام في الشعب للتربية الروحية والفكرية.

- **الرحلات من برامجنا:**

وقد قررنا أن نقوم برحلة بالدراجات إلى منطقة « العرب » بجوار أبى زعبل مرورا بمدينة طوخ ومدينة شبين القناطر على أن تكون العودة إلى بنها عن طريق مدينة بلبيس ، وهذه مسافة طويلة لا يقدر على قطعها إلا صاحب الجهد الكبير والنفس الطويل ، ويبلغ عدد المشتركين حوالى الأربعين تلميذا يسيرون بدراجاتهم فى صفين متجاورين.

وقد كانت قيادة الصفين لرجلين كبيرين يحبهما الطلبة ويسيران بسرعة مناسبة لكل القدرات والاحتمالات ، كان قائد الصف الأول الحاج عبد الخالق يوسف وقد سبق الحديث عنه ، وكان قائد الصف الثانى الحاج حسن أبو ذكرى ، وهذا الرجل له قصة غريبة فقد كان فى قديمه من الأشقياء الذين يحملون السلاح ويقتلون بلا حساب وله عائلة كبيرة تحميه ، وكان يسكن فى عزبة أبو ذكرى مع عائلته التى لا يتردد أن يقتل منها إن تطلب الأمر ، لكن أراد الله أن يهديه على يد الأستاذ السيد الشيخ ويسير معنا ويعايشنا ، حتى أنه كان لا يطيق صبرا إذا تأخرنا عن زيارته بعد أن أحس بطعم الإيمان والأمان ، وكانت له أرض يزرعها بالموز فى إحدى جزر النيل المواجهة لمساكن عائلته على الشط ، وكثيرا ما كان يرحب بنا فى هذه الجزيرة كمكان مفضل لبعض الاجتماعات ، والمهم أنه كان سعيدا بمصاحبة الحاج عبد الخالق على رأس الصفين يتجاذبان الحديث ويتناوبان

الهتافات فى بعض الأحيان ، ومن ورائهما الطلبة فى سعادة ومرح ، وترديد الهتافات والأناشيد المختلفة .

وكنت أنا دائما فى المؤخرة حتى لا نترك أحدا قد تعب أو تعطلت دراجته ، لكن فى بعض الأحيان كنت أسير بسرعة حتى ألحق المقدمة وأمر على الجميع أشجع واستحث الهمم حتى نصل بأمان ، وما أن وصلنا عرب جهينة حتى استقبلنا الإخوان هناك وعلى رأسهم المرحوم محمود يونس ، وأعدوا لنا لقاءات طيبة، ومحمود يونس هذا كان من الرواد الأوائل الذين حملوا راية العمل فى دعوة الإخوان مبكراً وتفانى فى أداء دوره بالليل والنهار، وتربى على يديه أعداد كبيرة من الشباب فى منطقة عرب جهينة وما حولها، ولقى الله شهيداً على يد الجلادين فى عام ١٩٥٤م .

وحتى ذلك الوقت كانت الظروف طبيعية والرحلة تسير فى خطها المرسوم بلا عقبات ، حتى إذا دخلنا مدينة بلبيس عند العودة بدأت بصوت عال أهتف والجميع يردد: « هبى هبى ريح الجنة ... واستقبلى رجال البنا ».

فإذا بنا أمام مركز البوليس ويخرج علينا من فيه من ضباط وعساكر ، ويحتجزوننا داخل المركز ويبدأ أحد الضباط يسجل الأسماء ، وكان اسم الطالب الأول محمد نجيب ، والثانى صلاح سالم ، والثالث جمال عبد الناصر – وهذه أسماء ضباط الثورة فاعتقد الضابط أننا نتهكم عليه ونسخر منه ويبدأ يغلظ القول ، حتى تبين الحقيقة ثم أخلوا سبيلنا على شرط ألا نسير فى الشوارع، وأخذونا بدراجاتنا إلى محطة السكة الحديد وأركبونا القطار ومعنا الدراجات حتى نخرج مع القطار إلى منطقة خارج مسئولية المأمور.

- **الجرى والنفس الطويل:**

وبجانب الأنشطة السابقة التى كنا نتبارى فيها فإننا كنا نعود أنفسنا على الجرى وتحمل المشاق ومواجهة الظروف مهما كانت شدتها وقوتها، وقد تهيأت لنا الظروف من أجل التدريب على ذلك، فقد كانت المسافة بين قريتنا ومدرستنا فى بنها حوالى أربعة كيلو مترات أو تزيد قليلا ولم نتعود ركوب السيارات لأنها كانت قليلة ولأن نقودنا أيضا كانت قليلة وندخرها للمساهمة فى الأنشطة السابقة، لذلك فإن بعضنا كان يركب الحمير ويتركونها عند مدخل كوبرى بنها فى مكان معد لذلك يسمى وكالة الحمير، والبعض الأخر اشترى دراجة، لكن الدراجات كانت قليلة لأن ثمنها فى ذلك الوقت يساوى حوالى تسعة جنيها وهو مبلغ يصعب على كثير من أولياء الأمور تدبيره، وكان من حظى أن والدى كان سهلا يمكن التأثير عليه وفتحت الموضوع فى حضور بعض الأقارب الذين كانوا فى صفى وأبدوا الاستعداد فى المساهمة، فانساق والدى بسرعة فى التيار وأبدى الاستعداد فى تدبير المبلغ حتى لو استدان، وبالفعل أصبحت بعد أسبوع من أصحاب الدراجات «أى من أصحاب السيارات» وانتظمت فى قافلة الذهاب والعودة ونحن سعداء بما أعطانا الله.

وكان من بيننا من لا ينتمى إلى أصحاب الدراجات ولا إلى أصحاب الحمير، بل هو منتظم ضمن فئة ثالثة هى التى تمشى على الأقدام التى ينضم إليها أيضا من تتعطل دراجته أو يموت حماره، والواجب يفرض علينا أن نحملهم إن وجدناهم على الطريق، بل أصبح لزاما علينا فى بعض الأحيان أن نتناوب معهم ركوب الدراجات.

وبذلك انفتح المجال للتدريب على الجرى وعمل رياضة شبه منتظمة دون ترتيب منا، ولما كنت من الذين يحبون رياضة الجرى وتدربت عليه فى المعسكرات، فقد واتتنى هذه الفرصة وعودت جسمى عليها، وسابقت

الدراجات مع غيرى حتى أصبحت جاهزا لسباقات أطول ، وصارت المسافة بين قريتى ومدرستى فى مدينة بنها كأنها خطوات يخطوها الإنسان إلى المسجد أو إلى صديق له قريب منه .

هذا الاستعداد أهلنى لأن أجرى أياما وليالى فى السجن الحربى دون تعب ، وأهرب بسرعة من كرباج العسكرى فى الليلة الطويلة ليلة التجهيز للمحاكمة أمام محكمة الشعب ، وساعدنى على هذا أننى كنت غالبا ما ألبس « الكاوتش » صيفا وشتاء لأنه بطبيعة الحال أرخص من الحذاء الجلد، وأنه يناسب الجرى والرياضة بصفة عامة ، وإن كانت لسعات البرد تنفذ منه شتاء إلى أطراف أصابعى حينما يواجهنى الهواء البارد وأنا أقود دراجتى بسرعة ، لكن هذا كان محتملا بل وكأنه شيء عادى لشاب مثلى وسط شباب تزهو الدنيا فى أعينهم ، ويحسون بحلاوتها ولا يتوقفون كثيرا عند متاعبها ومشاكلها ، فكل المشاكل محلوله والمتاعب زائلة ، ولا يعوقهم عن النشاط والحركة ملبس بسيط أو مطعم قليل أو مظهر تعارف عليه الناس. وهم فى داخلهم يحيون حياة حقيقية لأنهم مطمئنون أن لهم آمال يسعون إليها ، وبالرغم من النشاط الرياضى فى الصباح الباكر المتمثل فى الجرى الذى فرضته الظروف ، كنا ندخل الفصول دون أن يظهر علينا الإرهاق أو التعب بل نقبل على اليوم المدرسى بنشاط وحيوية.

فى هذه الأثناء أصبحت قريتنا أجهور الرمل مركز جهاد حسب التنظيمات الإخوانية آنذاك ، والتى يتبعها عدة قرى انتشرنا فيها فرادى وجماعات نلتقى بالشباب وندعوهم إلى ما نحن عليه بوسائل متعددة ومنها المباريات الرياضية ، واتسع نشاطنا فى هذه القرى بجانب نشاطنا فى بنها وما جاورها ، وبرزت أسماء وشخصيات فى حياتنا كان لها دور قيادى نستلهم منها النصيحة ونقتدى بها فى حركتنا مثل الأستاذ محمد عبد الحليم عيسى كما سبق الحديث عنه وشخصيات أخرى لها دور تربوى باعتبارهم

آباء ورواد ، وأن رؤيتهم فقط والجلوس إليهم دون الحديث معهم كان له أثر عظيم فى حياتنا .

فالحاج عبد الله النبراوى وهو رجل كبير السن ممتلئ الجسم ، لا يقوى على الحركة والخروج من بيته ، كان له فضل علينا ، وكنا نرى الإخوان على اختلاف مستوياتهم ومشاربهم يتواجدون عنده ، وقد رأيت بنفسى الشيخ أحمد حسن الباقوري بعد أن أصبح وزيرا للأوقاف يزوره وبصحبته بعض الوزراء. وهو إلى جانب ذلك رجل ثرى يملك مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية يؤجرها للفلاحين ، وقد يأتى بعضهم إليه يشكو الفقر فيتنازل راضيا عن جزء من هذا الإيجار أو يؤجل الدفع لحين ميسرة. وكنت أحس أنهم يحبونه كثيرا فهو يفيض على من حوله من خيرات الله التى حباه بها حتى أن الأستاذ حسن البنا فكر فى أن يلجأ إليه ويختبئ فى « عزبته » بعد أن اعتقلت حكومة إبراهيم عبد الهادى جميع الإخوان وتركته وحيدا للغدر به وقتله.

وكنا نحن الطلبة نذهب لزيارته فينادى علينا بالدخول بصوت جهورى فنحس منه بكرم الاستقبال والعطف الأبوى .

وهذا هو الشيخ سيد راضى ذلك الإيمان الذى يتحرك على الأرض، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يقابل فتاة عارية الرأس إلا ويدعوها لتغطية رأسها ويدعو لها بالستر ، وإذا صادفك فى الطريق فإنه يأخذ بيدك يرفعها لأعلى ويقول لك أمن على دعواتى ويظل يطلب من الله ويدعوه حتى يفارقك ، هذا الرجل الكبير فى السن كان له بيت بسيط على البحر فى مكان قصر الثقافة الآن ، ويجاوره بعض البيوت البسيطة التى تظهر على أطراف المدن ، وقد عايشناه وأخذنا عنه رحمه الله وجمعنا به فى الآخرة ، وقد قرأت فى «كتاب أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين» أن الأستاذ حسن البنا حينما ذهب لأول مرة يدعو الناس فى مدينة بنها كان الشيخ سيد راضى

أول المبايعين وأول مندوب للإخوان المسلمين فى المدينة..

وهناك عدد آخر لا بأس به من الإخوان الذين أدوا دورهم بجدارة مثل الأخ الفاضل عز العرب أحمد فؤاد والأخ الدكتور حسن علام . وهؤلاء كانت علاقتنا بهم نحن الطلبة فى الاجتماعات العامة واللقاءات التربوية. وإن كان الأخ عز كان له دور مميز ، وطوال عمره دوره مميز حتى وهو فى فريق كرة القدم إلى أن أصبح عضوا فى مجلس الشعب. ولا أنسى أن أذكر هنا فى هذا المقام أسماء بعض الطلبة الذين كانوا من الإخوان ومن مدينة بنها ولا أدرى إن كان بعضهم على ظهر الأرض أم تحتها : « محمد عبد الحليم عبد الله ، سمير شاهين ، فايز الرباط ، حسن عمار ، ماهر وأخاه هاشم عطية ، بهيج ، عزت علام ، أحمد رجائى ، محمد بشر ، أبو الحسن بشر ... » .

كنت أخطو خطواتى وأنا منصهر مع إخوانى ليل نهار فى هذا النشاط الذى استحوذ على عواطفنا وملكاتنا ووقتنا وكل ما لنا فى الحياة، وبدأت أحس بشخصياتنا تنضج واهتماماتنا تكبر ، وتخلصنا من النوازع الشبابية المكبوتة أو المنفلتة ، وداخلنا شعور بأننا أبناء الريف جئنا إلى المدينة لنأخذ بيد أبنائها فى مهرجان واسع من الفتوة والنشاط والكتائب والمعسكرات والمظاهرات والرحلات إلى غيرها من الأنشطة التى تملأ الفراغ ، وتشبع الغرائز وتهذبها وتستخدمها أفضل استخدام.

وبينما أنا دارج فى هذه المسالك وغارق فيها حتى الأعماق غير عابئ ولا متمهل ، وما كان لى أن انتظر والجموع من حولى تدفع بى فى طريق واحد لا سواه. إذ حدث ما لم يكن فى الحسبان.

▪ **التيار الدافئ:**

وما كنت أتصور وأنا ابن الريف والمشغول جدا أن أتوقف لحظة لأتحدث إلى فتاة أو أنظر إليها ... لكن هذا ما حدث فقد جاءت « سندريلا » من الإسكندرية والتى لم أكن أعرفها أو رأيتها من قبل... نعم سندريلا فأنا ابن الريف وهى بنت الإسكندرية ، التى ولدت وعاشت فيها ونمت وترعرعت على شاطئ بحرها تحلم كما يحلم بنات البندر ، وتتطلع إلى فارس الأحلام الذى يعبر بها البحار ، ويجاوز بها عنان السماء ثم يحط بها فى أرض السعادة والاستقرار ، ومكثت فى بيتنا كزائرة لأهل الريف بحكم القرابة التى تربطها بنا ، لكن قلبى غافلنى لحظات فسرى بينى وبينها تيار دافئ دون حديث أو إشارة ... وفى نهاية الزيارة ودعتنى على أمل اللقاء، وراسلتنى بريديا على مدرستى مرة بالخطاب ومرة بالهدية التى دهشت عند استلامهافي بريد المدرسة وكانت عبارة عن « كوفية » من الصوف الراقي وملصق عليها الإهداء والتوقيع ، ولم أكن أتوقع مثل هذه الهدية ، فأخفيتها بسرعة حتى لا يكتشف أمري أحد التلاميذ ، ويذيع خطأ عني أنني صاحب علاقات كتلك التي توجد بين الشباب والشابات .

لكنها كانت عندى لمحات عابرة لم يفسح القلب لها مساحة تذكر ، ولم تشغل من العقل حيزا ، لأن الأحداث بعدها تتابعت ، لكن الغريب فى الأمر وحينما اقتربت من خط النهاية ، ولاحت فى الأفق بوادر الاعتقالات ، وكنت عائدا من إحدى المظاهرات والحماس يملؤنى إذ استوقفتنى ضاربة الرمل والودع لترى بختى ، وفتحت منديلها ونشرت رملها ، وأخذت تخط فيه خطوطا وتطلق لسانها ببعض « اللوغاريتمات » وأنا محدق فيها ومستمع إليها ، وما أن بدأت تحدثنى عن الحب حتى حمل زميلى عبد الحليم ابن الأستاذ محمد عبد الحليم عيسى قطعة القماش وبعثر لها الرمل قائلا حب إيه أنت كذابة الأخ محمود لا يعرف هذا الكلام ، لكنى أحسست أنها

الحياة ولا أبعاد ما نحن فيه ، لأنه ابن العز الذى يتقلب فى النعيم وصاحب الجسم الممتلئ والوجه الأبيض الذى تنسدل عليه خصلات الشعر الحرير ، ناداني عبد الحليم قائلا : « ماذا ستفعل غدا بعد هذه المظاهرة ؟ » .

داخلى يتحدث بعد أن توقف لسانى : « سامحك الله يا عبد الحليم ألا تحس بى ؟ ألم تسمع ما قالته ضرابة الودع عن الماضى وحلاوة الحب ؟ ألم تسمع ما قالته عن المستقبل ووقوعى فى يد الحكومة؟ لست أدرى أيؤمر بى إلى السجن أم يؤمر بى إلى طريق لا عودة منه » .

وفى لحظات قليلة تشابك الماضى مع المستقبل فماذا أنا فاعل ؟ وأرجع ثانية إلى شوارع مدينة بنها التى أسير فيها وأراجع نفسى وأسائلها: « هل أنا مستعد للخوض فى معركة أنبأتنى عنها ضرابة الرمل والودع ؟ هل أنا على هذا القدر من التحمل بحيث أواصل السير ولا أسقط فى الطريق؟ ».

أيا كانت الإجابة ليس هناك فرصة للتفكير. إن الظروف من حولى دفعتنى إلى عمق العاصفة ولا داعى لإعمال الذهن فليس هناك سوى إجابة واحدة « إننى اخترت هذا الطريق فيجب أن أتحمل نتيجة اختيارى وأدخل فى عمق العاصفة » .

الطالب / محمود محمد حامد قبل دخول السجن مباشرة

الخريطة الزمنية لمراحل الدراسة

العام الدراسي	المدرسة	الصف	السن عند بداية العام	ملاحظات
١٩٤٢/١٩٤١ ١٩٤٣/ ١٩٤٢	أجهور الرمل (الإلزامية) ((المدرسة الأولية)).	الأول الثاني	٧,٥ ٨,٥	سن التقديم كان سبع سنين آن ذاك.
٤٤/٤٣ ٤٥/٤٤ ٤٦/٤٥	مدرسة السكة الحديد الأولية ((مدرسة الخطيب))	الأول الثاني الثالث	٩,٥ ١٠,٥ ١١,٥	سميت بالخطيب نسبة لأول ناظر لها.
٤٧/٤٦ ٤٨/٤٧ ٤٩/٤٨	مدرسة المساعى المشكورة الابتدائية بقويسنا.	الثاني الثالث الرابع	١٢,٥ ١٣,٥ ١٤,٥	تحصل على الشهادة الابتدائية وتعمل بها فى الدولة.
٥٠/٤٩ ٥١/٥٠	المساعى المشكورة الثانوية.	الأول الثاني	١٥,٥ ١٦,٥	ملحقة بالقسم الابتدائى.
٥٢/٥١ ٥٣/٥٢ ٥٤/٥٣	بنها الثانوية الأميرية ((بنين)).	الثالث الرابع الخامس	١٧,٥ ١٨,٥ ١٩,٥	بإنتهاء الصف الرابع تحصل على شهادة تسمى ((الثقافة)) ثم بعد الصف الخامس تحصل على ((التوجيهية)).
٥٥/٥٤ فراغ عشر سنوات فى السجن. ٦٥/٦٤ فراغ ست سنوات فى السجن. ٧٢/٧١ ٧٣/٧٢ ٧٤/٧٣	كلية الآداب جامعة القاهرة نفس الكلية نفس الكلية نفس الكلية نفس الكلية	الأول الأول للمرة الثانية الثاني الثالث الرابع	٢٠,٥ ٣٠,٥ ٣٦,٥ ٣٧,٥ ٣٨,٥	لم أدخل هذا العام ودخلت السجن عشر سنوات بحكم من محكمة الشعب وخرجت منه لأدخل امتحان السنة الأول بالكلية. ثم أدخل السجن مرة ثانية لمدة ست سنوات وأخرج منه لأكمل بقية السنوات الدراسية وأحصل على ليسانس الآداب بعد عشرين عاماً.

الفصل الرابع

العاصفة

اللواء محمد نجيب
رئيس الجمهورية

تسارعت الأحداث بعد رجوع محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية ، لكن عبد الناصر لم يمهل نجيب سوى أشهر ، ثم أحكم حوله الحصار ووضعه تحت الإقامة الجبرية في مكان موحش في المرج لم يخرج منه إلا أيام السادات .

وعومل معاملة سيئة لا تليق بكرامة الإنسان ، فضلا عن أنه رئيس الجمهورية ورفيق السلاح الذى تصدر الانقلاب وعرض نفسه للموت لو فشلت الخطة ، واحتدم الصراع فى الجيش بين المؤيدين لرئيس الجمهورية والمؤيدين لعبد الناصر – وفى الجانب الآخر بلغ الصراع مداه بين الإخوان وعبدالناصر الذى حسم كل الصراعات لصالحه حتى مع الذين كانوا معه وأيدوه ، ولم يستمر معه إلا نفر قليل .

ولأن عبد الناصر كان على علاقة قديمة مع الإخوان ويعرف كثيرا من قياداتهم وبعض تنظيماتهم فإنه استطاع أن يفتح الثغرات فى صفوفهم وكثف الهجوم عليهم بصورة دموية ، وانتصر عليهم إلى حين بأن وضعهم فى السجون والمعتقلات ، على الرغم من أن الإخوان كانوا القوة الشعبية الوحيدة المنظمة والمدربة ، ولها أدوار فى حرب فلسطين وفى حرب القناة، ويستطيعون المبادأة بتغيير النظام والوقوف فى وجه عبدالناصر ، إلا أنهم كانوا لا يريدون أن يصلوا بالصراع إلى نقطة اللاعودة ، خاصة أن الإنجليز

كانوا موجودين فى القناة ويسعدهم هذا الصراع لتنفيذ مخططاتهم.

ولقد كانت مظاهرة ميدان عابدين شاهدا على قوة الإخوان ، حيث زحف طلبة جامعة القاهرة فى اتجاه ميدان عابدين فأمر عبد الناصر بحصارهم وضربهم بالرصاص على كوبرى الجلاء وكوبرى قصر النيل ، مما اضطر بعضهم إلى القفز فى نهر النيل لكنهم فى النهاية استطاعوا أن يصلوا إلى ميدان عابدين وهم يرفعون الملابس الملطخة بالدماء، وانضم إليهم من شاهدهم من الجمهور وهم فى طريقهم إلى الميدان الذى امتلأ عن آخره وكذلك الشوارع المؤدية إليه.

- **الشهيد عبد القادر عوده:**

وهنا خرج إليهم من شرفة القصر رئيس الجمهورية محمد نجيب الذى حاول أن يهدئهم ليتحدث إليهم ، لكنهم لم يستمعوا إليه فالجماهير غاضبة وتتحرك فى اتجاه البوابة الرئيسية ، وكان الأستاذ عبد القادر عودة يقود المظاهرة مع آخرين من الإخوان فأشار محمد نجيب إليه أن يصعد ليتفاهم معه .

وحينما صعد إليه ووقف بجانبه بعد أن تبادلا وجهات النظر تحدث الأستاذ عبد القادر عودة إلى الجموع الهادرة بكلمات قليلة أن تهدأ وتنصرف بلا هتاف ، وفى دقائق معدودة خلا الميدان وكل الشوارع المؤدية إليه من الموجودين - لكن الأستاذ عبد القادر دفع الثمن غاليا على وقفته هذه ، فهو الذى يقود الجماهير ويقدر على توجيهها فكافأه عبد الناصر بالإعدام .

لكن الفكر لا يموت بموت صاحبه ، فمطاردة عبد الناصر للإخوان

جعلهم يفرون بدينهم وينتشرون فى أرجاء الأرض حاملين معهم رسالة الإسلام كى يبلغوها للناس ، حتى أنك الآن لا تجد مكانا على سطح الأرض إلا وفيه أناس يعتنقون فكر الإخوان المسلمين .

مظاهرات مارس ١٩٥٤ الشهيرة حين دعا اللواء محمد نجيب الأستاذ عبدالقادر عودة للصعود إلى شرفة سراي قصر عابدين برجاء منه للجماهير للانصراف وقد استجابت الجماهير لنداء الشهيد عبدالقادر عودة

الجالسون من اليمين : الأستاذ عمر التلمساني ، الدكتور محمد خميس حميدة ، الشهيد عبدالقادر عودة
ويظهر خلفهم الأستاذ حسن الهضيبي

رئيس التنظيم الخاص يوسف طلعت فى طريقه إلى التحقيق مكبلة يداه وراء ظهره بقيد حديدي

يوسف طلعت بين الأوغاد وآثار التعذيب واضحة

وفيما يلى أنقل بتصرف ما كتبته جريدة الدفاع الإسلامى « مارس ١٩٩٣م » عن أحداث ١٩٥٤م واستشهاد الأستاذ عبد القادر عوده .

تمضى القرون والحقب على أعلام من البشر لا تطوى ذكراهم ولا تخفى معالم حياتهم ولا تدع للنسيان سبيلاً يزحف منه على جلائل مواقفهم من أجل الحق وفى سبيل الخير .. رجال انفردوا بسجايا وخصال عاشوا على مستوى المثل والقيم وشقوا فى الحياة طريقا على مبادئ وأصول لقوا الموت فى سبيلها أو تحملوا صنوف العذاب من أجلها !؟

وعبد القادر عوده .. من هذا الصنف من الرجال .. الذين ساروا ومازالوا يسيرون على الطريق .. وقف على حبل المشنقة فازداد على الحق إصراراً، ورأى الموت بعينيه فأسرع للقياه .. ولم تكن جريمته إلا أنه قال كما قال من سبقوه على الطريق : ربى الله !!، ولم تكن فعلته إلا أنه أنكر على الظالم ظلمه للناس وأبت عليه نفسه أن يسكت على صنوف الذل والهوان يراد للأمة أن تحيا خلالها وتعيش فى ظلها .. فمضى شهيداً .. بعد أن سطر على صفحات التاريخ سطوراً لا تبلى ولا تنمحى، وحفر فى القلوب والأذهان ذكرى على مر الأيام تنمو وتزدهر !!

خرجت جموع الأمة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٤م تطالب الحكام بالإقلاع عن الظلم وتنحية الظالمين ، وكانت مظاهرة عابدين هى أول وأخطر حيثيات الحكم على الشهيدعبد القادر عوده - بعد ذلك - بالإعدام .؟!!

كانوا موجودين فى القناة ويسعدهم هذا الصراع لتنفيذ مخططاتهم.

ولقد كانت مظاهرة ميدان عابدين شاهدا على قوة الإخوان ، حيث زحف طلبة جامعة القاهرة فى اتجاه ميدان عابدين فأمر عبد الناصر بحصارهم وضربهم بالرصاص على كوبرى الجلاء وكوبرى قصر النيل ، مما اضطر بعضهم إلى القفز فى نهر النيل لكنهم فى النهاية استطاعوا أن يصلوا إلى ميدان عابدين وهم يرفعون الملابس الملطخة بالدماء، وانضم إليهم من شاهدهم من الجمهور وهم فى طريقهم إلى الميدان الذى امتلأ عن آخره وكذلك الشوارع المؤدية إليه.

- **الشهيد عبد القادر عوده:**

وهنا خرج إليهم من شرفة القصر رئيس الجمهورية محمد نجيب الذى حاول أن يهدئهم ليتحدث إليهم ، لكنهم لم يستمعوا إليه فالجماهير غاضبة وتتحرك فى اتجاه البوابة الرئيسية ، وكان الأستاذ عبد القادر عودة يقود المظاهرة مع آخرين من الإخوان فأشار محمد نجيب إليه أن يصعد ليتفاهم معه .

وحينما صعد إليه ووقف بجانبه بعد أن تبادلا وجهات النظر تحدث الأستاذ عبد القادر عودة إلى الجموع الهادرة بكلمات قليلة أن تهدأ وتنصرف بلا هتاف ، وفى دقائق معدودة خلا الميدان وكل الشوارع المؤدية إليه من الموجودين – لكن الأستاذ عبد القادر دفع الثمن غاليا على وقفته هذه ، فهو الذى يقود الجماهير ويقدر على توجيهها فكافأه عبد الناصر بالإعدام .

لكن الفكر لا يموت بموت صاحبه ، فمطاردة عبد الناصر للإخوان

جعلهم يفرون بدينهم وينتشرون فى أرجاء الأرض حاملين معهم رسالة الإسلام كى يبلغوها للناس ، حتى أنك الآن لا تجد مكانا على سطح الأرض إلا وفيه أناس يعتنقون فكر الإخوان المسلمين .

مظاهرات مارس ١٩٥٤ الشهيرة حين دعا اللواء محمد نجيب الأستاذ عبدالقادر عودة للصعود إلى شرفة سراي قصر عابدين برجاء منه للجماهير للانصراف وقد استجابت الجماهير لنداء الشهيد عبدالقادر عودة

الجالسون من اليمين : الأستاذ عمر التلمساني ، الدكتور محمد خميس حميدة ، الشهيد عبدالقادر عودة ويظهر خلفهم الأستاذ حسن الهضيبي

رئيس التنظيم الخاص يوسف طلعت في طريقه إلى التحقيق مكبلة يداه وراء ظهره بقيد حديدي

يوسف طلعت بين الأوغاد وآثار التعذيب واضحة

وفيما يلى أنقل بتصرف ما كتبته جريدة الدفاع الإسلامى « مارس ١٩٩٣م » عن أحداث ١٩٥٤م واستشهاد الأستاذ عبد القادر عوده .

تمضى القرون والحقب على أعلام من البشر لا تطوى ذكراهم ولا تخفى معالم حياتهم ولا تدع للنسيان سبيلاً يزحف منه على جلائل مواقفهم من أجل الحق وفى سبيل الخير .. رجال انفردوا بسجايا وخصال عاشوا على مستوى المثل والقيم وشقوا فى الحياة طريقا على مبادئ وأصول لقوا الموت فى سبيلها أو تحملوا صنوف العذاب من أجلها !؟

وعبد القادر عوده .. من هذا الصنف من الرجال .. الذين ساروا ومازالوا يسيرون على الطريق .. وقف على حبل المشنقة فازداد على الحق إصراراً، ورأى الموت بعينيه فأسرع للقياه .. ولم تكن جريمته إلا أنه قال كما قال من سبقوه على الطريق : ربى الله !!، ولم تكن فعلته إلا أنه أنكر على الظالم ظلمه للناس وأبت عليه نفسه أن يسكت على صنوف الذل والهوان يراد للأمة أن تحيا خلالها وتعيش فى ظلها .. فمضى شهيداً .. بعد أن سطر على صفحات التاريخ سطوراً لا تبلى ولا تنمحى، وحفر فى القلوب والأذهان ذكرى على مر الأيام تنمو وتزدهر !!

خرجت جموع الأمة فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٤م تطالب الحكام بالإقلاع عن الظلم وتنحية الظالمين ، وكانت مظاهرة عابدين هى أول وأخطر حيثيات الحكم على الشهيدعبد القادر عوده - بعد ذلك - بالإعدام .؟!!

▪ **الطواغيت لا يعتبرون:**

إن اضطهاد الفكر يساعد على نضجه وانتشاره ، خاصة إذا كان فكرا دينيا. وتعذيب أصحابه وانتهاك حرماتهم يجعلهم يقاومون بضراوة ، ونصيحتى لكل عاقل أو حاكم أو مالك لزمام الناس أن يأخذ العبرة من التاريخ، لقد شرد المسلمون فى الاتحاد السوفيتى ونقلوا من أرضهم إلى الأصقاع البعيدة فى سيبريا وغيرها وقتل منهم « ستالين » الملايين ، وهدم مساجدهم وحرق قرآنهم فماذا بعد هذه السنين الطويلة من الاضطهاد والنفى ؟ هل تخلى المسلمون عن إسلامهم وهل تنازلوا – ولو قليلا – عن معتقداتهم ؟ هل نسوا قرآنهم ومساجدهم بمرور الزمن ؟؟ لا والله لقد عادوا بقوة بعد أن محصتهم المحن ودرسوا واستفادوا فأصبحوا أكثر وعيا وفهما واقتربوا أكثر من ربهم وازدادوا تمسكا بدينهم وهم الآن ينادون بتحكيمه فى أرضهم ، وقد رأيت بعينى وسمعت بأذنى فى إحدى محطات التليفزيون أحد هؤلاء الرجال الذين يشاركون فى حكم دولة من الدول الإسلامية التى تحررت عن الاتحاد السوفيتى ، سمعت محدثه يسأله عن التيار الإسلامى الذى ينتمى إليه فرد بلغة عربية فصيحة أنا أنتمى إلى تيار الإخوان المسلمين.

يا الله !! فكر الإخوان المسلمين موجود فى دول الاتحاد السوفيتى سابقا نعم وفى كوريا على الطرف البعيد من الأرض بل وفى أمريكا التى تحارب الإسلام. لقد دخل الإسلام الشيشان فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ سنه ٢٢ هـ ومنذ هذا التاريخ والشيشانيون يحاربون من أجل عقيدتهم ، ولقد هاجم التتار ديار الإسلام وسفكوا الدماء لكن الإسلام انتصر عليهم بأن ألان قلوبهم ودخل عقولهم فدخلوا فى هذا الدين يحاربون

من أجله ، حتى أنهم وهم فى دولتهم تتارستان أجبروا جيرانهم أهالى موسكو على دفع الجزية.

ولأنه دين الله وليس من إخراج البشر فإنه باق ومستمر ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(١). والطواغيت لا مكان لهم بين الناس ولا مكان لهم فى التاريخ ولا مكان لهم عند الله إلا فى جـنهم ، ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٢) لأنهـم استباحوا حرمات الله واستحلوا دماء الناس .

والعجيب أن الطواغيت لا يأخذون العبرة ممن سبقوهم. ولن يأخذوا..!! لأن الشيطان يوسوس لهم باستمرار ، فحينما أشرف فرعون على الغرق ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣)، ﴿ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٥) .

ونصيحتى لهؤلاء الذين ملكهم الله زمام الناس أن يتركوهم يفكرون ويعتقدون كما يشاءون حتى لو كفروا بالله ، فالله قد وفر لهم حرية الاختيار

---

(١) سورة الرعد الآية رقم ١٧ .
(٢) سورة البقرة الآية ١١٤ .
(٣) سورة يونس الآية ٩٠ .
(٤) سورة المؤمنون الآية ١٠٠ .
(٥) سورة الأنعام الآية ٢٧، ٢٨ .

والاستفتاء على نفسه فقال ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ لأن كل الأفكار والمعتقدات ستندثر ولا يبقى إلا الصالح منها لأمر الناس ، وهذه سنة الحياة أليست هذه هى الديمقراطية التى يتحدثون عنها ؟ حتى الذين يتشددون فى الدين. دعوهم فسوف يندثرون لأن الدين متين « **ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فاوغل فيه برفق** » ولأنهم متشددون حتى فيما بينهم فإنهم سيختلفون وينفضون. ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1].

- **العاقبة للمتقين:**

ونحن لا نخاف على هذا الدين من أعدائه فالله حافظه. وهو ببساطته قادر أن يشق طريقه ويتجاوب مع الفطرة ، ويتعامل مع النفس البشرية كما تعامل من قبل مع التتار. فهو دين إيجابى يتعامل مع كل الضربات ويرد على كل السهام ، والهجوم عليه يزيده حيوية ونشاطا ، حيث تتجلى تشريعاته فيقترب الناس منه ، وتتضح قوانينه فيسهل عليهم فهمه وإدراك مراميه ، والقرآن وهو دستور المسلمين نزل فى المعارك فلن نفهمه حق فهمه إلا اذا عايشناه فى المعارك ، وهى مستمرة معنا لأننا أصحاب حق وأصحاب عقيدة نريد أن ننشرها بين الناس.

والقافلة تسير ونحن جزء منها فيجب علينا أن نستعد للسفر الطويل

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٢، ١٧٣ .

بالزاد الكافى، ولأننا عباد من عباد الله وجند من جنوده فيجب علينا أن نحمل هذا الدين بقوة والناجى منا يأخذ بيد أخيه ، ونحن نتاجر مع الله وهى تجارة رابحة ، ونعمل فى مزرعة الإيمان ودورنا أن نضع الحب ونتعهده ونأخذ أجرنا من الله الذى يتولى الإنبات ، وأقول للذين تعبوا وتحملوا الأذى ولا يزالون فى الطريق مع ركب المؤمنين ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ولا ننسى أننا بايعنا الله ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2] .

مكتب الإرشاد عام ١٩٥٤

حسن الهضيبى فى الوسط وإلى يمينه محمد خميس حميدة وعبدالرحمن البنا وحامد أبو النصر وعبدالعزيز عطية وعمر التلمسانى وإلى يساره عبدالحكيم عابدين وعبد القادر عودة وكمال خليفة ومحمد فرغلى

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢٨ . (٢) سورة الفتح الآية ١٠ .

الأستاذ حسن الهضيبي يؤم أعضاء مكتب الإرشاد وأعضاء مجلس الثورة في الصلاة
عام ١٩٥٣ بمقر مجلس قيادة الثورة
من اليمين : الأستاذ عمر التلمساني ـ حسين الشافعي ـ الشيخ عبدالمعز عبدالستار ـ الصاغ كمال الدين حسين – الشهيد عبدالقادر عودة – الأستاذ عبدالحكيم عابدين – الأستاذ عبدالرحمن البنا – الأستاذ حسين كمال الدين – الشهيد الشيخ محمد فرغلي – الأستاذ محمد حامد أبو النصر –
من الخلف : جمال عبدالناصر – المشير عبدالحكيم عامر – جمال سالم – زكريا محي الدين – الدكتور خميس حميدة

على قبر الإمام الشهيد حسن البنا في ذكرى استشهاده من اليمين جمال عبدالناصر ثم الأستاذ حسن الهضيبي ثم الرئيس محمد نجيب ثم الشيخ عبدالرحمن البنا والد الشيخ حسن البنا ثم عبدالرحمن البنا شقيق الشهيد حسن البنا ثم الشيخ حسن الباقوري وفي الصف الثاني من اليمين الشهيد عبدالقادر عودة فالأستاذ خميس حميدة

دمـاء في الزنازين

• سجـن القلعـة

إن عمـق العاصـفة معنـاه أننـى كالقشة بين تيار صاعد وآخر هـابط ، ورياح عاتيـة تهوى بى إلى مكان سحيق ،

ولـيس هنـاك معقـول أو غيـر معقـول فقـانون المكان السجن الحربى يسمح بالتعامل معك حتى الموت ، وحراسه مثل حراس جهنم فالشفقة والرحمة والإنسانية كلمات لا معنى لها عندهم ، وليست فى قاموسهم ، فيستقبلون الضحية على الباب والشرر يتطاير من أعينهم ، ولا ينتظرون الدخول ويبدءون فى التعامل معها حسب البرنامج المعد والمطبق يومياً.

وفـى يـوم ١٢ ديسـمبر ١٩٥٤م تـم القبْض علـى ، وعلـى إخـوانى الأجاهرة ، فى سلسلة من المشاهد توزعت علينا حسب ظروف كل واحد منا وحسب المكان الذى كان فيه ، واجتمعنا أخيراً فى سجن القلعة لنبدأ المشهد الأول من قصة العاصفة .

لقد دخلت ليلا من بوابة ضخمة تطل على ساحة كبيرة وينفتح عليها الآن أبواب مسجد محمد على والمتحف الحربى وبمجرد دخولى أمرنى الضـابط أن أخلع ملابسى ولا يبقى على جسمى سوى الفانلة والكلبـون وفى أثناء تنفيذى لهذا الأمر سمعت الصراخ يأتى من الداخل ، وسمعت فرقعات العصى عالية تختلط بالصـراخ والأنين فأيقنت أننى مقبل على امتحان كبير طالما أعددت نفسى له بالنفس الطويل والتدريبات الشاقة

﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (١).

ولم يكن لى على ما يبدو مكان فى الزنازين فقد امتلأت عن آخرها فأدخلونى فى عنبر تحت الأرض ، ظلامه حالك وتبينت فيه قضيبا من الحديد يمتد من جدار إلى جدار وأعتقد أنه مجهز لتعليق المعذبين..

لكن دورى لم يأت بعد والزبانية مشغولون بغيرى فى الزنازين العلوية ، ومن الجائز أن يتحدد مصيرى على هذا القضيب فى الغد الباكر ، ولما كان الظلام دامسا يمنعنى أن اكتشف جوانب العنبر وأبعاده فإنى سمعت صوت أنين خافت لإنسان على حافة الموت ، لكن هذا الصوت يأتينى من بعيد ولا أرى أين صاحبه وربما يكون ملقى على الطرف الآخر من العنبر ، وقد علق على هذا القضيب نهار هذه الليلة ، وبعد لحظات فتح الباب ودخل قادم جديد ، فإذا هو الأخ سعد منسي فأتنست به لأن يتحرك معى خطوات داخل العنبر ، فأنا مازلت قريبا من الباب ، وأخشى التحرك نحو المجهول فى ظلمة هذا الليل ، ثم داست قدماى على بطانية فجلسنا عليها وطال بنا الجلوس ، ونحن نسمع أصوات المعذبين وصرخاتهم حتى تعبنا ونمنا فى مكاننا على نصف البطانية ، وتغطينا بالنصف الآخر لنحمى أنفسنا ولو قليلاً من برد شهر ديسمبر .

وفى الصباح أدخلوا كل واحد منا فى زنزانة واستمر مقامى بزنزانتى بضع الأيام لا أخرج منها إلا للتحقيق ليلاً ، ولقد كان انتظار البلاء أصعب من وقوعه ، وتهون العصى التى تنزل على جسمى بجانب انتظارى وترقبى وحذرى مما هو قادم ، لأن صراخ المعذبين لا يتوقف ، ولأن زنزانتى رقم ٤٣ شأن كل الزنازين فى القلعة لها فتحة فى أعلى السقف يقف عليها حارس بالسلاح ، ولا علاقة له بالتعذيب ، وربما يكون من الناس الطيبين

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٣ .

قد جاءت به الظروف رغم أنفه إلى هذا المكان ، وبالفعل كان حارسى فوق سقف زنزانتى من هؤلاء الطيبين فيمكننى أن أوجه نظرى نحو فتحة السقف فأرى حركاته وأسمع صوته ، ولما علا الصراخ فى إحدى الليالى جزع وحزن ، وسمعته يدب كعب سلاحه ويقول بغضب : « إيه الكفر ده ؟ » .

لاحظ أنه ليس من جماعة التكفير وإنه إنسان بسيط لكنه حكم على عمل الجلادين بالكفر فهل إذا ضاق أحد المعذبين بجلاديه وأشرف على الموت بل ورأى إخوانه يموتون أمامه هل نعذره إذا رماهم بالكفر ؟ واعتزل المجتمع وخاصم الدنيا كلها؟ هكذا نشأت فكرة التكفير ، فهؤلاء المجرمون هم المتسببون الحقيقيون فى وجود فكر التكفير ، وفى الخلل الذى أصاب الشباب وذلك بجهلهم وطريقتهم الوحشية البعيدة كل البعد عن الأدمية. لكن على أية حال فسجن القلعة هو بداية مرحلة طويلة من الآلام وبداية اختبار استمر معى ستة عشر عاماً ، وامتد مع إخوان آخرين لأكثر من عشرين عاماً.

لقد بنى صلاح الدين الأيوبي هذه القلعة لتكون مقرا للدفاع عن القاهرة ، ونقطة انطلاق الجيش المصرى لهزيمة التتار وهزيمة الصليبين ، لكن الجلادون حولوها إلى سجن لجلد المصريين وتعذيبهم وكسر شوكتهم وهزيمتهم من داخلهم ، فلم يستطيعوا الصمود أمام اليهود فى معركتين حاسمتين دمر فيها الجيش المصرى ، وشتان بين من يقود شعبه وجيشه إلى النصر فى معركة خارج الحدود ، وبين من يضرب ويتحطم جيشه داخل أراضيه.

ثلاثة أيام قضيتها فى التعذيب والتحقيق بدون ملابس فى وسط البرد القارص ، وفى حجرة علوية مفتوحة النوافذ ، يدخل منها تيارات الهواء ونحن فى منتصف شهر ديسمبر إلى أن رحلت إلى السجن الحربى لتكملة مشوار التحقيق والتعذيب.

• السجن الحربي

ما إن رحلت عن القلعة فى يوم ١٩٥٤/١٢/١٥م وهبطت قدماى أرض المحرقة على باب السجن الحربى حتى بادرنى الزبانية الواقفون على الباب بالصفع والركل .

ولم يمهلونى حتى أعبر من البوابة السوداء ، إلى الأراضى المحروقة ، وأنا من جانبى أسرعت بالدخول هربا من هذا الاستقبال ، وأنا أعلم أن خارج الباب أفضل بكثير من داخله ، وحافة جهنم أقل حرارة من داخلها ، لكنها فى النهاية مواطن يهرب منها المعذبون ، حتى لو كان الهروب إلى الأسوأ فبين هذه المواطن مسافة تتيح للمعذبين أن يلتقطوا أنفاسهم ويستجمعوا قواهم ، وفى النهاية خطت قدماى عتبة جهنم ، ورأيت الغلاظ الشداد وبأيديهم مقامع من خشب أو حديد يضربون بها الوجوه والأدبار ، يستقبلنى أولهم ويتسلمنى ثانيهم وثالثهم ورابعهم ، حتى أنتهى إلى آخرهم، فيكونوا جميعاً قد شبعوا وارتوا من دمى ، بالرغم من أنه قد حقق معى فى القلعة ولست فى حاجة إلى مزيد من الضرب ، لكن لابد من هذا الاستقبال ثم التجهيز ليلة المحاكمة ، وإذا لم يكن التجهيز محكماً وكافيا فيمكن أن يرفع القاضى الجلسة لمدة نصف ساعة ليتم التجهيز من جديد خلف المحكمة ، أو فى أسفلها ، ثم يعود المسكين مرة ثانية أمام القاضى ليكون على أتم استعداد لأن يحكى عن مؤامراته ضد الدولة ، وضد رئيسها ، بل وضد العالم الآمن إن تطلب الأمر هذا الاعتراف.

التجهيز للمحاكمة:

لذا فإننى لن أحكى سوى ما دار ليلة التجهيز للمحاكمة ، فلقد نودى على الذين سيحاكمون فى الغد أن ينزلوا إلى فناء السجن الكبير ، ووقفوا صفين لأن عددهم كان كبيرا ، ولست أدرى ما هذه المحكمة التى ستحاكم كل هذه الأعداد غداً دفعة واحدة فى يوم واحد ؟ لكن لا داعى للتفكير فى الغد ، ولا داعى للتفكير فى المحكمة فهى ليست محكمة ، وإنما هى امتداد للسجن الحربى وتصديق على أحكامه ، ويجب أن ينحصر تفكيرى فى لحظتى التى أعيشها ، الآن فى ليلتى الطويلة أمام حمزة البسيوني قائد السجن الحربى الذى سيقول كلمته ويقضى بحكمه حتى لو كان بالإعدام ، وعنده القدرة على التنفيذ الفورى ، فصحراء العباسية خارج السجن مليئة بالجثث التى حكم عليها وما عليهم إلا أن يزيدوها بجثة أخرى وقد تتلوها أخريات ، « يمكنك الآن أن تقرأ الفاتحة وأنت مطمئن على أرواح هؤلاء الشهداء وأنت تمر أمام استاد القاهرة أو أمام منصة العرض وغيرها من الأماكن التى كانت صحراء تجاور السجن الحربي » .

اصطف جمعنا ليلاً فى فناء السجن الكبير يوم ١٩٥٤/١٢/٢٧ وأنظارنا وأسماعنا تتجه نحو حمزة البسيوني وكأن على رؤوسنا الطير ، لا تسمع همسا ولا تحرك رمشا فسوف يتلو قراراته والعساكر فى كل مكان حولنا جاهزون للتنفيذ . فتح سترته فى خيلاء فى ليلتنا الباردة وظهر صدره الذى لا يعبأ بالبرد لأنه كما يقولون ممتلئ بالخمر ، وحوله كلابه الضخمة يسلطها على أحدنا متى شاء... ، وتقدم نحونا خطوات فى عجب وكبرياء ثم قال كلمات بسيطة بصوت فيه نبرات الثقة والقدرة... « أنتم رايحين المحكمة... وتقول اللى أنت وقعت عليه بخطك وإن غيرت كلمة واحدة فسوف ترى مصيرك بعد العودة... ولن يكون إلا الموت. وأنتم عارفين والأحكام جاهزة فلا تتعبوا أنفسكم ، وتستطيعون أن تتأكدوا لو اعترف أحد منكم الآن على

أى كبير فى الدولة... فقط اعترف على أى وزير الآن وسوف تراه معكم بعد لحظات...» طال صمته، ونظراته تحوم حولنا ثم قال : « يا أمين شوف شغلك » .

وبدأ الشاويش أمين « مايسترو التعذيب » يمارس عمله ، يضرب بقوة وبإحكام وبتمكن أمام حمزة ، « فإنه قريبا جداً كما يظن لابد أن يأخذ رتبه ضابط » لكن كفاية عليه علاوة الإجرام ، وحظوته عند حمزة البسوني، وأنه يضرب كبراء البلد ، ومنهم ضباط كبار أصبح الآن يأمرهم ويشتمهم ، ثم يعذبهم ويرحمهم أحياناً إن شاء فى غيبة حمزة البسيوني.

جعلونا نجرى بسرعة فى شكل دائرة كبيرة داخلها عساكر ممسكين بالكرابيج والعصى يضربوننا بقوة فنسرع فى الجرى فرارا من الضرب وخارج هذه الدائرة عساكر رافعين السلاح نحونا حتى نظل نجرى ونتحاز نحو العصى والكرابيج .

واستمر الجرى والضرب ساعات حتى سقط منا كبار السن ومرضى القلب ، ويستمر الضرب فيهم وهم صرعى على الأرض لا يستطيعون الحراك ، وينادى أحدهم على العسكرى : « يا ابنى ارحمنى... أنا كبير... أنا عندى مرض القلب...» .

ولكن العسكرى لا يفهم ولا يرحم ، ولو رحم فلن يرحمهما أمين ، كل هذا وحمزة يشاهد ، ثم يذهب وحوله الكلاب ، ثم يعود ثانية ، ويشاهد مرة أخرى ، ولما رأى أحد الإخوان ينظر إلى السماء يستعطفها ، أوقف الطابور وقال له :

« أنت بتدعى علينا... إحنا ما بنخفشى... أبقى خلى ربنا يحوش عنك» .

ثم أمر بالحركة والضرب من جديد ، لكنى لم أتعب حتى الآن وأقول لحمزة فى نفسى... « معك للفجر » وأجرى بسرعة فلا تلحقنى الكرابيج...

لأننى قريب عهد بالتدريب والجرى السريع لمسافات طويلة وجسمى رياضى وأنا فى العشرين من عمرى ، وانتهت ليلتنا بعد أن سقط منا الكثير ، وبعد أن تسلمنا جميعا الإدعاء.

وأصبحنا فى الغد منهكين ندخل المحكمة فى طابور ، ويلقى المدعى تهمه على كل واحد منا فى لحظات ، والقاضى العسكرى يسمع ويؤمن ويأمر بالانصراف ، والرشاشات مصوبة خلف ظهورنا ، وفى ساعتين كان كل شيء قد انتهى بالنسبة لهذا الجمع الكبير .

وعدنا بعدها فى يوم آخر وفى طابور آخر نسمع الأحكام ، واحدا وراء الآخر كل فى دوره ، والإعلام يكتب وينشر أولاً بأول عن للمؤامرة الكبرى ، وعن هؤلاء المجرمين حليقى الرءوس الذين كانوا سينسفون الكبارى ويريقون الدماء.

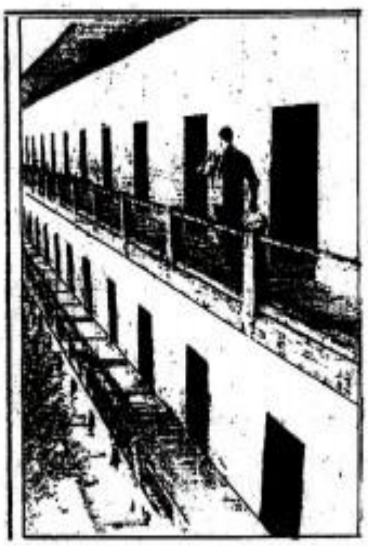

جمال عبدالناصر

عبدالحكيم عامر

صلاح نصر

السجن الحربي بالعباسية قبل هدمه

وقد شهدت زنازينه وجدرانه ابشع انواع والوان التعذيب

▪ انتهت المعركة:

وانتهت المعركة وانتصرت الدولة على الخارجين على القانون ونال كل واحد منهم الجزاء الذى يستحقه ، وحكم على مجموعة أجهور الرمل « الأجاهرة » بعشر سنوات مع الأشغال الشاقة للأستاذ السيد عفيفى الشيخ باعتباره أدار جهازا سريا مسلحا ، أما بقية المجموعة فقد حكم على كل واحد منها بالسجن عشر سنوات ، باعتبارهم قد اشتركوا فى جهاز سرى مسلح ما عدا الأخ محمد عبد الغفار سالم المتهم الأخير فقد حكمت عليه المحكمة بعشر سنوات سجن مع إيقاف التنفيذ ، وكان ذلك فى يوم ١٩٥٤/١٢/٢٩م.

لنتصور معاً هذه المحكمة التى أطلقوا عليها الدائرة الثانية من محكمة الشعب ، والتى احتلت مكاناً يبدو أنه كان مخزناً كبيراً أو مسرحاً فى إحدى الوحدات العسكرية القريبة من السجن الحربى، وجلس القاضى اللواء صلاح حتاته على منصة المسرح وبجواره رتبتين عسكريتين، وخارج المبنى طابور طويل من الإخوان ينتظر كل واحد منهم دوره فى المحاكمة تحت التهديد والحراسة المشددة.

وجاء دورى ، فانتزعونى من الصف الطويل ، وأجلسونى على كرسى بجوار باب المحكمة ، لا ألتفت يميناً أو يساراً ، لأن جندياً يقف أمامى على بعد مترين يصوب سلاحه نحوى، وعلى وجهه علامات الجد والذعر فى وقت واحد.

وحينما خرج من الباب الأخ الذى كان يحاكم قبلى نودى على اسمى، فأمرنى حارسى أن أقف ثابتا وقفة انتباه، ثم أصدر الأمر الثانى بالدخول من الباب والمشى بالخطوة العسكرية فى ممر طويل حتى أصل إلى القاضى،

عبدالحميد محمد ماضي

السعيد السيد منسي

محمود محمد حامد

أبوالفتوح علي محمد الشيخ

سعد عبدالمقصود منسي

بعدها بأيام آن لنا أن نودع السجن الحربى بما فيه من حمزة البسيوني وأمين وياسين وكل الجلادين .

فبعد أن جمعونا نحن المحكوم عليهم فى سجن «٤» الموجود ضمن مبانى السجن الحربى لمدة أيام - أخرجونا إلى الفناء ووزعونا حسب الكشوف... الأشغال الشاقة إلى سجن ليمان طرة والأحكام بالسجن إلى سجن مصر وأحكام الإعدام إلى سجن الاستئناف وتوجه كل واحد منا إلى وجهته التى كتبها الله عليه ونحن راضون تماما بقضائه ، وخرجت من السجن الحربى مع الخارجين إلى سجن مصر فى يوم ١٩٥٥/١/١٨م بعد أن طافت روحى بأركان السجن تودع كل الإخوان الباقين ، ثم حلقت حول زنزانتين كانتا لى مسكنا الأولى رقم «٢٠٤» بالدور الثالث فى السجن الكبير والثانية رقم «٢٠» بالدور الأراضى في سجن «٤» وهكذا كانت النهاية ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (١).

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٢ .

محكمة الشعب

رقم القضية ____ محكمة الشعب سنة ١٩٥ / دائرة [illegible]
تاريخ [illegible] ____ سنة ١٩٥

التهمة	اسم المتهم
أتوا أفعالاً ضد نظام الحكم الحاضر وضد سلامة الوطن وذلك لأنهم في يوم ٢٦ من أكتوبر سنة ١٩٥٤ وما قبله بجهات [illegible] اشتركوا في جهاز سرى مسلح مخالفين بذلك قوانين الدولة .	عبد الحميد محمد ماضي
	السعيد السيد منسي
	محمود محمد حامد
	أبو الفتوح علي محمد الشيخ
	سعد عبد المقصود منسي
(المادة [illegible] من أمر مجلس قيادة الثورة الصادر بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٤ والمادتان ٣٤٢ من أمر مجلس قيادة الثورة الصادر بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ بشأن تشكيل المحكمة وإجراءاتها) .	[illegible]
	محمد عبد الغفار سالم

المدعي ، ____ الرئيس ____

تهمة الأجاهرة كما وردت فى الادعاء
عبدالحميد محمد ماضى ، السعيد السيد منسي ، محمود محمد حامد
ابوالفتوح علي محمد الشيخ ، سعد عبدالمقصود منسي ، محمد عبدالغفار سالم

السجن الحربى، ثم عدت إليها فى اليوم التالى ليتكرر مشهد الدخول ويقرأ على القاضى ما حكمت به محكمة السجن الحربى ليلاً ، متمثلة فى حمزة البسيونى وعصابة من أجهزة المباحث.

حاكمونى وحاكموا إخوانى، وفى اليوم التالى حكموا علينا جميعاً، الواحد تلو الآخر فى طابور طويل مع الخطوة السريعة كما تأمرنا العساكر، ثم شحنونا فى شاحنات كبيرة إلى السجن الحربى.

يومان فقط تقرر فيهما مصير عدد كبير من الإخوان أمام المحكمة العسكرية، ولم يبق إلا تنفيذ هذه الأحكام، فكيف تنفذ؟ وفى أى السجون يكون التنفيذ؟.

محكمة الشعب
مكتب التحقيق والادعاء
نموذج رقم (٣)

إخطار المتهم بالتهمة ويوم الجلسة

بعد الاطلاع على أمر مجلس قيادة الثورة بشأن تشكيل المحكمة وإجراءاتها الصادر بتاريخ ٥ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٤ (أول نوفمبر سنة ١٩٥٤)

يخطر السيد محمود محمد حامد
بالحضور أمام المحكمة (الدائرة ...)
فى الساعة ... من يوم ...
لمحاكمته عن ما نسب إليه فى القضية رقم ...
تحريراً فى ... سنة ١٩٥٤

المتلقى
لدى المحكمة

الإخطار بالتهمة ويوم الجلسة (محمود محمد حامد)

وهو من ورائى يصوب سلاحه فى ظهرى .

وخطوت خطواتى كما أمرنى العسكرى، بين المشاهدين من المباحث والصحفيين التابعين، وتفقدتهم سريعاً فلم أجد بينهم أحداً من أهلى أو معارفى يحضر محاكمتى، أو محامياً يدافع عنى، أو رجلاً واحداً يقف بجانبى ويرد عنى هذه العيون الشامتة ..

وقفت ثابتاً كما أمرنى العسكرى أمام القاضى الذى ابتدرنى بقوله « أنت مذنب أم غير مذنب ؟؟ » فقلت له : « أنا غير مذنب » ، فأمرنى بالجلوس والشرر يتطاير من عينيه والاستهتار بادى عليه، ثم أومأ للمدعى أن يكيل لى الاتهامات، والمدعى لا يحتاج إلى إيماءة ، فهو جاهز وفى جعبته كل الاتهامات، ونثرها أمام المشاهدين، ووجهها إلى المتهم الذى لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، بل لا يستطيع أن ينكر، وإلا سحب وسحل خلف المحكمة، ثم يعود بعدها ويكذب نفسه ، ويعترف أمام المشاهدين أنه مذنب.

طلب المدعى أقصى العقوبة لهذا المتهم الذى عاث فى الأرض فساداً، واشترك فى جهاز سرى مسلح ليقوض أركان الحكم العادل.

كل هذا والقاضى يهز رأسه بالموافقة، ولا يسمح لى بنظراته أن أرد على أى اتهام يوجه إلى، بل إنه اكتفى بما سمعه من المدعى وأمرنى بالانصراف، والعسكرى من ورائى بسلاحه فى ظهرى يأمرنى «سريعاً مرش» وعيون المباحث تطاردنى باللعنات والسخرية.

هذه هى محكمتى يا قوم « الدائرة الثانية من محكمة الشعب...!!! » القاضى فيها هو اللواء صلاح حتاته ، حضرت أمامها فى يوم ١٩٥٤/١٢/٢٨م بعد أن أشرف حمزة البسيونى على تجهيزى طول الليل فى

سويف ورحلت أنا مع الأخ سعيد منسي إلى سجن المنيا ورحل الأخوان عبد الحميد ماضى وأبو الفتوح الشيخ إلى سجن قنا ، وكان ذلك فى الخامس من شهر مارس ١٩٥٥م.

ولا ننس أننا فى هذين الشهرين قد عوملنا بقسوة فى سجن مصر ، فلم نخرج من الزنازين قط إلا عشر دقائق فى اليوم نملأ فيها جرادل الماء ونفرغ جرادل البول ونحاول أن نقضى حاجتنا ونتوضأ ، وكان يشرف على هذه المعاملة القائمقام إسماعيل همت ، وكان ضابطا بالجيش أتوا به إلينا ليتولى تنفيذ الأحكام حسب الأوامر التى تأتيه بالتضييق والشدة المتناهية.

وفيما يلى وصف عام للسجون المصرية ومن ضمنها سجن مصر ، وصورة الحياة التى فرضوها علينا ، وكيف تعايش الإخوان مع هذه الحياة وصبروا وتحايلوا عليها وحسنوها...

يوجد السجن فى عواصم المحافظات ويتكون أى سجن من عنبر واحد أو أكثر حسب الحجم السكانى للمحافظة وكل عنبر مكون من أربعة أدوار .

وتوجد الزنازين فى الدور الأول والثانى فقط وكل دور به ٦٤ زنزانة أما الدور الثالث والرابع فتوجد بهما حجرات عددها ١٦ حجرة فى كل دور. والعنبر مستطيل الشكل مكون من جناحين متقابلين ، والزنزانة ضيقة مساحتها ٢×٣ متر ومدهونة باللون الأسود حتى منتصف الحوائط وأرضيتها كذلك من الأسفلت الأسود وبابها مصنوع من الخشب السميك المصفح بالصاج المدهون باللون الأسود ، وفى منتصفه فتحه ضيقة ينظر منها السجان تسمى « النضارة » وتغلق من الخارج .

ويسمح هذا الباب بمساحة فى أعلاه مفتوحة ومحبوسة بالقضبان تتيح للمسجون أن يقف على الجردل ويطل منها على بقية الزنازين ، وقد أستغل

الإخوان هذه الفتحة ليخرج منها الآذان يسرى فى كل العنبر ، وقد يستغلها أحدهم فينادى منها على الإخوان فى الزنازين الأخرى إذا حزبهم أمر فيتهيئوا للظروف القادمة ، وهذا الكم من السواد فى الزنزانة يجعلها مكانا ضيقا كئيبا لا يطل على الخارج إلا بنافذة ضيقة قرب السقف حتى لا تتيح الفرصة للمسجون أن يطل منها على الهواء الخارجى فيداخله شعور بالأمل.

وحتى لا يكون هناك أى أمل فإن هذه النافذة محجوزة بشبكة من القضبان الحديدية السميكة المدهونة أيضاً باللون الأسود وهى مفتوحة دائماً ينزل منها الهواء البارد شتاء كنا نتقيه بسدها بالبطانية.

وكانت إدارة السجون فى الأحوال العادية تضع أربعة من الإخوان فى كل زنزانة ، أما إذا عصفت بنا زوابع الجلادين فإن هذه الزنزانة يحبس فيها فرد واحد مدة طويلة من الزمن لا يرى أحداً ولا يكلم أحداً فى هذه المساحة الضيقة الكئيبة المليئة بالسواد أو يحشر فيها ثمانية أفراد أو عشرة أفراد أحياناً فلا يجد أحدهم مكاناً ينام فيه ، وتخال هذه الأجساد المرصوصة ليلاً مقبرة جماعية تم الانتهاء من إعدادها.

وإذا جن الليل تمسى هذه الزنزانة معتمة تماماً ويصير الحديث عن الماضى ضرورياً وممتعاً فى شكل حكايات وقصص لا تنتهى إلا بركعات وأذكار فى جوف الليل الطويل الذى يقطع سكونه أصوات عالية تتردد على أبراج السور الخارجى يرددها الحراس واحداً بعد الآخر بصوت ممطوط يثير الخوف « واحد تمام... اثنين تمام... ثلاثة تمام... أربعة تمام...» [1]

(١) كل حارس على السور الخارجى له رقم يصيح به بأعلى صوته ثم يليه فى الصياح الحارس الثانى والثالث ... وهكذا حتى ينتهى الأخير ثم تعود الدورة من الأول ... وهكذا طول الليل دليل على يقظتهم.

وهكذا بلا توقف طول الليل حتى ظن أحد الإخوان فى أول الأمر أنهم يقولون : « واحد كمان... اثنين كمان...» وهكذا... فقال : « يبدوا أن السجن قد امتلأ عن آخره بالإخوان ...» .

▪ زنزانة المجانين:

لكن هناك زنزانة واحدة فريدة فى السجن كله توجد فى الدور الأرضى خصصت لمن يحدث له هيجان فإذا دخلها تذهب ببقايا عقله وبقايا آدميته.

فالزنزانة مبطنة بالجلد فى شكل قوالب منتفخة نحو داخل الزنزانة مما يجعل الجدران تقترب من بعضها وتضيق وتضغط على نفسية الجالس فيها فتزيده جنونا على جنونه ، وتمر الأيام وهو جالس فيها ومعه جردل من الجلد للبول وآخر للماء ، حتى ينتهى تماما فلا يبقى العقل ولا يبقى الجسد.

▪ غرفة الإعدام:

وهناك غرفة أخرى أيضاً فريدة لكنها منعزلة عن السجن كله ، ويخاف أى سجين أن يمر بجوارها ، ولا تفتح إلا مرات عديدة فى السنة ، وزوارها مضطرون لكنهم لا يعودون يدخلونها ولا يخرجون منها إلا بعد أن تخرج أرواحهم من أجسادهم... تلك هى غرفة الإعدام وهى مكونة من غرفتين إحداهما سفلية فارغة ولها باب على الفناء ، والأخرى علوية يصعد إليها الداخل عن طريق سلم خارجى وتفتح على الغرفة السفلية بفتحة مربعة فى الوسط تغلق بألواح من الخشب يطلق عليها « الطبلية » وتفتح مثل الباب عن طريق « المفصلات » .

وفى يوم التنفيذ ترفع الراية السوداء على السجن ويتأخر فتح الأبواب على جميع المساجين وحينئذ يحس المحكوم عليه بالإعدام أن ساعته قد دنت وأنه وحيد الآن فى زنزانته ويلبس الملابس الحمراء ، وليس بجانبه أحد يعينه ويخفف عنه ، ويفتح عليه الباب فى حوالى الساعة الثامنة صباحاً فلا تبقى له فى الحياة على ظهر الأرض سوى دقائق يخطو خلالها الخطوات الأخيرة فى ساحة العنبر ، ويلقى النظرات الأخيرة على كل الذين يودعونه بنظراتهم من خلال الفتحات العليا للأبواب ، وقد يسألهم الدعاء إن كان متماسكا ، ويسير بين شرطيين يتأبطان ذراعيه نحو سلم المقصلة ، ويقف أمام جهات التنفيذ من النيابة ومصلحة السجون والطب الشرعى وأحد الوعاظ الذى يلقنه الشهادتين بعد أن يتلى عليه نص الحكم بالإعدام ، ثم يتقدم منه عسكرى غليظ يسمى « عشماوي » ويضع القيد فى يديه خلف ظهره ويلبسه غطاءا أسود على رأسه يتدلى على عينيه ثم يدفع به ليقف على الطبلية ويوضع الحبل المتدلى حول رقبته ، وبإشارة من ضابط التنفيذ يفتح عشماوى الطبلية فتتحرك الألواح الخشبية من تحت قدميه إلى أسفل ، فيهوى سريعاً إلى الغرفة السفلية فتنكسر عظمة صغيرة في الرقبة المعلقة فى الحبل ويتأكد الدكتور من وفاته بعد دقائق ثم يسحب من باب الغرفة السفلية إلى الخارج.

أما عن دورات المياه فى كل دور فهى أماكن مكشوفة مرتفعة على قواعد حديدية تحتها أوانى كبيرة لاستقبال البول والبراز بلا أبواب أو ستائر ويجلس عليها السجناء متراصين مكشوفين أمام من ينتظرون دورهم. .

▪ تحية إلى الأستاذ عمر التلمسانى:

وأحكى قصة حدثت فى دورة المياه فى سجن مصر للأستاذ عمر التلمساني عضو مكتب الإرشاد ومن السابقين الذين رافقوا الأستاذ حسن البنا في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين ، وكانت دورة المياه عادية لكنها بدون أبواب وكانت المدة المسموح بها لدخول دورة المياه قصيرة لأعداد كبيرة ، فكنا ندير ظهورنا للجالس فى الحمام ونستره بفوطة من القماش نمسكها بأيدينا من الخلف ، وكانت شخصية الأستاذ عمر فيها كمية من الحياء لو وزعت على جموع من الناس لكفتهم كما أن هذه الشخصية امتازت على فترات السجون بالقبول حتى مع الجلادين ، وكان بوجهه الأبيض وملامحه السمحة وهامته العالية تحسبه إذا تحرك أنه آت من أعماق التاريخ من العهد الرومانى... هذه الشخصية أعجبت أحد المساجين العاديين فأحب أن يتقرب إليه فى غفلة من السجان فأعد كوبا من الشاى كى يهديه إلى الأستاذ عمر فى محنته ، والمعروف أن الشاى ممنوع والحصول عليه صعب لكن المساجين لهم طريقتهم فى الحصول عليه وفرصة اللقاء والعطاء لن تكون إلا فى دورة المياه ، وحينما جلس الأستاذ عمر فى دورة المياه ليقضى حاجته والإخوان يسترونه اندفع هذا المسجون نحوه ليقدم إليه الشاى ، وحياء الأستاذ عمر يستغيث ، ويديه ترتفع ويغمض عينيه ، وصوته المتحشرج يعبر عن الشكر للمسجون ويرجوه أن يبتعد لكن المسجون لا يحس بحالة الحياء التى يعيش فيها الأستاذ عمر فقد سلبه السجن الحياء وكل الصفات الحميدة « وإيه يعنى ، كلنا رجالة زى بعض ، ولابد أن أقدم إليه الشاى فليست هناك فرصة غير هذه الفرصة السانحة » ولأن الأستاذ عمر كان يحب النظافة إلى حد الوسوسة ، فكانت له خصوصياته فى المأكل والمشرب ، وإذا نسى أحد الإخوان وشرب من آنيته فإنه يتبرع بها لمن

شرب منها. وبالرغم من أن المسجون يصر على أن يرتكب الخطيئة الأولى وأن يقتحم على الأستاذ عمر حياءه فإنه أقدم على الخطيئة الثانية بأنه شطب كلمة النظافة من قاموس الأستاذ عمر وهو لا يدرى ، فأفرغ كوب الشاى فى « كـوز » دورة المياه الموضوع أمامه والذى يستعمل فى الاستنجاء والتشطيف. وفر مسرعا حتى لا يراه السجان ولسان حاله يقول : « اشرب يا أستاذ عمر بالهناء والشفاء » .

لاحظ أن السجن مؤسسة علاجية ومكتوب على بابه « السجن إصلاح وتهذيب » .

- **الحمام فى السجن:**

من وجهة نظرهم وحسب تعليمات السجن أن يخلع القادم ملابسه التى عاش بها فى حياة الحرية وسط الناس ، ثم يتقدم عاريا نحو الحلاق ليحلق له شعر رأسه وشعر عانته حسب دوره فى الطابور ، ثم يدخل الحمام ويستحم فى عنبر كبير تتدلى من سقفه مواسير « دش » ينزل منها الماء وكل مسجون يأخذ مكانه تحت الدش وقد يشاركه آخرون إذا كان العدد كبيراً ، وعلى باب الحمام يتسلم كل سجين ملابس السجن الكريهة، وقد تكون طويلة أو قصيرة أو واسعة أو ضيقة « أنت وبختك » وما عليك إلا أن تطوع جسمك ورأسك حسب المقاس الذى تسلمته ، وقد تكون الملابس من نسيج خفيف كالشاش السميك يتمزق مع الجسم الممتلئ فتظهر العورات ويحس السجين بالبرد فى أيام الشتاء.

وعند رحيلنا من السجن الحربى إلى سجن مصر فى يناير ١٩٥٥م مررنا بكل هذه المراحل وكان الله معنا وسترنا أنفسنا وسترنا الله فكنا فى

الحمام مثلا نلف حول وسطنا فوطة من قماش الدمور المسموح بها لنستر أنفسنا ونتحايل مع الحلاق فى غفلة السجان بأن يحلق كل واحد منا لنفسه.

الفصل الخامس

سجن ليمان طرة

بعد أن تم تصنيف الإخوان في السجن الحربي على أساس الأحكام التي صدرت ضد كل واحد منهم ، اقتربت لحظات الفراق .

وزمجر الشاويش ياسين بصوته الخشن ونبراته القاسية ، إيذانا بموعد الرحيل ، فكثرت النداءات ، وتتالت الأوامر ، وزادت حركة العساكر ، ولم يتمكن الإخوان من توديع بعضهم البعض وهم في طوابير تحيطها الكرابيج من كل جانب ، فقط التقت النظرات ، وتجاوبت الأرواح ، وسقطت الدموع ، وظهرت الإيماءات الخفيفة تعبيرا عن الوداع وأملا في وعد الله باللقاء.

تحركت أرتال السيارات في صحراء العباسية بعضها اتجه إلى سجن مصر ((قرا ميدان)) والبعض الأخر اتجه إلى سجن ليمان طرة ، وقد تحدثت سابقا عن الاستقبال ونوع المعاملة في سجن مصر حتى تم توزيعنا على سجون الوجه القبلي.

أما الأخوان الذين رحلوا إلى سجن ليمان طرة فقد تم إيداعهم في عنبر الإيراد بضعة أيام حتى يتم توزيعهم على العنابر الداخلية ، وتجهيزهم للخروج إلى الجبل لتقطيع الأحجار الجيرية من جبل المقطم ، وزنازين هذا العنبر مثل الزنازين في العنابر الأخرى ، مدهونة باللون الأسود ، ويزيد من سوادها ارتفاع جدرانها مما يجعل السجين لا يحس بفارق كبير بين الليل والنهار.

وانتقل الإخوان بعد ذلك إلى عنبر «١» وتم توزيعهم في بادئ الأمر

على أدوار متعددة لبعثرة جهودهم وإجماعهم ، لكن المساجين تأثروا بالإخوان وشاركوهم في بعض المواقف كالإضراب عن الخروج إلى الجبل، عندئذ صدرت الأوامر بجمع الإخوان في الدور الثالث في هذا العنبر الذي اشتهر بعد ذلك باسم عنبر الإخوان ، وكان يشاركهم في هذا الدور الشيوعيون الذين سكنوا في غرفة واحدة كبيرة لقلة عددهم ، كما كان يسكن في الدور الثاني بعض المحكوم عليهم من محكمة الثورة، وبعض اليهود المحكوم عليهم في قضايا التجسس ، وبقية الأدوار كانت للمساجين العاديين.

ويحتوي سجن الليمان على عنابر أربعة يحيط بها سور ضخم علاوة على السور الداخلي لكل عنبر ، وتحتل هذه المباني وملحقاتها مساحة كبيرة على نهر النيل جنوب القاهرة ، ومتوسط أعداد المساجين في حدود الأربعة آلاف.

ونظرا لأن الأحكام بالأشغال الشاقة لا يتم تنفيذها إلا في مناطق صخرية يكون العمل فيها شاقا يعتمد على تقطيع الحجارة وتجميعها لتستخدم في الأغراض المتعددة ، فإن كل الأحكام التي تصدر بالأشغال الشاقة من كل محاكم الدولة يتم تنفيذها في سجن ليمان طرة وفي سجن أبي زعبل ، والفرق بينهما أن الأحجار في أبي زعبل قاسية بازليته سوداء والتعامل معها أشق من التعامل مع الأحجار الجيرية الموجودة بجوار سجن طرة.

وزيادة في التنكيل والقسوة يتم ربط حزام من الحديد حول خصر كل سجين يتدلى منه على اليمين وعلى الشمال سلسلتان من الحديد تتصلان بحلقيتين من الحديد أيضاً حول الأرجل عند القدمين ، وكل تلك

السلاسل والقيود لتحميل الجسم بالأوزان ، وتكون ملازمة له في النوم والحركة ، ويظهر صوت حلقات السلاسل وهي تحتك ببعضها عند المشي في مجموعات كبيرة من المساجين.

طابــور الجبل :

ينزل جميع المساجين الذين يعملون في الجبل إلى ساحة الليمان ، يجلسون القرفصاء في طوابير ، ونظرهم إلى الأرض انتظار للنداء بالقيام والتحرك ، وينتشر حولهم السجانة بعصيهم الغليظة ، ويحيط بالجميع حراس آخرون يركبون الخيل استعدادا للجري وراء أي هارب.

وعندما يعطي مأمور الجبل الأمر بالنهوض والتحرك ، ما على الشاويش عوض إلا أن يكرر بصوت عال نداءاته وتعليماته ، يبدؤها بقراءة البيان اليومي : « اعلموا يا حثالة المجتمع أنكم تحت حراسة مشددة ، وأن من يحاول الهرب يعرض نفسه للخطر بإطلاق النار عليه ».

ثم يستجمع الشاويش عوض كل قوته ، وبصوت عال وحازم يصدر الأمر الأول بالنهوض قائلاً : « دوغرى [1] .... »

وكان الإخوان عندما يسمعون كلمة حثالة المجتمع وبقية البيان يضحكون ، لكن الشاويش عوض الذي كان قد أعطي ظهره للإخوان وهو يقرأ البيان يستدير نحوهم ويقول بصوت منخفض .... « الكلام ده ماش لكم » .

وعلى أنغام القيود وصوت السلاسل يبدأ طابور العبيد في التحرك بين

(١) لفظ تركي موروث ومعناه " نفذ سريعا ".

نداءات السجانة وحركة الخيالة وحراسة الكتيبة المسلحة ، ويستمر ركب الإذلال والقهر في التحرك صوب الجبل حتى يأتي الأمر بالجلوس القرفصاء مرات لإعادة عد المساجين.

حتى إذا ما وصل الركب الجبل ذهبت كل فرقة إلى مكان عملها الذي يسمي « مصلب » وكل فرقة لها رقم مصحوبا بكلمة « جمالة » ، وكانت فرقة الإخوان تسمي « ٢ جمالة » ومطلوب منها يوميا حجم معين من الأحجار المرصوصة فوق بعضها ، وتسابق الإخوان في قطع الأحجار وحملها تحت حراسة الكتيبة المسلحة المنتشرة على رءوس المرتفعات ، ومتابعة من السجانة الذين يحملون العصي الغليظة.

وبعد أيام قليلة تعرف الإخوان على العمل وعلى الضباط والسجانة ، واكتشفوا طريقهم في تسهيل العمل وكيفية التعامل مع البيئة والمحيط القاسي حولهم ، فاستأنسوا العساكر وروضوا الضباط ، وارتفعت الدندنة بالقرآن الكريم على أصوات السلاسل في أثناء الطريق ، ووضعت البرامج التربوية ، والخطط المعينة على مجابهة كل الظروف ، ومدوا يد العون والنصح للمساجين ، وارتفع صوت المؤذن في الجبل ، وأقيمت الصلاة هناك ، وسمع المساجين لأول مرة هذا النداء في هذا المكان ، وهم أحوج ما يكونون إلى من ينادي عليهم في جو العمل القاسي وجبروت العساكر والضباط ، وتخللت ترنيمات الأذان شغاف قلوبهم ، ودوت كلمات التكبير في آذانهم ، وأحس كثير منهم أنهم في حاجة إلى من ينقلهم من ظلام اليأس إلى نور الأمل والرحاب الواسعة ، فتحرك بعضهم واشترك مع الإخوان في الصلاة على كره من الإدارة التي تمنع كل هذه المظاهر ، فكانت هذه المشاركة هي بداية تحول عاطفة المساجين نحو الإخوان ، وقاعدة التعامل بينهم في كل الأمور.

لقد بدأ كثير من المسجونين يتشبهون بالإخوان في أسلوب حياتهم، وعملوا على التقرب منهم ، ويلتمسون عندهم الحلول لمشاكلهم ، وإزالة همومهم ، واستعد بعضهم أن يفعل المستحيل من أجل الإخوان.

وبسبب وجود الإخوان ذابت كل التقاليد العتيقة ، وخفت الأوامر والتعليمات التي تتنافي مع إنسانية المسجون ، فسمح للمساجين بستر العورات والاستحمام بالسراويل ، وركبت الأبواب في دورات المياه ، ودخلت الكهرباء الزنازين ، وسمح بطلائها بغير اللون الأسود .... إلى غير ذلك من الإصلاحات التي تعين على الحياة داخل السجن.

وهنا أحكي قصة يعرفها كل الإخوان الذين عاشوا في الفترة الأولي في سجن ليمان طرة.

كان عمي عبد الرازق في سجن ليمان طرة يخشاه كل الناس ... المساجين والعساكر والضباط ، ولهذا أطلقوا عليه ملك السجن.

وتسأله كيف ذلك يا عم عبد الرازق ؟

فيجيبك : « إن الحياة لا قيمة لها عندي ، وفضلت أن أقضي ما بقي من هذه الحياة داخل السجن ، والكل يتحاشاني ... » ويصمت عمي عبد الرازق ويسرح طويلا ثم يقول : « كان ذلك منذ ثلاثين عاما حينما حكم على بالسجن ثلاث سنوات ، وكان عمري سبعة عشر عاما ، ولأن طبيعتي لا تقبل الرضوخ ، فإنني دخلت في معارك كثيرة تسببت في تقديمي أكثر من مرة إلى المحكمة من داخل السجن ، حتى بلغ رصيدي من الأحكام مائة وعشرون عاما ، وعند هذا الحد استوت عندي الحياة مع الموت ، واقتنعت بذلك تماما ، وتقبلت هذه النهاية واسترحت لها ، ولذلك فأنا أعمل على أن يزيد رصيدي لأكون ملك السجن بجدارة ، ويصير أمري مطاعا عند

الجميع، وتذلل كل الصعاب أمامي ، فليس بعد الأشغال الشاقة عقوبة أشد ، وليس بعد الليمان سجن أقسي » .

ويصمت الرجل قليلا ثم يقول : « لكنني الآن تغيرت كثيرا ، وأصبحت الآن أصلى وأخاف من الله ، وإن كنت أعيش في هذه الغابة على سمعتي القديمة ، وأشكر الإخوان ، وأشكر الأخ صلاح شادي الذي كان سببا في هذه الهداية » .[1]

مذبحة سجن طرة :

كان الإخوان قد تعودوا على أن الأحداث العربية والإسلامية التي يكون للإخوان دخل فيها تنعكس عليهم سياسيا داخل السجن بالتكدير والتعذيب والترحيل إلي سجن الواحات ، لكن هذه المرة كان بالتصعيد حتى الموت.

كان عبد الناصر يساعد كل الحركات الانقلابية في العالم العربي ، وساهم الإخوان في إحباط الانقلاب الذي قام به على أبونوار في الأردن ، وكان رد الفعل عنيفا على الإخوان داخل السجون إلى حد المؤامرة علي حياتهم ، وأحس الأخوان بالخطر حينما تغيرت معاملة الضباط ، وكثرت الاحتكاكات والتعديات ، والتعنت في التفتيش وفي استلام مقطوعية الجبل وإيداع بعض الإخوان في التأديب.

وفي يوم ٢٩ مايو ١٩٥٧م حضر إلى السجن زوار من شبرا لزيارة أبنائهم ، وكانت الزيارة سلكية ، أي يحجز الزوار عن أبنائهم شبكتين من

(١) هو أحد ضباط الإخوان المحكوم عليهم وأحد الرموز في حلقة الاتصال بين جمال عبدالناصر والإخوان

السلك ، إحداهما ناحية الزوار والأخرى ناحية الأبناء ، وبينهما فراغ يتحرك فيه العسكري ، وفي مثل هذه الزيارات ترتفع الأصوات وتختلط ، وتحاول الأعداد الكبيرة المرصوصة أن تسمع فلا تستطيع ، فيحاول كل فرد أن يرفع صوته حتى الصراخ ، ولكن لا أمل ، وتكون النتيجة هي مزيد من تداخل الأصوات ومزيد من الضجيج.

وكالعادة فإن كل الزائرين يحاولون إدخال بعض الأطعمة إلى أبنائهم من خلال فتحات في السلك وسعها المساجين في زيارات سابقة ، لكن لأن الإدارة تتربص بالإخوان فإن الضابط أمسك بالأخ عبد الغفار السيد وهو يتسلم طعاما من أهله ، وجعلها جريمة كبري ، وقبض على كل الزائرين وبينهم أطفال يصرخون وبأمر من الإدارة ساقوهم إلى قسم شرطة المعادي حتى اليوم التالي ، واقتادوا الأربعة عشر أخا إلي زنازين التأديب مكبلين بالحديد ، وجردوهم من ملابسهم وحلقوا رءوسهم.

وفي يوم ٣٠ مايو استدعي مدير الليمان العقيد السيد والي أطباء السجن وأمرهم بإخراج جميع مرضي الإخوان إلى العمل في الجبل ، ولما تردد الأطباء قال لهم : إن هذه الأوامر من فوق.

وتوقع الإخوان أن تكون النية مبيته على ضربهم بالنار في الجبل بحجة الهرب وتعريض الحراسة للخطر ، واتفق رأيهم يوم الجمعة على عدم النزول للجبل يوم السبت ، وطلب النيابة العامة لأن حياتهم في خطر.

وفي صباح يوم السبت الأول من يونيو عام ١٩٥٧م فتحت الأبواب كالمعتاد ، وخرج الإخوان ليسلم كل واحد منهم ورقته التي يطلب فيها النيابة ، وبعد أن تسلم منهم الملازم عبد العال سلومة الأوراق أمرهم بالذهاب إلى الزنازين ، وفي حوالي الساعة العاشرة صباحا حضر مدير

الليمان ومعه كبار الضباط إلى العنبر وطلب أربعة من المسئولين عن الإخوان وسألهم عن سبب رفضهم النزول إلى الجبل ، فقالوا له إننا نحس بالخطر ونطلب النيابة ، عندئذ أمرهم بالانصراف وزج بأحدهم في التأديب، وتم الاتصال بالجهات العليا ، وجهزوا السلاسل الحديدية ، وبدأ الضباط في فتح الزنازين واحدة بعد الأخرى ووضع الإخوان في هذه الجنازير لإرغامهم قهرا على النزول للجبل ، لكن الأخ مرسي صادق بعد أن خرج من زنزانته انقض على العسكري وخطف منه المفتاح ومر سريعا على كل الزنازين وفتحها ، وفوت عليهم فرصة الاستفراد بكل زنزانة على حدة.

بعد حوالي ساعتين حضر اللواء إسماعيل همت بعد البلاغ السابق، ثم رجع بعد أن همس في أذنه أحد العساكر ، وارتد عائد إلى العنبر ومعه كتيبة بكامل أسلحتها ، وأخذ الجنود وضع الاستعداد في كل الأدوار ، ودخل العنبر أفراد يلبسون الملابس المدنية ميز الأخوان منهم صلاح الدسوقي وأحمد داوود من المباحث العامة ، وانتشي الطاووس إسماعيل همت وأمر الحراس بضرب النار، وظن الإخوان في بادئ الأمر أن الطلقات غير حقيقية ، لكن سرعان ما تبينوها بعد أن سقط بعضهم ، فجري الجميع للاحتماء بالزنازين ، واستمر الضرب فترة طويلة سقط فيها واحد وعشرون شهيدا وعدد كبير من الجرحى ، ثم توقف الضرب بالنار ليبدأ الضرب بالعصي الغليظة والتشفي والإجهاز على بعض الجرحى ، ونقل الباقون إلى المستشفي التي ليس فيها الإمكانيات اللازمة وعلي الأخص العمليات الكبيرة ، ولكن المدير قال : « إن لديه تعليمات بأن لا يخرج أي جريح مهما كانت حالته » .

كان النقيب عبد اللطيف رشدي هائجا كالثور ، ويقود قوة من حملة العصي الشوم للإجهاز على أكبر عدد من الإخوان بعد أن توقف ضرب

النار، وبدأ بفتح الزنزانة الأولي وكانت تسمي المخزن البحري ، وكان به تسعة من الإخوان ، فوجئوا بالعصي الشوم تصوب إلى رءوسهم ، وعبثا حاولوا تفادي الضربات ، حتى سقط منهم خمسة شهداء وغرق الأربعة الباقون في دمائهم ، وأسرعت القوة بالهجوم على المخزن الثاني وكان به أحد عشرة أخا نجوا جميعا لأن إحدى الطلقات النارية دخلت في الكالون فأحكمت إغلاقه ، فانصرفوا عنه إلى الزنزانة رقم « ١٣ » ، « ١٤ » وأجهزوا على كل من فيها.

وصدرت الأوامر بانسحاب قوة الشوم بعد أن انسحبت قوات ضرب النار ، وساد صمت القبور داخل العنبر إلا من آهات وحشرجات يصاحبها النطق بالشهادتين.

لقد مضي الشهداء إلى ربهم وعاش عبد اللطيف رشدي بعد الحادث في سعار وهوس ، حتى أردته رصاصة مجهولة ثم هرسته عربة نقل ثقيلة ، وشاع خبره حتى وصل الإخوان في سجن الواحات الخارجة.

وبعد ذلك تم إخراج الجثث من الزنازين ووضعها في الطرقات وبجوارها الأطباق والجرادل ، حتى يثبتوا أمام النيابة أن الإخوان كانوا في حالة تمرد وهيجان ، وأن العساكر والضباط استخدموا حقهم في الدفاع عن أنفسهم.

وفي اليوم التالي للحادث وفي جنح الظلام وتحت حراسة مشددة خرجت ٢١ جثة ليتسلمها زووهم بعد التشديد عليهم بعدم إقامة عزاء.

وحتى ينتهي أثر الجريمة قام الملازم عبد العال سلومة ضابط العنبر بأوامر من الإدارة بتجريد الإخوان من ملابسهم ، وسلم كل واحد ملابس قذرة ممزقة ، ثم سلسلهم جميعا في سلاسل وذهب بهم في جنح الليل إلى

النار، ويبدأ بفتح الزنزانة الأولي وكانت تسمي المخزن البحري ، وكان به تسعة من الإخوان ، فوجئوا بالعصي الشوم تصوب إلى رءوسهم ، وعبثا حاولوا تفادي الضربات ، حتى سقط منهم خمسة شهداء وغرق الأربعة الباقون في دمائهم ، وأسرعت القوة بالهجوم على المخزن الثاني وكان به أحد عشرة أخا نجوا جميعا لأن إحدى الطلقات النارية دخلت في الكالون فأحكمت إغلاقه ، فانصرفوا عنه إلى الزنزانة رقم « ١٣ » ، « ١٤ » وأجهزوا على كل من فيها.

وصدرت الأوامر بانسحاب قوة الشوم بعد أن انسحبت قوات ضرب النار ، وساد صمت القبور داخل العنبر إلا من آهات وحشرجات يصاحبها النطق بالشهادتين.

لقد مضي الشهداء إلى ربهم وعاش عبد اللطيف رشدي بعد الحادث في سعار وهوس ، حتى أردته رصاصة مجهولة ثم هرسته عربة نقل ثقيلة ، وشاع خبره حتى وصل الإخوان في سجن الواحات الخارجة.

وبعد ذلك تم إخراج الجثث من الزنازين ووضعها في الطرقات وبجوارها الأطباق والجرادل ، حتى يثبتوا أمام النيابة أن الإخوان كانوا في حالة تمرد وهيجان ، وأن العساكر والضباط استخدموا حقهم في الدفاع عن أنفسهم.

وفي اليوم التالي للحادث وفي جنح الظلام وتحت حراسة مشددة خرجت ٢١ جثة ليتسلمها زووهم بعد التشديد عليهم بعدم إقامة عزاء.

وحتى ينتهي أثر الجريمة قام الملازم عبد العال سلومة ضابط العنبر بأوامر من الإدارة بتجريد الإخوان من ملابسهم ، وسلم كل واحد ملابس قذرة ممزقة ، ثم سلسلهم جميعا في سلاسل وذهب بهم في جنح الليل إلى

سجن القناطر ليشهدوا لونا آخر من التعذيب على مدار حوالي تسعة أشهر ، حتى شحبت الوجوه ، وضعفت الأجسام ، وبانت العظام ، وغابت عقول بعض الإخوان.

بقيت كلمة أقولها .... « أين الذين أطلقوا النار في الصدور ؟ أين الذين هشموا الجماجم بالشوم ؟ أين سيد والي وعبد اللطيف رشدي وعبدالعال سلومة وعبد الله ماهر والعسكري متى.. والعسكري زغلول شلبي ؟؟ ...ثم أين أسيادهم الذين أصدروا إليهم الأوامر .... ؟ .

لقد ذهب الشهداء إلى ربهم ... وأيضاً ذهب الظالمون إلى ربهم ... لكن القافلة تسير .. وستظل في سيرها ».

أسماء الإخوان حسب تواجدهم في الزنازين وقت المذبحة (١)

غرفة (٩٩)		غرفة (١٠٢)	
١	عباس أيوب حجازي	١٣	السيد علي
٢	عبد القادر أحمد وداد	١٤	زكريا السيد على
٣	عبد الملك السيد حسن الشافعي	١٥	مصطفي أحمد صادق
٤	محمد على جنيدي	١٦	مختار سليمان جابر
غرفة (١٠٠)		غرفة (١٠٣)	
٥	الحاج أحمد البس	١٧	كمال الصادق
٦	أحمد شاكر الأنصاري	غرفة (١٠٤)	
٧	أنور محمد مصطفي	١٨	محمد عبد المجيد البلتاجي
٨	عبد الله يس علام	١٩	محمد البكار
٩	عبد العظيم دوح	٢٠	محمود فتحي زغلول
غرفة (١٠١)		غرفة (١٠٥)	
١٠	عثمان حسن محمد	٢١	عبد الرحيم عبد الخلاق
١١	عامر عبد القوي عامر	٢٢	على عبده عمر
١٢	محمد يوسف	٢٣	فوزي شحاته عبد العزيز

(١) نقلاً عن كتاب مذبحة الإخوان في ليمان طرة للأستاذ / جابر رزق .

٢٤	مرسي صادق محمد
	غرفة (١٠٦)
٢٥	أمين الشالي
٢٦	عبد الرحيم على سعيد
٢٧	عبد العليم أحمد حسن
٢٨	محمد عبد العال أبو مدينه
	غرفة (١٠٧)
٢٩	عبد الله عبد العزيز الجندي
٣٠	محمد خيري محمد
٣١	محمد جاد سليمان
	غرفة (١٠٨)
٣٢	أحمد حسنين أبو شنير
٣٣	حسن أحمد عمر
٣٤	عبد العدل على جبل
	غرفة (١٠٩)
٣٥	محمود سليمان
٣٦	أحمد السيد حنفي
٣٧	عبد الفتاح الطحان
	غرفة (١١٠)
٣٨	أحمد محمود عبد العزيز
٣٩	عبد الكريم أحمد علي
٤٠	عثمان صديق
٤١	عميرة محسب
	غرفة (١١١) **المخزن ١**
٤٢	أحمد حافظ
٤٣	أحمد صبري جودت
٤٤	أحمد محمد عطية
٤٥	حسن عبد العظيم مرسي
٤٦	سعد زغلول عبد الفتاح
٤٧	عبد الرحمن محمد صبيح
٤٨	عوض الله على إبراهيم
٤٩	محمد عبد المجيد خطاب
	غرفة (١١٢) – **غرفة** (١١٣)
٥٠	أحمد يوسف
٥١	رجب محمود فرج

٥٢	فكري حسين كريم
٥٣	محمود عبد الجواد العطار
	غرفة (١١٤)
٥٤	عبده عبد الرحمن بدر
٥٥	عبد الغني عبد الحكيم محجوب
٥٦	على إبراهيم
	غرفة (١١٥)
	عيادة
	غرفة (١١٦)
٥٧	حسن محمد أيوب
	غرفة (١١٧)
	مخزن
	غرفة (١١٨)
٥٨	السيد عبد الجليل فراج
٥٩	عبد الله السيد فودة
٦٠	عبد اللطيف محمد عبد العظيم
٦١	محمد إبراهيم الليثي
	غرفة (١١٩)
٦٢	إسماعيل عبد المجيد رجب
٦٣	إمام حنفي عبد السميع
٦٤	حسين سويدان
٦٥	محمد عبد العزيز عثمان
	غرفة (١٢٠)
٦٦	إمام السيد إمام
٦٧	حسن صالح العناني
٦٨	حسام الدين عبد الوهاب
٦٩	عبد الحليم محمد حسين
	غرفة (١٢١)
٧٠	الحسيني يونس
٧١	عبد الحميد محمد مرسي
٧٢	محمد أحمد مرسي
	غرفة (١٢٢)
٧٣	أحمد حامد فرفر
٧٤	السيد عبد الكريم رشوان
٧٥	عبد الخالق الشامي

٧٦	عبد المجيد الفحام
	غرفة (١٢٣)
٧٧	سليمان حجر
٧٨	محمود الشامي
٧٩	محيي عطيه
	غرفة (١٢٤)
٨٠	شكري عبد النبي صالح
٨١	عبد المنعم أحمد بيومي
٨٢	عبد الرءوف عبد الوهاب
٨٣	عبد المحسن الهوارى
	غرفة (١٢٥)
٨٤	أحمد محمد حسين
٨٥	عبد السلام على محروس
٨٦	على محمد عرابي
٨٧	فوزي محروس
	غرفة (١٢٦)
٨٨	بدر الدين عبد اللطيف
٨٩	جودة محمود شعبان
٩٠	عبد الحميد عطية السيد
٩١	محمود سيد أحمد شحاتة
	غرفة (١٢٧)
٩٢	إبراهيم محمود الطناني
٩٣	حسن عبد الستار
٩٤	حسن على حسن
٩٥	حسين على حسن
	غرفة (١٢٨)
٩٦	حسين الترساوي
٩٧	محمد إمام نور الدين
٩٨	محمد المصري عثمان
٩٩	وجيه حسنين الفخري
	غرفة (١٢٩)
١٠٠	السيد عبد السلام
١٠١	عبد الجواد إبراهيم مراد
١٠٢	مصطفي أحمد سعد
	غرفة (١٣٠)
١٠٣	معوض أبو زهرة

١٠٤	محمد إبراهيم منصور
١٠٥	محمد جمال إبراهيم رزق
١٠٦	محمد عفيفي الشيخ
	غرفة (١٣١)
١٠٧	أحمد طه إسماعيل
١٠٨	السيد عبد الحليم
١٠٩	على محمد يوسف
١١٠	محمد مصطفي أبو السعود
	غرفة (١٣٢)
١١١	صابر محمد سالم
١١٢	عبد الحليم السيد شحاته
١١٣	محمد أحمد حسن عمر
١١٤	محمد مرسي شقير
	غرفة (١٣٣)
١١٥	إبراهيم عرفة السبع
١١٦	إبراهيم محمود أبو الذهب
١١٧	جابر بيومي خليل
١١٨	محمد عبد الغني بركات
١١٩	محمد عمر داداز
	غرفة (١٣٤)
١٢٠	عبد المنعم سليم
١٢١	عصمت عزت عثمان
١٢٢	لطفي محسن
١٢٣	نبيل حسيب محمد حسيب
١٢٤	أحمد محمود الشناوي
	غرفة (١٣٥)
١٢٥	إسماعيل عبد العليم
١٢٦	رضوان محمد أحمد أبو توبة
١٢٧	عبد الفتاح أحمد عبد الله
١٢٨	عناني حسن عناني
	غرفة (١٣٦) **المخزن ٢**
١٢٩	حمدي عبده متولي
١٣٠	أمين إبراهيم
١٣١	خير الدين إبراهيم عطية
١٣٢	رشدي البيطار
١٣٣	عثمان محمد عيد

١٣٤	مصطفي حامد على
١٣٥	مصطفي مصطفي علي
	غرفة (١٣٧)
١٣٦	إسماعيل النجار
١٣٧	عبد الفتاح أحمد علي
١٣٨	عيد إسماعيل متولي
١٣٩	محمد توفيق مصطفي التركي
	غرفة (١٣٨)
١٤٠	أحمد الحسيني
١٤١	الصادق على حجازي
١٤٢	حسين محمد أبو السعود
	غرفة (١٣٩)
١٤٣	رزق إسماعيل
١٤٤	أمين صدقي عبد الصمد
١٤٥	عبد المجيد حسن الخطابي
١٤٦	عبد الرحمن الفيومي
١٤٧	مجد الدين إسماعيل زهدي
١٤٨	محمد عفيفي
	غرفة (١٤٠)
١٤٩	صديق سيد جمعة
١٥٠	عباس أحمد فتح الله
١٥١	على إبراهيم حمزة
١٥٢	محمد أبو الفتوح معوض
	غرفة (١٤١)
١٥٣	صلاح الأنور
١٥٤	محمد الفالح
١٥٥	مرسي محمد مرسي
١٥٦	فهمي عبد الرحمن إبراهيم نصر
	غرفة (١٤٢)
١٥٧	السيد عزب صوان
١٥٨	على محمد على
١٥٩	محمود جمعة إبراهيم
١٦٠	محمد عوض عبد القادر
	غرفة (١٤٣)
١٦١	سعد على الحكيم
١٦٢	سعد الدين محمد شوقي
١٦٣	عبد الكريم عطيه
١٦٤	محمد مهني شهاب
	غرفة (١٤٤)
١٦٥	أحمد عبيد أحمد عيسوي
١٦٦	إسماعيل محمد عيد
١٦٧	محمد رسلان عبد الرسول
١٦٨	مصطفي السيد الصلحي
	غرفة (١٤٥)
١٦٩	حسين محمود عبد الدايم
١٧٠	حمدي إبراهيم حسن
١٧١	محمد على حسن
	غرفة (١٤٦)
١٧٢	حسن محمد دوح
١٧٣	عبد الغفار محمود السيد
١٧٤	محمد السيد عفيفي قاسم
١٧٥	هاشم محمد متولي
	غرفة (١٤٧)
١٧٦	جبر عبد الغني
١٧٧	عبد الرزاق أمان الدين
١٧٨	على جمال الدين هويدى
١٧٩	عطية محمد عقل
	غرفة (١٤٨)
١٨٠	رشدي عفيفي شوشة
١٨١	رفعت محمد على حجازي
١٨٢	كامل سليمان
١٨٤	عبد النعم سعيد

أسماء شهداء المذبحة وعناوينهم

(١) **انـور مصطفي احمد** ، قبض عليه في ٣٠ – ٣ – ٥٥ ، دباغ وعنوانه ، حارة الأميرة شارع أبو سفين مصر القديمة.

(٢) **السيد على محمد** ، قبض عليه في ٨-٥-٥٤ ، تاجر ، متزوج وله أربعة أولاد ، عنوانه شارع الجداوى قسم المنشية – الإسكندرية.

(٣) **محمود محمد سليمان** قبض عليه في ٥٥/١/١٢ مهندس ، متزوج وله ولد ، عنوانه : ٣٠ شارع جنينة القادرية العباسية القاهرة.

(٤) **احمد حامد على قرقر** ، قبض عليه في ١٠ – ٨ – ٥٥ ، محاسب ، متزوج وله ولد ، عنوانه : دنديط مركز ميت غمر – دقهلية.

(٥) **محمود عبد الجواد العطار** ، قبض عليه في ٨ – ١١ – ٥٤ ، خياط ، متزوج وله ولدان ، عنوانه : ٣٣ شارع وكالة الليمون – الجمرك – الإسكندرية.

(٦) **ابراهيم محمد ابو الدهب** ، الإسكندرية – موظف بالسكة الحديد – متزوج وله ثلاثة أبناء.

(٧) **رزق حسن إسماعيل** ، قبض عليه في ٤ – ٨ – ٥٥ ، مزارع ، متزوج وله ٧ أولاد ، عنوانه : كفر المرازقة مركز قلين – كفر الشيخ.

(٨) **عبد الله عبد العزيز الجندي** ، قبض عليه في ٣ – ٣ – ٥٥ ، عامل متزوج وله ٣ أولاد ، عنوانه ، ١٠ شارع الوايلي الكبير العباسية – القاهرة.

(٩) **عصمت عزت عثمان** ، قبض عليه في ١٦-١١-٥٤ ، موظف ،أعزب ،عنوانه : ٢٣ شارع المنشية القديمة بالسويس.

(١٠) **عبد الفتاح محمود عطا الله**، قبض عليه في ٢٧-٢-٥٥ ، خياط ، متزوج

(٢١) **محمد السيد عفيفي** ، قبض عليه في ١٧-٣-٥٥ ، موظف ، أعزب ، من ١٤ شارع محمد على بين السرايات – جيزة.

أما الجرحى فقد بلغ عددهم خمسة وثلاثين جريحاً منهم ثلاثة عشر حالة خطرة وقد أودعوا جميعاً في المستشفيات العسكرية تحت حراسة مشددة حتى لا يعرف أحد أسماءهم.

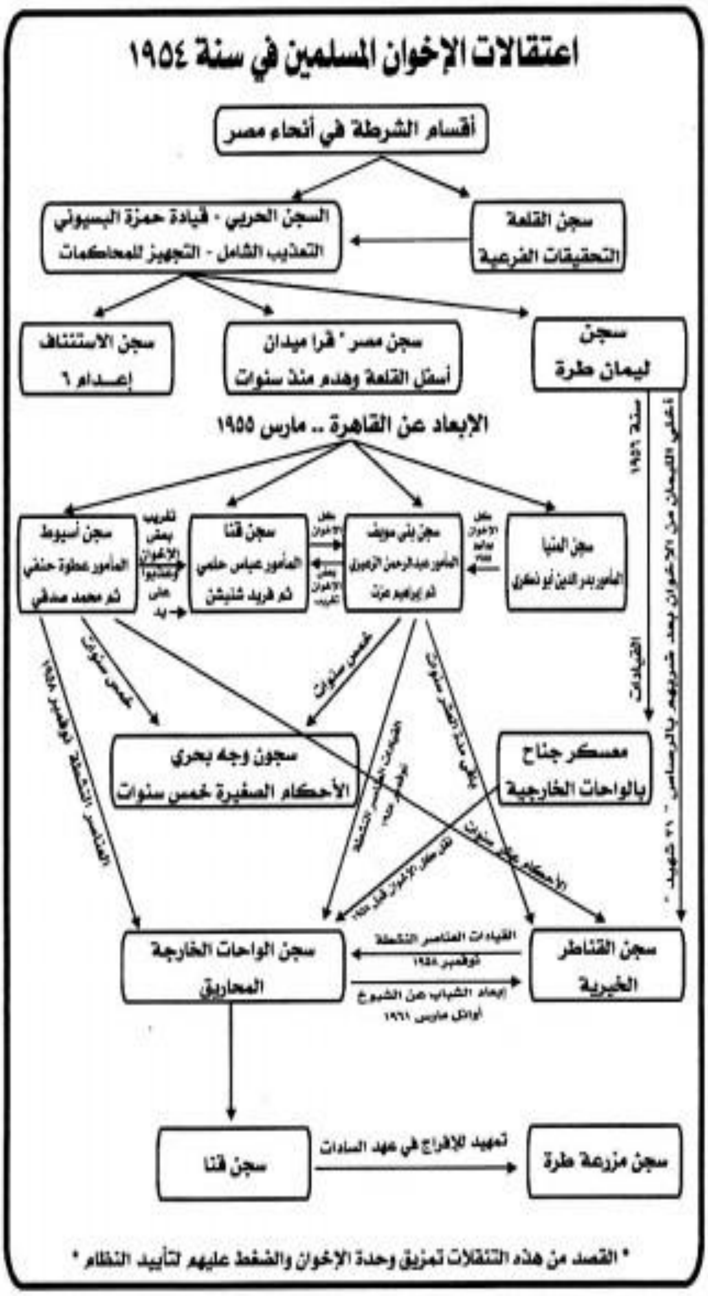

اعتقالات الإخوان المسلمين في سنة ١٩٥٤
أقسام الشرطة في أنحاء مصر
السجن الحربي - قيادة حمزة البسيوني
التعذيب الشامل - التجهيز للمحاكمات
سجن القلعة
التحقيقات الفرعية
سجن الاستئناف
إعـــدام ٦
سجن مصر " قرا ميدان
أسفل القلعة وهدم منذ سنوات
سجن
ليمان طرة
الإبعاد عن القاهرة .. مارس ١٩٥٥
سجن أسيوط
المأمور عطوة حنفي
ثم محمد صدقي
سجن قنا
المأمور عباس حلمي
ثم فريد شليشن
سجن بني سويف
المأمور عبدالرحمن الزعبري
ثم إبراهيم عزت
سجن المنيا
المأمور بدر الدين أبو نكري
خمس سنوات
سجون وجه بحري
الأحكام الصغيرة خمس سنوات
معسكر جناح
بالواحات الخارجية
سنة ١٩٥٦
القيادات
سجن الواحات الخارجة
المحاريق
سجن القناطر
الخيرية
القيادات العناصر النشطة
نوفمبر ١٩٥٨
إبعاد الشباب عن الشيوخ
أوائل مارس ١٩٦١
سجن قنا
تمهيد للإفراج في عهد السادات
سجن مزرعة طرة
* القصد من هذه التنقلات تمزيق وحدة الإخوان والضغط عليهم لتأييد النظام *

الفصل السادس

النفي والتغريب

• التربية والتدريب

أرادوا لنا الفتنة والتخلي عن معتقداتنا وهزيمتنا من داخلنا فبعثروا جمعنا فى كل سجن وأجروا لنا حركة تنقلات بين السجون على مدار عشرين عاما تصاحبها غالبا تكديرات وحرق للملابس وحرمان من كل شيء يساعدنا على البقاء.

لكننا فى كل هذا وتمشيا مع إرادة الله الغالبة جعلنا من هذا التشتت رحلات سياحية فى أنحاء مصر، ولقاءات وتعارف بين الإخوان فى السجون ثم فى النهاية التعود على الصبر وقوة الاحتمال والرضاء بقضاء الله وامتحاناته، وكلما استقر بنا المقام فى أحد السجون انتزعونا ليلا إلى سجن آخر حتى لا يستقر لنا قرار... ومن جانبنا نفزع إلى الله ندعوه ونحن في مكان ضيق مقرنين بالحديد أن يرحم ضعفنا وأن يمنع عنا أذاهم...

ونحس بأن الامتحان قاس وسفرنا طويل، فنزداد معرفة بظروف الطريق الذى نسير فيه والتمسك بالأمانة التى نحملها لتصل لما بعدنا... وطبيعة الدور الذى ارتضاه الله لنا فنزداد قربا منه ونجتهد فى أن يكون هذا الابتلاء هو وسيلتنا لمعرفته وطريقنا إلى رضائه عنا ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(1).

هذه الدورات التدريبية على فترات خلصتنا من الأسباب الأرضية وألحت علينا بأن نواصل السير فى الطريق، حتى وإن طال الزمن، وبعدت المسافة والعاقبة للمتقين.

(1) سورة البقرة الآية ١٤٣.

ولم يفارقنا شعور ونحن مجردون من القوة المادية بأن سهامهم سترتد عليهم وأننا أقوى منهم وأنها فترة ستمضى ، وإن للإيمان كرة لابد منها ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾(1) ونحن إن غادرنا هذه الحياة فسنكون شهداء ، فليصخب الباطل وسط جموعه المخدوعة ، فلن تفتر عزيمتنا ولن نتوقف عن السير ، وسنظل قابضين على الجمر لا نحنى الرؤوس وإن كنا مغيبين داخل السجون ، ولن نستجيب للضلال وإن علا سلطانه ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ﴾(2) ونستلهم قولة المغيرة بن شعبه التى خاطب بها رستم قائد الفرس : « كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم... اليوم علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون ...» ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾(3) .

** ** **

** **

(1) سورة آل عمران الآية ١٩٦ .
(2) سورة يونس الآية ٣٢ .
(3) سورة آل عمران الآية ٨ .

• سجــن بنى سويف

يتكون هذا السجن من مبنيين كبيـرين وكـل مبنـى مكـون من أربعة أدوار.

- ويطلــق علــى المبنـــى الأول عنبر «أ» وعلى المبنى الثانى عنبر «ب».

- ويوجد بينهما ورشة النسيج وورشة الخياطة وكذلك مرافق السجن مثل المطبخ والحمام والمغسل.

لما تقرر ترحيل جميع الإخوان من سجن مصر وإبعادهم عن القاهرة وصلت مجموعة منهم إلى سجن بنى سويف. وكان من بينهم اثنان من أعضاء مكتب الإرشاد الأستاذ عبد العزيز عطية والأستاذ عمر التلمساني ، وكان مأمور السجن برتبة قائمقام واسمه عبد الرحمن شحاتة الزعيرى وكان عتلا أجش الصوت ممتلئ البدن ، وقد أبدى استعدادا لترويض الإخوان الموجودين بالسجون الأخرى التى بها قلاقل ، فنقل إليه الإخوان من سجن قنا وسجن المنيا .

ويـدأ يحكـم قبضـته بغبـاء وبصـورة اسـتفزازية وشـغلهم فـى الـورش والمرافق وفرض على كل واحد منهم بعد فترة تدريب فى ورشة النسيج أن يسلم بطانية فى اليوم يقوم بنسيجها على النول اليدوى بمساعدة بعض المساجين وهذا أمر صعب بل مستحيل بالنسبة للإخوان علاوة على طريقته الفظة فى التعامل ، فحاول أن يجبر الإخوان على خلع الحذاء عند الدخول عليه ورفض الأخ سعيد اللقاني أن يخلع الحذاء فكتفه بالحديد من الخلف والقى به فى التأديب سبعة أيام ، وكان الأستاذ عبد العزيز عطية مديرا عاما

للتعليم فى بنى سويف قبل دخول السجن وكان الزعيري يجلس معه فى نادى المعلمين وهو ضابط صغير ومع ذلك تنكر لهذه المعرفة وأصر على أن يخلع الأستاذ عبد العزيز الحذاء مع أنه قد بلغ الخامسة والسبعين من عمره.

لكن الإخوان رفضوا تنفيذ أى أمر يراد من ورائه المهانة ، وبطريقته الغبية فى إصدار الأوامر تمرد الإخوان على أوامره وأجمعوا أمرهم على مقاومة الشاذ منها.

وكان فى السجن طبيب اسمه حسين أسعد كاظم لا يعرف من الطب سوى مزيج « البنج والبوكو » وكان ينفذ أوامر الزعيري بلا تفكير فما أن حضر إليه الأخ محمود بسيونى عميرة فى حالة إعياء بسبب البواسير التى يتألم منها حتى كتب فى تذكرة العلاج « يتمارض » ومعنى ذلك أنه يعامل معاملة قاسية فى سجن انفرادى فى زنزانة التأديب ، فاحتج الإخوان على هذه المعاملة ودخل معه فى زنزانته الإخوة مجدى زهدى ، مصطفى عبدالله، أحمد نوير وأبو الفتوح الشيخ وذلك لكى يتترسوا خلف الباب ويحولوا دون أخذ أخيهم المريض إلى التأديب وحدثت هتافات وتكبيرات ومحاولات من الإدارة لفتح الزنزانة وتم تبليغ مصلحة السجون وحضر فى اليوم التالى « الأمير ألاي » جميل إريطم وادعت الإدارة ومن ورائها السجان أن المريض محمود عميرة ضرب الشاويش أحمد إسماعيل .

ولأن كل التعليمات تسير فى خط المواجهة مع الإخوان حتى لو لم يكونوا مخطئين فقد خدعهم « الأمير الاي » بوصفه جاء ليستطلع الحقيقة وطلب منهم أن يفتحوا الباب ليلتقى بهم وأقسم لهم بشرفه العسكري أنه لن يضر أحدا ، وخرجوا للتحقيق ولكنهم أخذوا إلى ساحة التعذيب والجلد

على « العروسة » وبنفس الطريقة مع إخوان آخرين حتى بلغ عدد من جلدوا اثنين وعشرين ، اذكر منهم الإخوة « عباس فرج ، عبد الحميد ماضي ، أبوالفتوح الشيخ ، مجدى زهدى ، فوزى رمضان ، عبدالرءوف كامل ، عشيرى عبد السلام ، إسماعيل النشار ، أحمد نوير ، مصطفى عبد الله ، حسين عبد السلام ، يوسف كمال » ، وقد ظل هؤلاء الإخوة فى الحبس الانفرادى حوالى الشهرين ثم رحل بعضهم إلى سجن قنا اذكر منهم الأخ فوزي رمضان ، الشيخ حسن صالح ، عباس فرج ، صالح عوض والأخ أبو الفتوح الشيخ للتغريب والتعذيب.

وانتهى الأمر بأن جرد الإخوان من ملابسهم فى ٤ فبراير ١٩٥٦ ما عدا ملابس السجن الخارجية التى لا تستر ولا تحمى من برد الليل كما انتزع البطاطين نهارا وحرمهم من الطعام إلا من رغيف كل ٢٤ ساعة ، وبالرغم من كل ما حدث معنا وما آلت إليه حالتنا الصحية نتيجة البرد والجوع فإننا كنا نتلو القرآن ونرفع أيدينا بالدعوات بل ونتسلى بالمزاح والضحك مما جرى لنا ونسخر من هؤلاء الجلادين ومن عقولهم الضعيفة.

وفى إحدى الليالى ونحن نسترجع ما عملوه معنا ضحك أحدنا وقال لم يبق إلا أن نعلق النمرة على صدورنا وتصادف أن كان يمر أحد الضباط خلف الزنازين وسمعنا ، فإذا بهم فى الصباح يعلقون على صدورنا تلك النمر .

وما هى النمرة وقصتها فى السجون؟ كان السجن يعطى رقماً مسلسلاً لكل سجين وهذا هو رقم « الدوسيه » وينادى عليه باستمرار طوال فترة وجوده فى السجن باسم « السجين رقم.... » ولا يتعامل باسمه الذى عاش به فى الحرية إلا عند الضرورة ، ولأن المساجين لا تعرف القراءة ومن

الجائز أن ينسى هذا الرقم ، فإنه يكتب على قطع معدنية ويعلق على صدورهم ، وقد أمروا الأستاذ عبد العزيز عطية أن يعلق النمرة بالرغم من أنه كان مدير التعليم فى بنى سويف قبل دخوله السجن وكان يتردد عليه الزعيري وهو ضابط صغير كما قلت سابقا لكنه نسى مكانة الأستاذ عبدالعزيز وتعامل معه فى السجن بنفسية السجان.

▪ الشيوخ المساكين :

بعد أن جلد الزعيري بعض الإخوان وحبسهم انفراديا في الزنازين، ثم حرم الجميع من الطعام، وسحب الملابس والبطاطين في أيام الشتاء الباردة ، وأغلق عليهم أبواب الزنازين بالليل والنهار إلا دقائق يخرجون فيها إلى دورة المياه، وظهر الهزال على أجسادهم، وبدا الشحوب في وجوههم.. بعد هذا كله أراد أن يجهز عليهم بالوعظ والإرشاد ، فأحضر إليهم الشيخ عبد الحميد سالم من إدارة الأزهر ومعه بعض المشايخ من بني سويف ، ووقف الشيخ يعظنا وهو لا يدري حقيقة أمرنا ، ولا الذي جرى علينا ، ولا الحالة النفسية التي نحن عليها ... فقط هو يغطنا كما أمرته الحكومة ، ويصب على مسامعنا بعض المفردات التي سمعها من المباحث ، ثم يختم حديثه بالبيت الشعري :

قسى ليزدجروا ومن يك حازما

فليقسوا احيانا على من يرحم

وفي مرة ثانية في يوم الجمعة يصعد أحدهم المنبر الصغير الذي وضع في نهاية الدور الأول ، ويقول بصوت يسمع به الضباط في داخل العنبر

وخارجه ... « ما لكم وماله !! أأنتم الذين أجلستموه على الكرسي أم أن ربه هو الذي أجلسه ... » يعني بذلك جمال عبد الناصر.

- **نهاية الزعيرى :**

لكن فى نهاية المطاف كانت نهايته على يد الإخوان فأقيل من عمله ليلة عيد الفطر وحبس النبأ وراوغ فى التنفيذ يومين لعله يستطيع أن يفعل شيئاً ، لكن الله غالب على أمره فقد حبس النبأ وحبس نفسه يومين معه ولا يجرؤ أن يرى وجه أحد من الإخوان .

وقد سخر الله لنا من يقف بجانبنا. ذلك هو اللواء عثمان محرم مدير مصلحة السجون والذى عين حديثاً ، وكان تابعاً للجيش ، وقد حضر إلى السجن بنفسه بعد شكاوى وصلته من الأهالى ، ورأى ما نحن عليه من الجوع والشحوب والبرد وعدم القدرة على الكلام ، فسأل المساجين والسجانة عن عدم توزيع الطعام علينا ، وأنطق الله اليوزباشى محمود عرابي بالحقيقة ، وكان هذا الرجل متدينا ينتمى إلى إحدى الطرق الصوفية ، وخاف الله حينما قال له الأخ إسماعيل النشار : « ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴾[1] » فذهب إلى عثمان محرم قائلاً : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ... ﴾[2] ، وشهد بالحقيقة أمام عبدالرحمن الزعيري قائلاً : « كنا نأخذ الأوامر بإلقاء الطعام فى دورات المياه. » فبهت الذى فجر... واصفر وجه الزعيري الجبار ونظر إليه عثمان محرم نظرة الوعيد.

وفى الليل وبعد أن عاد عثمان محرم إلى القاهرة أرسل إشارة عاجلة

---

(١) سورة القصص الآية ٨ . (٢) سورة البقرة الآية ٢٨٣ .

بعزل عبد الرحمن الزعيري وإحالته إلى الاستيداع وتسليم السجن إلى نائبه الصاغ ممدوح نوير – لكن عبد الرحمن الزعيرى أخفى الإشارة وتلكأ فى التنفيذ – وفى الصباح وردت محادثة تليفونية لممدوح نوير تسأله عن الإشارة واستلام السجن ، فنفى علمه بذلك... وعلى الفور ذهب إلى عبدالرحمن الزعيري وقال له : « لماذا أنت جالس؟ سلم المفاتيح والمكتب وارحل الآن » .

وهكذا رحل العتل مطرودا تطارده اللعنات وتسلم مكانه مؤقتاً ممدوح نوير وذلك فى ليلة العيد ، وفى الصباح أمر ممدوح نوير بفتح الزنازين علينا فى يوم العيد وسمح لنا بشراء عجل صغير دبرنا نقوده لنذبحه فى السجن بمناسبة العيد وبمناسبة إقالة الزعيرى .

هذا الزعيرى الذى كان يقول لنا أنتم هنا مساجين مسلوبى الإرادة ، ولأنه كان لا يؤمن بآدمية المسجون ، فقد ورد إليه مبلغ من المال من مصلحة السجون لتطوير السجن ، وخاصة المرافق فلم يفهم معنى التطوير ، وقال نستخدم هذا المبلغ فى تعلية أسوار السجن زيادة فى الأمان.

ولما كان الإخوان سببا فى عزله من العمل فقد كانوا سببا فى عزله من الحياة كلها ورحيله عنها فقد تسلم السجن القائمقام إبراهيم عزت... هذا الرجل كان إنساناً بمعنى الكلمة وإنسانيته تحايلت على كل القوانين لصالحنا، وتعامل معنا بكل احترام ووقف ضد كل أنواع الشر الذى يحوم حولنا ، وحول السجن إلى مكان للأنشطة والهوايات الرياضية والثقافية والفنية ، وأحضر إلينا الفرق الرياضية من خارج السجن لتنازلنا ، وفى اليوم الذى حضرت فيه فرقة الساحة لتلعب معنا ، إذا بنا نفاجأ بوجود عبد الرحمن الزعيري الذى فرض نفسه بالحضور وتطفل بالحديث معنا قائلاً :

أنا لم أتسبب فى إيذائكم وأنا مستعد لعمل حق عرب معكم .

نظر عبد الرحمن الزعيرى فوجد أن الحال قد تغير إلى أفضل صورة لا يستوعبها عقله ، وأن صورة السجن التى عاش معها وجمد عليها قد ذهبت وأن المسجون المسلوب الإرادة يتحرك الآن بحرية ويزاول الأنشطة المختلفة ، ولم يتحمل الرجل هذه المشاهد المؤلمة التى جعلته يتحسر على الماضى ، وتزداد ضربات قلبه فما أن خرج من السجن وذهب إلى بيته حتى ازداد ضغطه وظل طريح الفراش حتى لفظ أنفاسه ، دون أن يعمل معنا حق العرب.

سارت الأمور فى عهد إبراهيم عزت من الحسن إلى الأحسن فمن الهوايات الفنية كان قسم الرسم والزخرفة وقد ظهرت مواهب الأخ على عثمان بصورة أذهلت إبراهيم عزت وسعى لدى كل الجهات لعمل معرض لإنتاج السجين على عثمان فى القاهرة وأشرف هو بنفسه على المعرض واستقبل الزوار الذين سجلوا مشاعرهم فى السجل الخاص بالمعرض نحو هذا اللون الجديد من الفن « فن الغياب عن الحياة » ، وكذلك نحو هذا الفنان القابع خلف الجدران ويشيدون بإنتاجه الذى يعبر عن حقيقة الغياب عن الحياة وقسوة السجن وظلماته، ويتمنون لقاءه فى عالم الحرية ، كذلك كان هناك قسم للنجارة وآخر للألبان وسمح للإخوان بأن يحضروا من بيوتهم كتبا لتكوين مكتبة فى السجن فنشطت المسابقات البحثية ، والكتابات الأدبية وحفظ كثير من الإخوان القرآن الكريم أو أجزاء منه وكان الأخ على فهمى وهو طالب فى كلية التجارة وأصبح أستاذا بها بعد السجن يحفظ الآية برقمها والصفحة التى فيها ، وأبرز ما فيه أنه كان لا يتأفف ويأكل أى طعام حتى الفول المسوس يصطاد السوس ويأكله بتحد ويقول : « كله بروتين » .

ومن الرجال الذين لا أنساهم الحاج عبد الله حامد الذى كان يجيد قواعد تجويد القرآن الكريم وكان سنه فوق الخامسة والسبعين ذو لحية وقسمات فى الوجه تنم عن طهارة القلب وصفاء النفس وفطرة لا حدود لها... طاف العالم كعطار وكرجل يبحث عن الحقيقة ويخرج من مسكنه فى مصر القديمة ويرتحل دون أن يكون معه زاد أو إمكانيات السفر حتى إلى الإسكندرية ، ويقترب منه فى بعض هذه الصفات الشيخ محمد جبر الذى كان قريبا منه فى سنه وإقباله على الله ، ولا ننسى الحاج إدريس القادم إلينا من السويس والذى كان يقوم على خدمة إخوانه فى المطبخ بأن يعمل ما أمكن على أن يكون الطعام مقبولاً إلى حد ما ، فكان فى بعض الأحيان يحول الفول المسوس إلى بصارة حتى نرفه على أنفسنا كما كان يقول الزعيرى .

أما من العينات التى تدعو للمداعبة فكان الأخ محمد الحوفى ، وقصته أنه كان محكوماً عليه بالسجن عشر سنوات مع إيقاف التنفيذ ، ولأنه رجل بسيط ولا يدرك معنى إيقاف التنفيذ فقد دخل فى صف المحكوم عليهم بالتنفيذ فى ساحة السجن الحربى ، ولما كان الشاويش ياسين الغليظ ينادى وبيده كرباج غليظ فلا مجال للتفكير ، ففى أى صف يستحسن الإسراع والدخول فيه والنجاة من كرباج ياسين ، ولأن الأحكام نسبية « وانت وحظك » فمن الممكن تنظيم أى كشف وتعديل أى كشف ما دام الأمر فى حدود العشر سنوات فالعشرات كثيرة ، ولما نبهه أحد الإخوان بعد الرحيل من السجن الحربى ، فقد واظب على تقديم شكوى كل فترة إلى مصلحة السجون ، ولما كانت مصلحة السجون لا تملك شيئا ولا تعرف عن أحكامنا شيئاً فإن أحد ضباط السجن قال له : « يا حوفى : بلاش شكاوى يا شيخ الحكاية هانت اكمل العشر سنين واسكت » ، وسكت الشيخ الحوفي

واكمل العشر سنين إلا قليلا، لكنه كان يرى فى المنام فى ليال كثيرة أنه يذهب إلى بيته ويجلس مع أهله وأولاده فقال له الأخ رمزى حبيب مداعباً : « يا شيخ حوفى لو يعرف عبد الناصر إنك أنت بتروح البيت كل يوم سيعطيك عشرين سنة بدل عشر سنين » .

تلك كانت حالة الإخوان فى أيام القائمقام إبراهيم عزت والتى لم تكن معزولة عن حالة الإخوان فى السجون الأخرى التى يحكمها جميعاً فى كل التصرفات من هب ودب من المتطفلين الذين يريدون الوصول ولو على أشلاء عباد الله.

وبعد حادث سجن طرة بفترة مر على السجون التى بها الإخوان البكباشى محمود خليل مدير مكتب مصلحة السجون وأحدث حالة من الرعب فى هذه السجون وأعطى الأوامر بالتشدد مع الإخوان وانعكس ذلك على تصرفات إدارة تلك السجون لكن الرجل الإنسان إبراهيم عزت لم يرضخ لمحمود خليل ولم يوافق على حرق ملابس الإخوان كما هو المتبع فى السجون بل جمعها فقط أمامه وأدخلها المخزن وأعطاها للإخوان بعد ذلك.

▪ فتنة المباحث:

إلا أن الأمور كما قلت لن تسير على وتيرة واحدة ، فرجال الأمن يريدون أن يعبثوا بالأمن ، ويشعروا الحاكم دائماً أن هناك مؤامرات عليه وعلى الدولة ، وأنهم يضربون بيد من حديد وأفشلوا خططا ومؤامرات كثيرة كادت تغرق البلاد فى بحر من الدماء ، وأن هذه الرجعية وأذناب الاستعمار هم لها بالمرصاد ، يترصدون خطاها ويتسمعون همساتها... وحينذاك ذهب الأمن والأمان وجاءت المباحث بالفتن والاضطرابات وغيروا إبراهيم عزت

بمأمور جديد يصلح للمرحلة القادمة اسمه سعد حسين واستخدموا كل أنواع الضغوطات والترغيبات لتأييد جمال عبدالناصر ولوحوا بالإفراج لمن يسير فى خطهم ، وقسموا الإخوان إلى مجموعات :

(١) مجموعة قيادية ونشيطة رحلت إلى سجن الواحات الخارجية وكان على رأسهم الأستاذ عبد العزيز عطية عضو مكتب الإرشاد ومجموعة الأجاهرة .

(٢) مجموعة صغيرة مؤيدة تم الإفراج عنها لحث الآخرين على التأييد.

(٣) مجموعة اضطهدت وفتنت ووضع كل أخ منهم فى زنزانة مع ثلاثة من المساجين المعتادى الإجرام ، وقد أعان الله كل أخ بالرغم من حداثة السن فى أن يؤلف قلوب هؤلاء الشاردين ويعلمهم النظافة والصلاة حتى قالت المباحث أن الإخوان روضوا المساجين ، والنتيجة غير مشجعة ففصلوا الإخوان عن المساجين الذين أصبحوا بعد ذلك عونا للإخوان وعيونا لهم فى محنتهم.

(٤) هذه المجموعة الممتحنة قسمت إلى مجموعتين إحداها كانت أحكامها صغيرة « خمس سنوات » رحلوا إلى سجون وجه بحرى لقضاء باقى المدة هناك.

(٥) المجموعة الثانية وكانت أحكامها عشر سنوات ورحلوا إلى سجن القناطر لقضاء باقى المدة هناك.

ومن الإخوان الذين رفضوا التأييد بصوره المختلفة مهما كانت الضغوط « شحاته هدهد – على حمدى – محمد عمارة – عبد العزيز سليمان – زكريا الطباخ – مبارك عياد – رياض زكى – عبد الجواد محرم – سلطان حسن سلطان... وآخرون كثيرون لا أذكرهم » .

وكان من الضباط الذين ينفذون الأوامر بغباء وتشفى الملازم حمدى عبد العزيز وكان جاهلاً مغرورا يدخل نفسه فى المعارك مع الإخوان ، أما الضابط الملازم محمد أحمد عويس فكان ضابطا ذكيا يثق بنفسه وينفذ الأوامر بالطريقة التى لا تجر عليه المشاكل.

ابتداء من سنة ١٩٥٥م كان عدد الإخوان ليس ثابتا في سجن بني سويف ، ويزيد هذا العدد وينقص بالترحيلات ، وساحاول أن أسجل ما أتذكره من الأسماء قدر استطاعتي حسب المناطق التي جاءوا منها

القاهــــرة			٢٥	مصطفي عبد الرحمن الجيبلي	الحسينية
١	عمر التلمساني	القاهرة	٢٦	زكريا الطباخ	الحسينية
٢	محمد أنور عواد	مصر القديمة	٢٧	فتحي مدكور	الحسينية
٣	محمد عبد العزيز عويس	مصر القديمة	٢٨	حامد إبراهيم سيد أحمد	الحسينية
٤	عبد الله حامد	مصر القديمة	٢٩	عبد العزيز نصار	الزيتون
٥	حسن إبراهيم	شبرا	٣٠	محمد عبد المجيد الطيب	الحسينية
٦	يحي النرش	العباسية	٣١	نشأت عبد الغني	مصر القديمة
٧	مجدي الدين إسماعيل زهدي	العباسية	٣٢	جبر محمد جبر فتح الباب	الحسينية
٨	عبد المحسن الشرقاوي	شبرا	٣٣	عبد الحميد صقر	حلمية الزيتون
٩	عوض شوشة	شبرا	٣٤	كمال عبد العزيز	حلمية الزيتون
١٠	محسن طنطاوي	حلوان	٣٥	عباس فضل الله	سراي القبة
١١	على على حمضي	حلوان	٣٦	فرج جبارة	سراي القبة
١٢	السعيد سعيد البواب	العباسية	٣٧	محمود الأنصاري	شبرا
١٣	حسين غريب	سراي القبة	٣٨	محمد السيد حسن	عين شمس
١٤	عبد الرءوف كامل	العباسية	٣٩	فريد عوض	مصر القديمة
١٥	سعيد نـا [1]	القاهرة	٤٠	جمال عوض	مصر القديمة
١٦	أحمد الجبيلي	مصر القديمة	٤١	محمد عبد المجيد عبد الجواد	سراي القبة
١٧	لطفي سليم	سراي القبة	٤٢	عبد الهادي سالم	سراي القبة
١٨	على مرجان	مصر القديمة	٤٣	محمد رمضان هدارة	سراي القبة
١٩	إسماعيل ونس	حلمية الزيتون	٤٤	مصطفي كامل محمد حسين	العباسية
٢٠	زاهر حميدة	القاهرة	٤٥	عبده صالح حسين	المعادي
٢١	عبد الهادي القصري	سرايا القبة	٤٦	السيد يوسف [2]	
٢٢	صلاح الدين يوسف شلبي	الدرب الأحمر	٤٧	محمد شاهين	الحسينية
٢٣	مختار حسين	القاهرة	٤٨	خضر محمد خضر	القاهرة
٢٤	مصطفي عبد الرحمن السيد	الحسينية	٤٩	محمود أبو السعود	الحسينية

---

(١) عندما لا أعرف اسم الحي فأضطر إلى كتابة "القاهرة" لأن صاحب الاسم محسوب على محافظة القاهرة.

(٢) شاب ليس من الإخوان ، وقيل إنه كان شيوعيا ، وقيل إنه كان يعمل في كنيسة ولعله كان يحاول أن يتعرف على الأخوان

٥٠	على حسن فهمي	سراي القبة	٨٨	السيد أبو سالم	
٥١	أحمد عاشور	القاهرة		الإسكندرية	
٥٢	على فيروز	القاهرة	٨٩	عبد العزيز عطية	
٥٣	وهبة حسن وهبة	عابدين	٩٠	إبراهيم الوكيل	
٥٤	على على خليل	مصر القديمة	٩١	محمد حسين إسماعيل	
٥٥	عبد المعطي إبراهيم	مصر القديمة	٩٢	محمود الفقي	
٥٦	حسين البقلي	حلوان	٩٣	محمد منصور (١)	
٥٧	دسوقي شبل	حلوان	٩٤	إبراهيم درويش	
٥٨	محمد حسين شحاتة	درب سعادة	٩٥	حسين عبد الرحيم	
٥٩	محمود رياض	القاهرة	٩٦	فتحي النجولي	
٦٠	سعد المر	القاهرة	٩٧	حسن عجلان	
٦١	عبد المجيد عياد	القاهرة	٩٨	جابر شعبان	
٦٢	السيد عبد الواحد مصطفي	عباسية	٩٩	عبد المنعم ربيع	
٦٣	شحاتة هدهد	سراي القبة	١٠٠	محمد عبد المنعم	
٦٤	أحمد التاموري	عين شمس		القليوبية	
٦٥	مكرم محمد حسن	القاهرة	١٠١	سلطان حسن سلطان	القلج
٦٦	سعد زهران	شبرا	١٠٢	محمد المنايلي	الخانكة
٦٧	أحمد مهران	عابدين	١٠٣	حسن محمود سلامة	عرب العليقات
٦٨	على عبد الحليم عبد البر	درب سعادة	١٠٤	أحمد بدوي	القلج
٦٩	فاروق الشافعي	حلوان	١٠٥	محمد محمد مصطفي الساحة	المرج
٧٠	حسام عبد المجيد	العباسية	١٠٦	حسين على فرج	كفر الشرفة
٧١	محمد عبد العزيز نصار	مصر القديمة	١٠٧	أحمد عبد الفتاح شعلان	أبو زعبل
٧٢	كامل سلمان	حلوان	١٠٨	قاسم أبو الخير	أبو زعبل
	الجيزة		١٠٩	أبو الفتوح أحمد عمارة	القلج
٧٣	عشيرى عبد السلام		١١٠	عبد الغني بركة	كفر طحا
٧٤	محمود إبراهيم العناني		١١١	إبراهيم البلاط	كفر شبين
٧٥	مبارك عبد العظيم		١١٢	محمد صالح عوض	القلج
٧٦	إمام سمير ثابت		١١٣	حامد على موسى	كفر الشرفة
٧٧	توفيق ثابت		١١٤	أحمد عبد الحكيم بشر	بنها
٧٨	محمدين بخيت	بين السرايات	١١٥	سعد عفيفي	مساكن عمال أبو زعبل
٧٩	مصطفي عبد الله		١١٦	صلاح دعبس	شبين القناطر
٨٠	عبد الفتاح الخضري		١١٧	طاهر أبو سعدة	الخصوص
٨١	فاروق الحواتكي			المنوفية	
٨٢	على نعمان	بين السرايات	١١٨	سعيد اللقاني	تلا
٨٣	شكري رباح	بين السرايات	١١٩	يوسف كمال	الشهداء
٨٤	أحمد أمين	العمرانية	١٢٠	عباس محمد فرج	البتانون
٨٥	محب الدين عبد الغني		١٢١	إسماعيل النشار	القناطرين
٨٦	محمد شوقي عبد الوهاب		١٢٢	محمود محمد الحسملي	ميت خاقان
٨٧	أحمد نمر		١٢٣	محمد عبد المجيد عمارة	ميت خاقان

(١) بعض الأخوان لا أعرف الحي الذي جاءوا منه لكني فقط أعرف المحافظة وبعضهم لا أعرف قريته أو مدينته.

١٢٤	محمد صبيح	ميت خاقان
١٢٥	محمد سلطان	ميت خاقان
١٢٦	سعد البي	ميت خاقان
١٢٧	عبد السميع أيوب	ميت خاقان
١٢٨	عبد الحفيظ يوسف	ميت خاقان
١٢٩	محمود يوسف	ميت خاقان
١٣٠	توفيق علام	ميت خاقان
١٣١	عبد الحميد محمد ماضي	أجهور الرمل
١٣٢	السعيد السيد منسي	أجهور الرمل
١٣٣	سعد عبد المقصود منسي	أجهور الرمل
١٣٤	أبو الفتوح على الشيخ	أجهور الرمل
١٣٥	محمود محمد حامد	أجهور الرمل
	الغربيــــة	
١٣٦	أحمد نوير	طنطا
١٣٧	محمد العزباوى	طنطا
١٣٨	فرج مناع	طنطا
١٣٩	شفيق شرف الدين	قطور
١٤٠	محمد الفرت	قطور
١٤١	محمود بسيوني عميرة	طنطا
١٤٢	إبراهيم السيد	طنطا
١٤٣	على على الهندي	طنطا
١٤٤	عبد العزيز سليمان	طنطا
١٤٥	محمد الحوفي	طنطا
١٤٦	رمزي على حبيب	طنطا
١٤٧	عبد الله درويش	
١٤٨	مصطفي حسين كامل	طنطا
١٤٩	إبراهيم حسين كامل	طنطا
١٥٠	فهمي الجبان	طنطا
١٥١	إبراهيم دويدار	المحلة الكبرى
١٥٢	الشافعي عبد الكريم	المحلة الكبرى
١٥٣	عبد العزيز هلالي	طنطا
	الشرقيــــة	
١٥٤	محمد البكري داوود	القصاصين
١٥٥	حسن صالح الصعيدي	الزقازيق
١٥٦	صبري عنتر	الزقازيق
١٥٧	عبد العال الشامي	الزقازيق
١٥٨	أحمد حامد إدريس	الزقازيق
١٥٩	عبد الجواد محرم	كفر صقر
١٦٠	كامل عبد الرازق	الزقازيق
١٦١	عبد الله الصادي	الزقازيق
١٦٢	عبد الوهاب زكي	الزقازيق
١٦٣	محمد لطفي سليم	مينا القمح

١٦٤	عبد الغفار زكي	الزقازيق
١٦٥	إبراهيم أبو عيسي	الزقازيق
١٦٦	سليمان	الزقازيق
١٦٧	حسين	الزقازيق
١٦٨	أحمد الشراقي	حوض نجيح
	البحيــرة	
١٦٩	عبد المنعم ربيع	دمنهور
	الإسماعيليــــة	
١٧٠	إسماعيل حسونة	عزبة غزالة
١٧١	عبد الله سالم	
١٧٢	أبو العلا عواجة	
١٧٣	ناجي عوض الله	
١٧٤	عيسي محمد عيسي	
١٧٥	تغيان قاسم	
	السويــــس	
١٧٦	عبد العظيم عبد المجيد	
١٧٧	مصطفي رفاعي	
١٧٨	مصطفي زكي محمد	
١٧٩	عبد الحميد رزق	
١٨٠	على على القاضي	
١٨١	حسن جودة	
١٨٢	محمد صديق نصار	
١٨٣	محمود إدريس	
١٨٤	رياض زكي يحي	
	بورسعيــــد	
١٨٥	إبراهيم معوض	
	كفر الشيــخ	
١٨٦	إبراهيم الصنفاوي	
	الدقهليــة	
١٨٧	حسين السيد عبد السلام	
١٨٨	فوزي رمضان	
١٨٩	كمال أبو النجا	
١٩٠	عبد السلام الدوداني	
١٩١	على حسن عثمان	
١٩٢	أمين إبراهيم	
١٩٣	شكري الشيخ	
	المنيــا	
١٩٤	عبد الحميد بكر	
	القنطــرة شــرق	
١٩٥	محسن الهواري	
	غــزة	
١٩٦	حسن عبد الحميد صالح	

الفصل السابع

الإخوان في الواحات

ورقم الدوسيه الخاص بى هو «٢٣» ويكتب هذا الرقم على قطعة من المعدن ويعلق على صدرى أما وزنى المسجل عندهم فكان «٧٠» كيلو جرام وعمرى الزمنى «٢١» سنة.

تنقلت فى السجن ما بين عنبر « أ » وعنبر « ب » حسب الدواعى الأمنية كما رأتها إدارة السجن وسكنت فى زنازين متعددة كالتالى بالترتيب:

- عنبر « أ » ((الزنزانة رقم ١٠ ،١٦)) .... ثم عنبر « ب » ((الزنزانة رقم ٤، ٦٢ ، ٥٨ ، ٩)).
- ثم عنبر « أ » مرة ثانية ((الزنزانة رقم ٥٥ ، ١٨، ٦٣)) ... ثم عنبر « ب » مرة ثانية ((الزنزانة رقم ٤٤ ، ٢٦ ، ٦٣ ، ٣٥)).

خرجت من السجن إلى مستشفى بنى سويف الأميري لعمل الزائدة الدودية يوم ٢٦ مايو سنة ١٩٥٧ وعدت إلى السجن فى ٦ يونيه سنة ١٩٥٧، ثم خرجت إلى المستشفى مرة ثانية لعمل أشعة وتحليلات يوم ١٨ يوليه سنة ١٩٥٧ وعدت إلى السجن فى ٢٨ يوليو سنة ١٩٥٧م.

وفي المستشفي أقدمت على الاتصال بوالدي ووالدتي تليفونيا لحضورهم على وجه السرعة لزيارتي ، وكان في هذا الاتصال مخاطرة وصعوبة بالغة للأسباب الآتية :-

أولاً : لأنه لم يكن عندنا تليفون في البيت بل ولا يوجد في القرية كلها تليفون سوى تليفون الحكومة ، وتليفون آخر خاص عند الحاج إبراهيم مجاهد التاجر بالقرية ورقمه كان « ٧٣ » وكان للإخوان صلة بهذا الرجل.

وثانياً : أن والدي الرجل الريفي البسيط لم يكن على مستوي التجاوب السريع ، فهو لم يخرج من قريته إلا إلى مدينة بنها أو قويسنا على بعد حوالي خمسة كيلو مترات تقريباً ، فكيف يقطع المسافة الطويلة

التي تقارب المائتي كيلو متر إلى مدينة بني سويف التي لم يسمع بها من قبل.

ثالثاً : وهو الأهم ، كيف أتصل والحراس من حولي، ومن أين لي بالتليفون؟ وتليفون المستشفي آنذاك لا يتصل إلا في حيز مدينة بني سويف وبالجهات الرسمية.

كل تلك الصعوبات لم تثنيني عن الاتصال ، فهذه فرصتي كي أري أمي وأبي خارج السجن ، ودبرت قروشا بسيطة ، وصاحبت أحد الممرضين واتفقت معه على أن يحجز لي بهذه القروش مدتين في السنترال على تليفون رقم « ٧٣ » قويسنا، ثم يحول المكالمة على تليفون المستشفي وانتظرت بجواره بالاتفاق مع الحرس ، حتى دق الجرس ووجدت على الطرف الآخر الحاج إبراهيم مجاهد الذي صرخ حينما سمع أن الذي يحدثه هو محمود حامد ، فهو لا يصدق بعد أن قالت عني بعض الروايات أنني مت في التعذيب ، وقد حضر أبي وأمي بعد أن أبلغهما الحاج إبراهيم ويا له من لقاء .... ثم حضر بعد ذلك السيد سالم كما قلت سابقا.

يقف السجين / محمود حامد مع وكيل السجن محمود عرابي

السجين / محمود حامد في فناء سجن بني سويف

نحن في السجن كنا نستطيع أن نستقدم من الخارج كل الوسائل التي تعيننا على تسجيل المناسبات « أوراق وأقلام .... حتى الكاميرات »

والتقطت هذه الصور بعد أن رحل الزعيري وفتحت الأبواب واطمأن الجميع .

مجموعة من إخوان سجن بنى سويف تعرفت على صور بعضهم :
إسماعيل ونس . نشات عبد الغني . محب الدين عبد الغني – عبد السلام الدوداني – عباس محمد فرج . اسماعيل حسونة – عبد الظاهر فراج – محمود بسيوني عميرة – إبراهيم دويدار – صلاح يوسف شلبي – يعقوب محمد حسن – إبراهيم السيد . شحاته هدهد – عبد الغفار زكي – عبد الوهاب زكي – على القاضي . عبد المنعم ربيع .

مجموعة من إخوان سجن بنى سويف حاولت ان اتذكر .. وتعرفت على بعضهم :
محمد الحوفي – محمود بسيوني عميرة – سلطان حسن سلطان – عبد الوهاب زكي – عبد الحميد رزق – تغيان قاسم – صلاح يوسف شلبي – مختار حسين .

الرائد مصطفى أبو دمه وكيل سجن أسيوط بين بعض من الإخوان المسجونين منهم عبد الرءوف كامل

داخل العنبر بسجن أسيوط

تعرفت على أربعة منهم : عبد الرءوف بدران - عبد الرءوف كامل - السيد اسماعيل الجندي - حسين عبد المعطي

الواحـــات الخارجـــة

(١) (سجن جناح) :

بعد أن استقر الإخوان فى سجن ليمان طرة فترة من الزمن ، يعانون من الخروج إلى الجبل لتكسير الأحجار ، وهم راضون بهذه اليومية – من الزنازين إلى الجبل – تقرر إبعاد العناصر القيادية منهم إلى مكان بعيد عن الوادى ، فى الصحراء الغربية ، إلى منطقة تسمى « جناح »

ولأن القرار كان ملحا ومتسرعا – حيث لا يوجد السجن المناسب فى وسط الصحراء – فإنهم وضعوا الإخوان فى مكان معسكر قديم مهجور به بعض الخيام القديمة ، وبعض المواسير والمعدات التى يمكن إصلاحها واستخدامها لاستخراج المياه من باطن الأرض ، وأحيط هذا المعسكر بالأسلاك الشائكة ، والجنود المدججين بالسلاح.

ولأن الحياة كانت صعبة على الإخوان وعلى الحراس معاً، وذلك لانعدام وسائل المعيشة ، فإن الحراس وعلى رأسهم الضباط كانوا فى حاجة إلى معونة الإخوان ، وخاصة من الناحية الطبية ، لوجود أطباء بين الإخوان ، وهكذا فإن العلاقة بين الطرفين ظلت تحكمها المنفعة.

واستخدم الإخوان كل إمكانياتهم وتخصصاتهم فى أن يقيموا معسكرا منظماً ، حيث يكون لكل خيمة حدود ، وتصطف مع غيرها فى صف واحد، ينفصل عن صف آخر بطريق معبد ، يرش بالماء كل يوم ، وفى نهاية المعسكر مكان للزرع ، وتربية الأرانب والطيور ، ومكان آخر لمن أراد أن يسهر ويسمر ، وهناك حراسة داخلية للمعسكر من الإخوان ، وكل الخدمات

موزعة عليهم فمنهم الطباخون ، والخبازون ، والذين يديرون طلمبة الماء كى يمتلئ الخزان الذى رفع لأعلى ، وهناك فرق للنظافة وأخرى لتوزيع الطعام ، إلى غير ذلك من الأعمال الضرورية لحياة الناس ، ولأن خبرات الإخوان كانت متعددة ولديهم كل التخصصات ، فإن الأعمال كانت تؤدى بدقة وفن ، مما هيأ فرصة لإقامة حياة مريحة ، يتفرغ الإخوان فيها للإطلاع والعبادة والإبداع الأدبى ، والفنى ، والمسرحى ، وهذا الذى جر عليهم حقد الجهات الأمنية فأقاموا لهم سجناً فى منطقة « المحاريق » ، التى تعنى الحرارة الشديدة ، ونقل الإخوان إلى هذا السجن الذى طبقت فيه كل قوانين السجون علاوة على القوانين الخاصة بمعاملة الإخوان.[1]

اخذت هذه الصورة فى صيف ١٩٥٥ بسجن جناح بالواحات الخارجة لمجموعة من الضباط المحكوم عليهم فى قضايا الإخوان ...
الصف الخلفى من اليمين كمال عبدالرازق – صلاح شادى – جمال إسماعيل ويحمل ابنه الذى كان فى زيارته – رشاد المنيسى – الأستاذ عبداللطيف البحراوى المدرس بالجامعة
الصف الأمامى وكلهم من ضباط البحرية جلوسا من اليمين أحمد عز الدين صادق – سعيد بليغ – أحمد رمزى – عمر أمين

((١) تجد الوصف الشيق والدقيق لتنظيمات الإخوان فى سجن جناح للأستاذ/عبد الحليم خفاجى فى كتابه الرائع " عندما غابت الشمس " الباب الرابع.

امام الخيمة بسجن جناح - الواحات الخارجة صيف ١٩٥٥
الصف الخلفى من اليمين شاكر خليل - رشاد المنيسى - لطفى فتح الله
الصف الأمامى فاروق حسين - أبو الفتوح عفيفى - رسمى سلامه

فى سجن الواحات الخارجة ... من اليمين د/ أبوبكر سليمان ، عبدالمنعم مكاوى ، محمود علام ، د/ كمال خليفة ، محمد سعيد المهدي
الصف الأمامى : عباس عبدالسميع ، صلاح إمام ، جلال عبدالعزيز

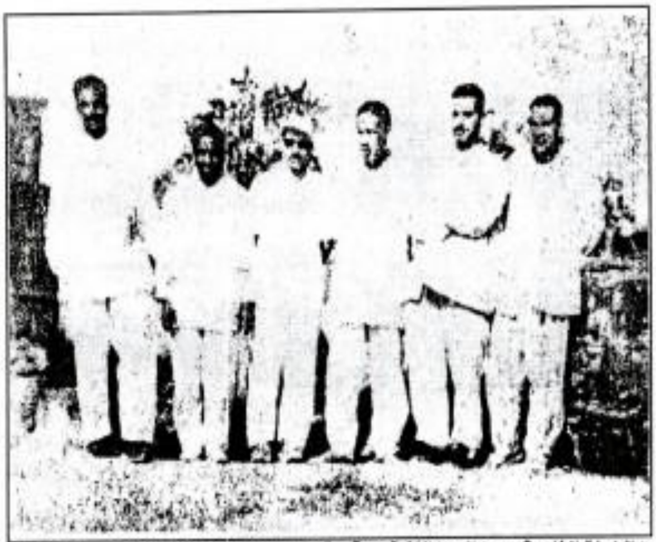

فى سجن الواحات الخارجة ... من اليمين الإخوة دسوقى بقتينه ، صلاح إمام ، صالح أبو رفيق ، حسين كمال الدين
أعضاء مكتب الإرشاد ..د/ أبوبكر سليمان من السودان ـ ومحمد سعيد المهدي

سجن الواحات الخارجة .. من اليمين الحاج محمد سليمان – الأخ كمال عبدالرازق ضابط الشرطة الأخ توفيق شلبى
– الأخ على يوسف ... أمام شجر الخروع الذى زرعه الإخوان حول الخيام .. صيف ١٩٥٥

(٢) سجن المحاريق :-

يتكـون السـجن مـن عنبـرين ، الأول للإخـوان المعارضـين حسـب التصـنيف الأمنـى. والثـانى نصـفه للإخـوان المؤيـدين ، والنصـف الثـانى للشـيوعيين ، ويتكـون العنبـر مـن دور أرضـى واحـد بـه « ١٦ » حجـرة ، والحجرات على الجانبين ، ثمانية فى كل جانب ، ويفصل بينهما ممر إلى دورة المياه والبوابة الرئيسية.

وقد انتقل إليه الإخوان من سجن جناح كما سبق أن أوضحنا ، ثم ورد إليه الإخوان من ثلاثة سجون فى قطار واحد « سجن القناطر ، وسجن بنى سويف ، وسجن أسيوط » وهؤلاء المرحلون هـم فى نظر المباحث العناصر القيادية ، والعناصر النشطة.

-- الرحلة الطويلة --
إلى..... منفى الواحات

فى نوفمبر ١٩٥٨ وليلة الرحيل من السجون الثلاثة بدأ القطار من محطة القاهرة ، وقد أعد للإخوان المرحلين ثلاث عربات فى آخر القطار ، وهى أشبه ما تكون بالعربات التى يشحن فيها الحيوانات ، فهى بلا مقاعد وأرضيتها قذرة وينساب فيها الماء أحيانا من خزان صغير ، فلا يستقر لنا جلوس فى هذا السفر الطويل. الذى استغرق حوالى أربعاً وعشرين ساعة ، ولها نوافذ عالية ، ضيقة ، مرصعة بالقضبان الحديدية. وقد ركب إخوان القناطر فى هذا القطار من القاهرة فى بداية الليل ، ووصل إلينا فى بنى سويف تقريبا فى منتصف الليل ، وكنا قد سبقناه إلى محطة السكة الحديد وسط حراسة كثيفة منعت تواجد أى إنسان على المحطة التى جلسنا على رصيفها القرفصاء انتظارا للقطار ، وسط حزامين من الشرطة المسلحة، ولما

وصل القطار بدأت الأوامر تصدر من هنا وهناك بطريقة عصبية ، وبصوت عال. بالرغم من أنه لا يوجد غيرنا على الرصيف، ولن يتحرك القطار إلا إذا صدرت إليه الأوامر ، ولما دخلنا العربة المخصصة لنا ، وأغلق علينا الباب، كنا نتحسس المكان لأنه مظلم ويتحسس كل واحد منا مكانا يجلس فيه أرضا بعيداً عن تحركات الماء الذى يسيل من الخزان ونحن فى الظلام لا نستطيع أن نمنع هذا الماء ، بل ولا يرى بعضنا البعض ، ثم عرفت أننى جالس بجوار الأستاذ عبد العزيز عطية من صوته ، وهو يلقى بكلمات المزاح ، ليسرى عن الإخوان ، ويتهكم على الطواغيت ، ويسخر من عقولهم التى تطفح غباء وحمقا..

من اليسار الأستاذ مختار عبدالعليم فالأستاذ عبدالعزيز عطية رئيس مكتب إداري إسكندرية وعضو مكتب الإرشاد فالضباط مندوبوا قيادة المنطقة الشمالية فالأستاذ صالح ابو رقيق فالستاذ فريد عبدالخالق في الحفل الذي أقيم بالإسكندرية

هذا الرجل الذى بلغ آنذاك حوالى الخامسة والسبعين ، والأمراض تملأ بدنه ، يتحرك معنا فى جنح الظلام ، ولا يعبأ بالظروف التى تحيط بنا ويستهونها ، ويشجعنا، وفى الظلام تحادثت معه وتسامرت لأن الطريق طويل ، وحينما يطول السفر ، ويشتد الظلام ، وتقسو الظروف من حولنا ، فلا مناص من السمر ، بل وحتى الضحك ، فإن شر البلية ما يضحك ، وكان

الأستاذ عبد العزيز من أبرع الناس فى هذا المضار ، ولما كان تجهيزنا للسفر قد بدأ من بعد الظهر ، ونحن قد صرنا فى منتصف الليل فقد أصابنا التعب ، والقطار ينهب الطريق ، وعجلات العربة من تحتنا تصدر ضجيجا رتيبا ومستمرا كأنه نشيد السفر ، هذا الضجيج يولد اهتزازات متواصلة فى جسم العربة ، فيسرى تيار النعاس فى أبداننا ونغفو لحظات ، نصحو بعدها على صوت الأستاذ عبد العزيز : « إزيكو يا ولاد إحنا فين الآن ؟ » فيرد أحدنا : « نحن فى الجُب يا أستاذ عبد العزيز وليلنا طويل » .

ويرد آخر : « القطار يقترب من أسيوط » .

وبالفعل يهدئ القطار من سرعته ثم يتوقف ، وينظر بعضنا من بين القضبان فيرى الشرطة قد انتشرت على الرصيف ، وتحلقت مجموعة منهم حول مساجين يجلسون القرفصاء بنفس الصورة التى حدثت معنا على رصيف محطة بنى سويف ويحاول أحد الإخوان أن يدقق النظر ثم يقول فى دهشة : « دا فيه إخوان حيركبوا معنا » .

فيرد عليه آخر : « دانا سامع صوت إخوان يكبرون فى العربة السابقة».

عندئذ اتضحت لنا الصورة فهذا قطار الترحيل والتغريب والفراق ، لكنه عندنا هو قطار التجميع واللقاء ، فإن فارقنا إخوانا فى سجن ما فسنلتقى مع إخوان فى سجن آخر، ففى هذا القطار جمع من سجن القناطر، وسجن بنى سويف ، وسجن أسيوط ، وسنلتقى بإخوان لنا فى الواحات..

سار بنا القطار حتى توقف فى محطة فرعيه اسمها « المواصلة » وأنزلونا من العربات الثلاثة لنجد الشرطة فى عدد هائل فى انتظارنا ، وجلسنا على المحطة حوالى ربع ساعة ، ثم ركبنا قطارا صغيرا ، أشبه بقطار الدلتا القديم ، يتجه نحو الغرب ، ويجرى على قضبان تتوه فى رمال

الصحراء ، ويسير القطار ببطء ، ويتوقف كثيرا ، وينزل من القاطرة رجل يتسلق أحد أعمدة التليفونات المغروزة في الرمال الكثيفة ، ويوصل أسلاكه، ومن سماعة معه يخاطب الجهات التى يتعامل معها فى السكة الحديد ، يطمئنهم على سير القطار في وسط الصحراء المكشوفة والرمال المترامية ، ولما كان السجن جديداً ، وافتتحه الإخوان القادمون من معسكر جناح ، فإن الأوامر كانت تقضى بأن تجمع ملابسهم ، وكل وسائل المعيشة التى سهلت لهم الحياة فى جناح ثم تحرق ويلبسون ملابس السجن ، ويحملون فقط « البرش والبطانية » وتغلق عليهم الحجرات ، ويعاملون معاملة سيئة ، وهذه المعاملة طبقت علينا من لحظة دخولنا السجن ، إلا أنها لم تؤثر فينا ، ولم نندهش من هذا الاستقبال فهذه هى الحياة العادية التى ألفناها فى السجون التى قدمنا منها ، علاوة على أن لقاءنا بمجموعة أخرى من الإخوان فى هذا السجن أنسانا وأنساهم ما نحن فيه من شدة ، وطغت فرحة اللقاء على كل المآسى والأحزان وأنشد الإخوان نشيد الأخ سعد سرور مع الأخ أحمد حسين:

محلاهـا والله الزنزانـة ... مزنـواة ولكـن سـيعانة
والأعـدة فيهـا عجبانـة ... وقلوبنـا سـعيدة وفرحانـة

محلاها والله الزنزانة

النومـة علـى الأبـراش حلـوة ... وبإينـا مـع الله فـى الخلـوة
وكتـاب الله أحسـن سـلوة ... وآياتـه تنـور دنياتـا

محلاها والله الزنزانة

النسـمة تمـر تنعشنـا ... والكلمـة الحلـوة تفرفشـنا
وكفايـة معانـا رغيـف عيشـنا ... مـن غـير مـا نغمـس بكفانـا

محلاها والله الزنزانة

قافلينهـا علينـا وحابسـينا ... فـاكرين آل يعنـى مـدايانا
لـو كانـت نـار تصـبح جنـة ... طـول مـا احنـا بنعبـد مولانـا

محلاها والله الزنزانة

اجســـامنا الفانيـــة يخـــدوها	اقلـــــوها ولاً فتحوهـــــا
وهتفضــــــل دايمـــــاً ويانـــــا	وقلوبنـــا مـــش راح يطولوهـــا

محلاها والله الزنزانة

لقطات من سجن (المحاريق)

١- توزيع الغرف :

كان العنبر به « ١٦ » غرفة كبيرة تسع الغرفة الواحد حوالى عشرين فردا. والمدخل من الباب الرئيسى يفصل هذا العنبر إلى جناحين كل جناح به ثمانى غرف ، وأتذكر بعض الإخوان من الآباء والشيوخ الذين كانوا فى الغرفة الأولى. مثل الإخوة : « حامد أبو النصر ، أحمد شريت ، محمد مهدى عاكف ، عبد المنعم مكاوي ، محمد العدوي ، رشدى عفيفي ، عبد العزيز عطية » ، وفى الغرفة المقابلة ورقمها « ٨ » كان يوجد الإخوة : « عمر التلمساني ، مصطفى مشهور، أحمد حسنين، صلاح شادي ، مصطفى الكومي ، محمود أبو رية » . وكان من نصيبى عند التوزيع أن أدخل فى الغرفة رقم « ٤ » وبها عدد كبير من الشباب وبها الأخ : كمال السنانيري.

الأستاذ/ كمال السنانيري

وبعد أن عشت مع هذا الرجل وجدت أنه نوع آخر من البشر ، له طريقة فى الحياة، وعلاقة مع الله موصولة بالسابقين من المؤمنين ، ولا قدرة لأحدنا أن يقلده أو يحذو حذوه ، ويسير معه ، لأنه ربانى فى كل خطوة يخطوها ، وكل عمل يعمله ، وهذا أمر نرغب فيه جميعا ، ولكن لا طاقة لنا بمجاراته فى تنفيذ البرنامج الذى وضعه لنفسه ، فهو حازم مع نفسه فى التنفيذ ، زاهد شديد التقشف ، يصوم معظم الأيام ،ويفطر على القليل ، ويقوم الليل نصفه أو

ثله، ولا يتخلف أبدا عن موعده مع ربه فى كل ليلة ، ويلبس الخشن من ثياب السجن ، ولا يلبس مثلنا الملابس الداخلية التى تقينا من برد ليالى الشتاء فى الجو الصحراوى المتطرف بل يلبس هذا الخشن على لحمه مباشرة ، فيدخل البرد من فتحة الرقبة الواسعة إلى الجسم ، أو من خلال ثقوب النسيج الواسعة ، ومع ذلك لا يحس بهذا البرد كما نحس به ، وخاصة حينما يقف أمام الله فى الليالى الباردة ، فإنه يذوب فى الحضرة الإلهية لا يحس بالبرد بل ولا يحس بنا .

وبعد أن يؤمنا فى صلاة الفجر يتركنا للنوم قليلا ، ثم يوقظنا ، وهو فى كامل نشاطه ، ليبدأ معنا التمارين الرياضية داخل الغرفة المغلقة ، ويستمر معنا فترة طويلة ، حتى يتعب معظمنا وهو لا يتعب ، ففى داخله طاقة لا تنفد ، وعزيمة لا تهدأ ، وقلب شديد الثقة بوعد الله لا يفتر ، فهو يرى النصر قريبا ، وإن لم يكن على أيدينا ، ويرى العز والأمان والسعادة فى معية الله وإن كنا فى القيد والدنيا كلها تحاربنا ، وبعد أن يفتح علينا الباب للذهاب لدورة المياه ، نعود إلى حجرتنا ، ويوزع علينا العدس ، ويغلق الباب ثانية ، ونتناول الفطور إلا كمال السنانيري ، الصائم ، وبعد الإفطار تكون الجلسة اليومية لنتعلم فيها أحكام التلاوة ونستمر فى قراءة القرآن لنطبق عمليا ما تعلمناه ، وهو يصحح لنا بعد أن يسأل كل واحد منا فى دوره عن الخطأ .

وهكذا قرأنا القرآن ، وتعلمنا أحكام تلاوته من الشهيد كمال السنانيري الذى خرج من السجن بعد ذلك ليطبق ما تعلمه عمليا فى ميدان الحياة ، مع ربه ، وينصر دينه فى أركان الأرض ، فيلتحق بركب المجاهدين فى أفغانستان وغيرها من الميادين.

ثله، ولا يتخلف أبدا عن موعده مع ربه فى كل ليلة ، ويلبس الخشن من ثياب السجن ، ولا يلبس مثلنا الملابس الداخلية التى تقينا من برد ليالى الشتاء فى الجو الصحراوى المتطرف بل يلبس هذا الخشن على لحمه مباشرة ، فيدخل البرد من فتحة الرقبة الواسعة إلى الجسم ، أو من خلال ثقوب النسيج الواسعة ، ومع ذلك لا يحس بهذا البرد كما نحس به ، وخاصة حينما يقف أمام الله فى الليالى الباردة ، فإنه يذوب فى الحضرة الإلهية لا يحس بالبرد بل ولا يحس بنا .

وبعد أن يؤمنا فى صلاة الفجر يتركنا للنوم قليلا ، ثم يوقظنا ، وهو فى كامل نشاطه ، ليبدأ معنا التمارين الرياضية داخل الغرفة المغلقة ، ويستمر معنا فترة طويلة ، حتى يتعب معظمنا وهو لا يتعب ، ففى داخله طاقة لا تنفد ، وعزيمة لا تهدأ ، وقلب شديد الثقة بوعد الله لا يفتر ، فهو يرى النصر قريبا ، وإن لم يكن على أيدينا ، ويرى العز والأمان والسعادة فى معية الله وإن كنا فى القيد والدنيا كلها تحاربنا ، وبعد أن يفتح علينا الباب للذهاب لدورة المياه ، نعود إلى حجرتنا ، ويوزع علينا العدس ، ويغلق الباب ثانية ، ونتناول الفطور إلا كمال السنانيري ، الصائم ، وبعد الإفطار تكون الجلسة اليومية لنتعلم فيها أحكام التلاوة ونستمر فى قراءة القرآن لنطبق عمليا ما تعلمناه ، وهو يصحح لنا بعد أن يسأل كل واحد منا فى دوره عن الخطأ .

وهكذا قرأنا القرآن ، وتعلمنا أحكام تلاوته من الشهيد كمال السنانيري الذى خرج من السجن بعد ذلك ليطبق ما تعلمه عمليا فى ميدان الحياة ، مع ربه ، وينصر دينه فى أركان الأرض ، فيلتحق بركب المجاهدين فى أفغانستان وغيرها من الميادين.

ثلثه، ولا يتخلف أبدا عن موعده مع ربه فى كل ليلة ، ويلبس الخشن من ثياب السجن ، ولا يلبس مثلنا الملابس الداخلية التى تقينا من برد ليالى الشتاء فى الجو الصحراوى المتطرف بل يلبس هذا الخشن على لحمه مباشرة ، فيدخل البرد من فتحة الرقبة الواسعة إلى الجسم ، أو من خلال ثقوب النسيج الواسعة ، ومع ذلك لا يحس بهذا البرد كما نحس به ، وخاصة حينما يقف أمام الله فى الليالى الباردة ، فإنه يذوب فى الحضرة الإلهية لا يحس بالبرد بل ولا يحس بنا .

وبعد أن يؤمنا فى صلاة الفجر يتركنا للنوم قليلا ، ثم يوقظنا ، وهو فى كامل نشاطه ، ليبدأ معنا التمارين الرياضية داخل الغرفة المغلقة ، ويستمر معنا فترة طويلة ، حتى يتعب معظمنا وهو لا يتعب ، ففى داخله طاقة لا تنفد ، وعزيمة لا تهدأ ، وقلب شديد الثقة بوعد الله لا يفتر ، فهو يرى النصر قريبا ، وإن لم يكن على أيدينا ، ويرى العز والأمان والسعادة فى معية الله وإن كنا فى القيد والدنيا كلها تحاربنا ، وبعد أن يفتح علينا الباب للذهاب لدورة المياه ، نعود إلى حجرتنا ، ويوزع علينا العدس ، ويغلق الباب ثانية ، ونتناول الفطور إلا كمال السنانيري ، الصائم ، وبعد الإفطار تكون الجلسة اليومية لنتعلم فيها أحكام التلاوة ونستمر فى قراءة القرآن لنطبق عمليا ما تعلمناه ، وهو يصحح لنا بعد أن يسأل كل واحد منا فى دوره عن الخطأ .

وهكذا قرأنا القرآن ، وتعلمنا أحكام تلاوته من الشهيد كمال السنانيري الذى خرج من السجن بعد ذلك ليطبق ما تعلمه عمليا فى ميدان الحياة ، مع ربه ، وينصر دينه فى أركان الأرض ، فيلتحق بركب المجاهدين فى أفغانستان وغيرها من الميادين.

ثله، ولا يتخلف أبدا عن موعده مع ربه فى كل ليلة ، ويلبس الخشن من ثياب السجن ، ولا يلبس مثلنا الملابس الداخلية التى تقينا من برد ليالى الشتاء فى الجو الصحراوى المتطرف بل يلبس هذا الخشن على لحمه مباشرة ، فيدخل البرد من فتحة الرقبة الواسعة إلى الجسم ، أو من خلال ثقوب النسيج الواسعة ، ومع ذلك لا يحس بهذا البرد كما نحس به ، وخاصة حينما يقف أمام الله فى الليالى الباردة ، فإنه يذوب فى الحضرة الإلهية لا يحس بالبرد بل ولا يحس بنا .

وبعد أن يؤمنا فى صلاة الفجر يتركنا للنوم قليلا ، ثم يوقظنا ، وهو فى كامل نشاطه ، ليبدأ معنا التمارين الرياضية داخل الغرفة المغلقة ، ويستمر معنا فترة طويلة ، حتى يتعب معظمنا وهو لا يتعب ، ففى داخله طاقة لا تنفد ، وعزيمة لا تهدأ ، وقلب شديد الثقة بوعد الله لا يفتر ، فهو يرى النصر قريبا ، وإن لم يكن على أيدينا ، ويرى العز والأمان والسعادة فى معية الله وإن كنا فى القيد والدنيا كلها تحاربنا ، وبعد أن يفتح علينا الباب للذهاب لدورة المياه ، نعود إلى حجرتنا ، ويوزع علينا العدس ، ويغلق الباب ثانية ، ونتناول الفطور إلا كمال السنانيري ، الصائم ، وبعد الإفطار تكون الجلسة اليومية لنتعلم فيها أحكام التلاوة ونستمر فى قراءة القرآن لنطبق عمليا ما تعلمناه ، وهو يصحح لنا بعد أن يسأل كل واحد منا فى دوره عن الخطأ .

وهكذا قرأنا القرآن ، وتعلمنا أحكام تلاوته من الشهيد كمال السنانيري الذى خرج من السجن بعد ذلك ليطبق ما تعلمه عمليا فى ميدان الحياة ، مع ربه ، وينصر دينه فى أركان الأرض ، فيلتحق بركب المجاهدين فى أفغانستان وغيرها من الميادين.

هذا هو كمال السنانيري الذى أحسبه كما عايشته صحابيا تأخر به الزمن ، هذا هو سيد الشهداء ، الذى قال عنه الجلادون لما قبضوا عليه فى المرة الثانية إنه انتحر ، لأنه لم يتحمل ظروف الحبس ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (١)، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾(٢). أما أنت يا كمال فاهنأ باللقاء الذى كنت تعد نفسك له ، وأنعم بجوار ربك ، ولن ننس الصحبة ، ودمك الزكى يهدينا ، وسلام عليك مع الأبرار والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ (٣).

٢ـ العمل فى الجبل :

لم تكن هناك جبال ولكن هى الصحراء فى مساحات كبيرة ، يطلق عليها العامة الجبل ، ولما رآنا الجلادون نسعد بالحبس وغلق الزنازين ، ولا نتأثر بكل ما حدث لنا ، أملى عليهم شياطينهم طريقة أخرى يتعبوننا بها ، فأخرجونا إلى الجبل فى طوابير تحوطنا الحراسة من كل جانب. وهناك فى الجبل نعمل فى استصلاح الأراضى التى أطلقوا عليها الوادى الجديد ، ولم يكن عملنا فى الأرض من أجل الإنتاج، فجرافة واحدة يمكنها فى ساعة واحدة أن تنجز ما نقوم به جميعا فى شهر كامل ، ويتلخص عملنا فى الحفر وحمل التراب والرمل من مكان إلى آخر باستخدام المقاطف ، لكن هذا الذى أرادوه لنا تعبا صار بحمد الله نفعا ورحمة علينا ، ويتجلى ذلك فى الآتي :

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥.
(٢) سورة الشعراء : الآية ٢٢٧.
(٣) سورة النساء : الآية ٧٠.

أن كثيراً من الإخوان حفظوا القرآن ، أو أجزاء منه فى الجبل ، ولم يكن معهم المصاحف ، لأنها ممنوعة ، فتحايل الإخوان على ذلك بأن يتزامل إثنان فى حمل المقطف ، أحدهما من الحفاظ والثانى يحفظ منه بالترديد وراءه ، وأنا شخصيا أكملت الحفظ فى الأجزاء الأخيرة من القرآن بهذه الطريقة مع شيخى الأخ حسين عبد المعطي وأنشد الإخوان جميعاً مع الأخ سعد سرور وقرينه أحمد حسين:

افديك بروحى يا كتابى ومهجتي   افديك بدمى وما ملكت فى دنيتى
إنت دليلى ورمز مجدى وعزتى   واحفظ عهودك عمرى ما انسى بيعتي
افديك بروحى يا كتابى ومهجتي

وأن الحبس فى الحجرات مدة طويلة ليل نهار جعلنا عرضة للأمراض، فلما خرجنا إلى الجبل تحركت الدماء فى عروقنا وانشغلنا بحمل المقاطف وحفظ القرآن، وانفتحت شهيتنا للفول المسوس ونسينا كل الآلام.

ومثال على ذلك الأخ صلاح شادي الذى كان عموده الفقرى شبه مكسور من آثار التعذيب فى السجن الحربى ، ومعدته متوقفة عن الهضم فلما ذهب إلى الجبل زالت عنه كل هذه الأعراض ، ولأن العمل فى الهواء الصحراوى الجاف يفتح شهيتنا للطعام ، فإنه كان يبحث عن العدس المتروك من اليوم السابق ، ومعه الخبز القديم ، ويأكل بشهية ، وهكذا أراد الله لنا الشفاء جميعا من غير طبيب ولا دواء.

- **حوار مع الشيوعيين:**

ولقد كان معنا فى الجبل شيوعيون ، ولهم مكان خاص بهم فى العمل وكان بعضنا شغوفا أن يسمع عن الفكر المادى من أفواه معتنقيه ، وعلى

رأس هؤلاء كان الأخ عبد الحليم خفاجي والأخ عبد الرحمن البنان.

ولقد كانت هذه اللقاءات مع الشيوعيين توجد نوعا من الحساسية عند بعض الإخوان ، بالرغم من أن هذه اللقاءات كانت تكسبنا خبرة ، ودراية بالأفكار والنظريات التى أصبحت مطروحة على الساحة العالمية ، وتجتاح عقول كثير من الشباب ، كما أن هذه اللقاءات أفادت الإخوان كثيرا ، خاصة بعد أن حضر بعضها الأخ حامد أبو النصر وأزال هذه الحساسية ، ولأن الأخ عبد الحليم خفاجي جدلى بطبعه من أجل الوصول إلى الحقيقة ، وهو اجتماعى اندماجى يحب التعامل مع الآخرين ، حتى لو كانوا شيوعيين ، فقد أخذ هذا الأمر على عاتقه ، وأعد لهذه الجلسات ، وجمع لها الرواد والمشاركين فى الجبل ، بعيدا عن أعين الحراس ، وقت الراحة من العمل ، وكان من نتائج هذه الجلسات أن أخرج كتابه : « حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون » والذى لا يزال يطبع حتى الآن.

لقد أعد الأخ عبد الحليم ومن معه الخطة فى التعامل مع الشيوعيين كالآتى:-

١- أنهم يظهرون فى بادئ الأمر جهلهم بالفكر المادى ، وأنهم حضروا للاستفادة والإطلاع.

٢- ولا يبدون أى مقاومة للفكر ، أو أى نقاش ، باعتبارهم يستقون المعرفة من أهلها.

٣- أن يعطوا الأمان للشيوعيين فى أن يقولوا ما عندهم فى الأديان وكذا فى الإخوان أنفسهم.

٤- اشترطوا على الشيوعيين ألا يخفوا أى شيء ، وصارحوهم بأننا جميعاً سجناء الرأى ونبحث عن الحقيقة. وبعد أن تبادل الشيوعيون الأدوار كرواد فى الفكر المادى وتحدثوا كثيرا عن قصة الحياة ،

وبدايتها ، وعلاقة الإنسان بكل الظواهر المادية من حوله فيما يعرف عندهم « بالتفسير المادى للتاريخ » ، وأوضحوا أن حياة الإنسان على مر التاريخ قائمة على الصراع مع الطبيعة من جانب، ومع أخيه الإنسان من جانب آخر ، فيما يسمى بصراع الطبقات أى أن المادية الجدلية كما يسمونها هى التى تهيمن على حركة التاريخ، وأن حياة الإنسان مرهونة بهذا الصراع الذى لا يتوقف ، وأن الدين هو أفيون الشعوب الذى تخدر به الطبقة المالكة بقية الشعب المحروم باسم الصبر ، والاحتساب فى الدنيا ، من أجل وعد بالجنة فى الدار الآخرة ، وهى عندهم غيب لا وجود له لأنهم لا يؤمنون بالغيبيات .

ومن هنا كان الإخوان فى نظرهم هم العدو الأول الذى يجب سحقه، لأنهم أدوات التعويق فى مسيرة التاريخ الحتمية ، التى ستنتهى بتسليم القيادة لطبقة الصعاليك « البرولوتاريا » صاحبة المصلحة الحقيقية حيث يعم الرخاء والسلام أرجاء الأرض ، وتتوقف الصراعات ، وبالتالى تتوقف حركة التاريخ عند هذه النهاية المحتومة التى هى فى نظرهم الجنة الموعودة.

لن استمر فى سرد باقى النظرية كما سمعناها منهم لكننى سأتوقف عند نقطة هى بداية الحرج ، وبداية عجز النظرية عن إيجاد الرد العلمى والمنطقى لبداية الخلق التى يرتبون عليها حركة التاريخ المادى كما يدعون.

كأن ضروريا أن يرد الإخوان ويقولوا رأيهم فى كل ما سمعوه ، وأن يتجاوزوا العداء الواضح والصريح لهم من قبل الشيوعيون ، لأنهم أصحاب حجة ، وأصحاب رسالة واجبة التبليغ لأعداء هذا الدين ، قالها ربعى بن عامر ﷺ أمام قائد الفرس حين سأله : « ما الذى جاء بكم؟ » فرد عليه

ربعي : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » .

حينما بدأ الشيوعيون حديثهم عن التفسير المادى للتاريخ قالوا : « لقد وجدت الخلية الحية الأولى التى هى أصل التسلسل المادى » .

ومن هذه البداية الضعيفة فى النظرية بدأ الإخوان يناقشون.

وبدأ الأخ عبدالحليم خفاجي يوجه حديثه للشيوعيين قائلاً : « بداية يجب أن نكون أمناء وصرحاء فى الحديث ، وأن يكون هدفنا الوصول للحقيقة ، التى من أجلها جئنا نحن وأنتم إلى هذا السجن ، وأن نتجرد – مؤقتا – من انتماءاتنا حتى نكون محايدين فى أحكامنا. هل يمكن أن تكون هذه المقدمة قاعدة لحديثنا وكل مناقشاتنا ؟؟ » .

فرد الشيوعيون بلهجة تنم عن الشعور بالفوز :

« نعم نحن موافقون على هذه المقدمة » .

فقال لهم : « أنتم أصحاب نظرية علمية لا تؤمن إلا بالمحسوس. أى الوجود المادى من حولنا ولا مكان فى نظريتكم للغيبيات.. أليس كذلك ؟».

فقالوا : « بلى.. »

فقال لهم : « لقد بدأ حديثكم بمغالطة علمية.. لقد بنيتم الفعل للمجهول بقولكم : وُجدت الخلية الحية الأولى وهذا معناه الإيمان بالمجهول أى بالغيبيات التى تنكرونها ، فأنا أبنى الفعل للمجهول حينما أعجز عن معرفة الفاعل ، وإيجاد الدليل ، ولا يصح أن تناقشونا إلا بالدليل العلمى ، لأن نظريتكم علمية حتمية كما تقولون ، ولا يصح أن تقوم على

أساس غير معلوم. فهذه الخلية الأولى كيف وُجدت ومن أوجدها ؟؟ الفاعل لابد أن يكون ظاهراً والفعل لابد أن يبنى للمعلوم حتى تكون النظرية علمية. فهل عندكم من جواب على هذه البداية من الحوار؟»

سكت الشيوعيون ونظر بعضهم إلى بعض ثم قال أحدهم :

« هذا كلام صحيح ويجب أن يكون الجواب حاضرا ودعونا نتحاور فيما بيننا بعد العودة من الجبل ونأتيكم غدا بالإجابة » .

وفى الغد يجهز الإخوان أسئلة جديدة من خلال المتناقضات فى النظرية ، وفى كل غد تظهر الثغرات ، وتزداد المتناقضات ، ويلقى الإخوان بأسئلتهم فى وجوه الشيوعيين ، وترفع الجلسات انتظارا لكل غد لعل القوم يتفقون أو يعثرون على إجابة لكل سؤال ، لكنهم لم يتفقوا ولم يعثروا.. وكانت النهاية أن تفرق القوم إلى فرق .

ويبرز الإخوان أمام الشيوعيين كمحاورين ودارسين وأصحاب نظرية تفسر التاريخ تفسيرا إسلامياً ، بأن البشرية من أولها إلى آخرها تتحرك وفق إرادة السماء بقيادة الأنبياء والمرسلين والمصلحين الذين جاءوا على فترات بعد كل انتكاسة عارضة ، ليجمعوا الناس من جديد على كلمة التوحيد ، وفى ظل التوافق والانسجام ، بعيدا عن الصراعات والصدامات.. وفق منهج الله الذى يشبع الجوانب الروحية ، وفى نفس الوقت يرتقى قمة الإبداع المادى ، ليشبع الغرائز ، ويمنع الصراعات وهذه إحدى وظائف الإنسان الأولى منذ أن عهد الله إليه بالخلافة فى الأرض وإعمارها.

٣ـ الضغوط النفسية :

بدأت فترة الواحات سجن المحاريق فى نوفمبر سنة ١٩٥٨ – أى بعد أربع سنوات قضيناها فى السجون الأخرى .

وبدأت الضغوط علينا من أول يوم ، وتنافس الضابط عثمان مع الضابط عبد العال سلومة فى إتعابنا ، ليقدما قربانا إلى المباحث ، فعقد الضابط عثمان اجتماعاً لنا ليتحدث عن السد العالى ويدعونا إلى تأييد جمال عبد الناصر ومن ضمن ما قاله : اخلعوا النظارات السوداء عن أعينكم.

وبدأ يحدثنا بلغة ركيكة ومعلومات تافهة ومشوشة عن إنجازات عبدالناصر ، ويدعونا أن نسايره فى الحديث ، لكن لم يجد استجابة لتفاهة موقفه ، وطبيعة شخصيته الوصولية الخاوية من أى معلومات صحيحة ، لكن الأستاذ عبدالعزيز عطية لم يتركه يستمر فى إلحاحه وقاله له :

« يا بنى إن كان السد العالي صالحا فسيصبح على أيديكم فاسدا ، لا بقرارى ولا بقراركم. إنما هو بقرار الله إن الله لا يصلح عمل المفسدين » .

أما الأستاذ صلاح شادي فقد أراد أن يضع حدا لهذا الوقت الضائع فقال له :

« يا بنى من الذى أرسلك لتتحدث معنا ؟ وأنت لا تعرف شيئا عن العلاقة بيننا وبين عبد الناصر وأنا طرف أساسى فيها ، اترك هذا الحوار لمن هم أدرى حتى يكون حوارنا مفيدا » .

وفى الجانب الآخر كان الضابط عبد العال سلومة لا يمل المحاولات باستخدام كل الوسائل الودية وغير الودية فى سبيل أن يظفر بنتيجة ترفع من

شأنه عند المباحث .

وقد واتته الفرصة التى كان ينتظرها ليحكم قبضته علينا.. فهو دائم الترقب لأى خطأ نقع فيه ليسوئ موقفنا مع الإدارة الجديدة ، هذه الفرصة واتته فى صورة خطاب ورد من أهل الأخ سيد دسوقي الطالب بكلية أصول الدين بالعباسية ، وقد حصل على الدكتوراه وهو اليوم أستاذ بنفس الكلية ، ومعروف أن جميع الخطابات تراجع وهى صادرة أو وهى قادمة فلا حرمة لشيء عند هذا النوع من البشر... وجد هذا الضابط أن أهل الأخ سيد يقولون له أنهم أرسلوا كل ما طلبه مع السجان زكي... وكذلك حملوه خطابات من أهل بقية الأخوة المسجونين من حى العباسية.. فطرب عبدالعال لوقوعنا فى هذا الفخ حيث اكتشف وجود شبكة اتصال بيننا كمسجونين والخارج محورها السجان زكي.. وما أسهل تضخيم الأمور ، بحيث يقول إنه تجمعت لديه خيوط مؤامرة كاملة لقلب نظام الحكم ، وما أسهل تغيير الحقائق فى هذه الحقبة الغابرة من تاريخ مصر.

لم يستطع أن يكتم مشاعره فنادى على سيد دسوقي وتوعده ، وأراه الخطاب وسأله عن السجان زكي فأنكر الأخ سيد معرفته بأى شيء.. لكن عبد العال كان مطمئنا لأن القطار سيصل بعد يومين والسجان زكي فى إجازة وقادم فعلا بقطار الواحات الذى سيقوم من محطة المواصلة بعد غد، ولا شيء على وجه الأرض يحول دون حضوره إلى المحطة المشئومة التى تسمى محطة السجن فى الوقت المناسب ، فالقطار يقطع الصحراء القاحلة إلى أن يصل إلى أول محطة له وهى محطة السجن قبل الوصول إلى مدينة الخارجة فأى عاصم لنا من شره.

أدرك الإخوان هول الموقف الذى ستتعرض له... ولم يكن لنا سلاح

أمام أي موقف سوى الدعاء والذكر ، فنبه الإخوان المسئولون علينا من خلال الأخ رشدي عفيفي الذى يتولى أمر مفتاح العنبر بعد عودته من المزرعة وبعد انصراف قائد العنبر ظهراً ... نبهوا علينا بالإكثار من دعاء : « يا حى يا قيوم برحمتك نستغيث » .

وأصبح للزنازين دوى كدوى النحل.. وعلمتنا التجارب أن الدعاء والالتجاء إلى الله قبل الأخذ بالأسباب هو أقصر طريق للحل فى حياة المؤمن ، وأكسبتنا التجارب حسن المعاملة مع الله والثقة فى قدرته التى لا تغلب حتى أننا كنا نهوى التفرج على تصاريف القدر ، فهو يخرجنا من المأزق ويحمينا من الشرور.

ولمعت فكرة جديدة فى ذهن رشدي عفيفي .. فجسمه دائم الحركة ، وعقله دائم التفكير ، وخطواته دائمة التوفيق ، لقد تذكر أن الأخ المهندس محمد سليم من إخوان الإسكندرية يزوره والده الآن فى المكتب ، وهو رجل كبير السن لم ير ابنه منذ سنوات فحمله الشوق لرؤية ابنه إلى مكابدة السفر فى كل أنواع المواصلات الأرضية من الإسكندرية حتى وصل اليوم لزيارته.

ولأن الواحات ليس لها إلا قطار واحد كل أسبوع هو الذى سيعود فيه والد الأخ محمد سليم اليوم ، فإن نفس القطار هو الذى سيحضر فيه كل من كان فى الإجازة من السجانة ومنهم السجان زكي الموجود الآن فى مدينة المواصلة انتظارا لوصول القطار. وبحيلة من رشدي أوصل لوالد محمد . سليم القصة كاملة ليبحث عن السجان زكي ويتسلم منه كل ما معه.

ووصل والد الأخ محمد سليم فى اليوم التالى إلى محطة المواصلة وسط حشد كبير من الناس.. وهجم على القطار حشد أكبر ، فكيف لهذا

الرجل العجوز أن يتعرف على السجان زكي وسط هذا الزحام قبل أن يتحرك القطار.. واعتمد على الله، وانتظر حتى استقر الركاب على مقاعدهم.. وسأل من شباك القطار أول من وجده أمامه..

- « يا بنى هل تعرف السجان زكي ؟ »
- « أنا السجان زكي يا عم.. ماذا تريد منى؟ »
- « الحمد لله يا بنى أنت زرت بيت الأخ سيد دسوقي وأحضرت معك ولإخوانه خطابات وبعض الممنوعات » .
- « لماذا تسأل عن ذلك » .
- « لأنه قد عُرف أمرك من خطاب وصل الأخ سيد .. والإخوة هناك يطلبون منك تسليمى كل ما معك ، فأنا والد الأخ محمد سليم » .
- « جزاك الله خيرا يا أبى وهاك كل ما معى .. »

وحان موعد وصول القطار ، وخرج عبد العال سلومة بنفسه إلى محطة القطار ومعه بعض الجنود لضبط الواقعة والقبض على الجاويش.. ووصل القطار ونادى عبد العال سلومة :

- « أين الشاويش زكي ؟ » .
- « تمام يا أفندم أنا الشاويش زكي » .
- « تعال يا بن الـ.. فين شنطتك... فتشه يا عسكرى... لا تتكلم يا مجرم .. وفوجئوا بوجود ممنوعات معه تخص الشيوعيين.
- ولم يجد معه أى شئ يخص الإخوان ، فجن جنون عبدالعال

سلومة وألقى القبض على الجاويش زكي.

كانت حراسة السجن موكلة لفرقتين إحداهما كتيبة من الجيش للحراسة الخارجية وبها الشاويش زكي الذى يتعامل مع الشيوعيين ، والفرقة الثانية من السجانة للحراسة الداخلية ، وبها السجان زكي الذى يتعامل مع الإخوان .

ووقف السجان زكي يتفرج على الشاويش زكي الذى قبض عليه ، ومن حكمة الله أن الجاويش زكي كان يعامل الإخوان معاملة سيئة ، فوقع فى شر أعماله وفدى الله السجان زكى بجاويش الكتيبة. وتعجبنا من تصاريف القدر الذى حمانا وعاقب من أساء إلينا فى نفس الوقت ، ورد كيد الحقد الأصفر. فأى قدرة أعظم من قدرة الله[1] .

لكن الأمر عند فريد شنيشن قائد السجن لا يحتاج إلى كل هذه الحوارات ، فهو لا يعول عليها ولا يفهم فيها ، وأقصر الطرق عنده حمل الناس على تأييد عبد الناصر بالجلد والتعذيب ، فهو الذى أخذ الإذن بخروجنا إلى الجبل للعمل تحت أشعة الشمس المحرقة ، لكن الله خيب ظنه وجعلها بردا وسلاما ، وأحال هذا الخروج إلى نفع كبير لصحتنا ، وحفظنا القرآن الكريم كما سبق الحديث، ولم تنجح خطته فبحث عن طريقة لاستفزازنا ، فأقام احتفالا بعيد الثورة وعمل مسرحا وقف عليه ليسب ويشتم قائلا :

« إن قيام الجمهورية العربية المتحدة صفعة على أقفية الأنطاع» .

ثم نظر إلينا ليرى من يتحرك أو يحرك شفتيه فيأخذه على المسرح

(١) كتاب (ملك السجن) لعبد الحليم خفاجي ومحمود حامد.

ويجلده على العروسة أمام المشاهدين ، لتكتمل المسرحية وينسدل الستار على نهاية مؤلمة ، ولكن لم تتحرك شفة واحدة بالرد ، فمن يدرى لعل الأمر لا يقف عند حد الجلد ، بل ربما تكون النية مبيتة لإبادتنا بالرشاشات الجاهزة حولنا كما حدث فى سجن ليمان طرة ، والحمقى لا يبالون إن ذبحت شاة ، أو مائة شاة ، لكن الأستاذ عبد العزيز عطية – على كبر سنه ووهن صحته – كان يتحرك من داخله ويخشى منه أن يظهر داخله على سطحه لكن الله سلم وضغط على نفسه واستجاب لرأى الإخوان الصامت الذى ظهر على وجوههم ، فكتم ما فى نفسه ، وضبط حركته مع حركة الإخوان ، لأنه منهم وقائد فيهم .

واستمر شنيشن فى غيه يستفزنا بكل الوسائل ويتلمس لنا الأخطاء ، ففى أحد الأيام حمل أحد العساكر ورقة منه للأخ أحمد عبد الحليم بإصلاح بدلته العسكرية لأنه ترزى ، وشغّله شنيشن فى تصليح بدل العساكر والضباط ، فقال للعسكرى : « انتظر قليلا حتى أفرغ مما فى يدى » فذهب العسكرى إلى شنيشن وقال له : « إن أحمد عبد الحليم رمى الورقة » فهاج كالثور وأحضر أحمد عبد الحليم وضربه بجريدة خضراء على رجليه خمسين جريدة ، ثم مر علينا بعساكره فى الحجرات يدمر حاجياتنا وأطعمتنا خاصة الطحينة التى كنا نشتريها من الكانتين ، لنصلح بها طعامنا حيث كان مغرما برميها على الأرض ، وإتلافها لأنها حسب كلامه تليّث مخ الإخوان أى تجعلهم لا يفكرون فى تأييد عبد الناصر ، وكنا نقابل كل ذلك ونستعين عليه بدعاء الليل حينما نهجع إلى حجراتنا وخاصة فى الليلة الجامعة ، التى اصطلحنا عليها كل أسبوع نلح فى الدعاء ونكرره ألف مرة تحت عنوان يقوله لنا الأخ عبد الحميد البرديني والتقينا فى الميعاد... ثم انطلقنا إلى ميعاد.

وإذا كان القوم قد تجمعوا علينا داخل السجن وكنا نتحمل أذاهم ، فإن الضغوط الخارجية على أسر الإخوان كانت قاسية ، ومن الإخوان من كان يجتمع عليه هم الداخل وهم الخارج ، فالفرد الذى كان يعمل موظفا بالدولة وانقطع راتبه بعد دخوله السجن ، من أين تعيش أسرته وقد ضيقت عليها أجهزة الأمن ، وحرمتها من أى مساعدة ترد إليها من أى متعاطف ، أو فاعل للخير ، أو أحد الإخوان عميت عنه أعين المباحث ، وما زال موجودا خارج السجن ؟!

وقد أسرعت هذه الفئات لنجدة أسر الإخوان ، باعتبار أن هذا واجب دينى ، وشكل من أشكال الترابط فى المجتمع وعادات أصيلة فى الشعب المصرى حفظها من تراثه القديم.

لكن هذا يعتبر إخلالا بالأمن فى نظر أجهزة الأمن ، التى تقبض على كل هؤلاء وتحاكمهم ، لأنها تحافظ على المجتمع ، وعندهم القضاء العسكرى الذى يحكم حسب الكشوف المقدمة إليه ، بخمس سنوات سجن لمن تصدق بخمسة قروش ، التى كانت فى استطاعة الناس آنذاك أن يدفعوها ، وشكلوا من هؤلاء جهازا كتبوا عنه فى الصحافة وأطلقوا عليه « جهاز التمويل » .

هذه المساعدات فى نظرهم تدعم الأسرة التى غاب عنها عائلها والتى هى فى النهاية سند له يساعده على المضى فى طريقه ، ولابد أن يعود هذا السجين إلى رشده ، بإضعاف أسرته ، إلى الحد الذى تعجز فيه عن إطعام نفسها ، لتتخلى عنه ، وعند ذلك تتقدم المباحث بعروض المساعدة الهزيلة للجائع والعارى ، بشروط قاسية ، قد يكون منها القبول بالعمل لحسابهم ، ولقد وجدت أحد الإخوان فى سجن الواحات مغموماً فى أحد الأيام ،

فأحببت أن أسرى عنه ، وسألته عن السبب ، فقال لى عبارات : « إن زوجتى أرسلت إلىّ حوالة بريدية بمبلغ ((٢٥قرشا)) ، وقالت لى :

إن هذه القروش هى آخر ما أمتلكها فى الحياة وقد أرسلتها لك » .

ثم أردف قائلا : « من أين ستنفق زوجتى على الأولاد ؟! » .

وزيادة فى التنكيل بالإخوان ، فإن الضغط يمتد إلى الزوجات بالتفريق بينهم وبين أزواجهن ، عن طريق شياطين الإنس ، الذين يوسوسون للزوجة المعزولة عن الحياة ، والوحيدة فى الميدان ، بأن تفكر فى أحوالها المتردية ، ومستقبلها المظلم فى غيبة الزوج المحكوم عليه بمدة طويلة ، يعيشها فى ظروف قاسية ، ستقضى عليه حتما ، ولا أمل لها فى الانتظار ، والأفضل لها أن تبحث عن مستقبلها.

إن هذه الصورة لهذا المستقبل المعتم لم تؤثر فى الزوجات ، بل زادتهن إصرارا على الوقوف بجانب أزواجهن ، وخرجن إلى الشوارع لمزاولة الأعمال ، كانت بسيطة من أجل الصمود أمام هذه الضغوط والمحافظة على القيم ، والوفاء للأزواج مدى الحياة ، وطال الانتظار حتى خرج الأزواج بعد عشرين عاماً.

إلا أن حالة صادفتها فى سجن بنى سويف قد تأثرت بهذه الوساوس ، فبعد رجوع الإخوان من زيارة ذويهم فى أماكن الزيارة ، وجدتهم مسرورين إلا واحدا من بين العائدين الخمسة ، الذى انتحى جانبا يفكر وهو حزين . فأقبلت عليه أسأله .. فصمت ولم يرد ، ولما ألححت عليه بالسؤال انطلقت دمعات من عينيه وهو الجامد الذى لا يبكى ، والتصقت الحروف باللسان وسقف الحلق فلم يستطع أن يجمع الكلمات ، لكنه تحامل على نفسه وأخرج كلمات متحشرجة من فمه نطق بها قائلاً: « لقد طلقت منى زوجتي»

فوجمت أنا الآخر ، وأطرقت رأسى مثله ، وساد الصمت بيننا لحظات ثم اندفعت أقول : « أبهذه البساطة ؟! كيف..؟! ولماذا..؟! » لم يرد على ، فالمفاجأة أخرسته ، وأتعبتنى وأحسست أنه أوشك على الإنفجار ، ولابد أن أدفعه للكلام ، كى يخرج شحنات الغم والحزن التى تراكمت سريعا فى داخله ، وبإلحاح منى ومشاركة أخوية أخرج كلمات وعبارات ساعدته فى تنظيمها والنطق بها ، ثم أعاد صياغتها وترديدها من جديد قائلا : « كانت زوجتى فى الزيارة السابقة طبيعية معى وعهدى بها وفية لى ، لكنها أشتكت لى من أهلها الذين يهددونها بالتخلى عنها وانصرفت من الزيارة ونحن سويا على عهدنا بالصبر والإحتساب ، وانتظرتها فى هذه الزيارة لنتواصى ونؤكد ما تعاهدنا عليه فى الزيارة السابقة ، لكنها وقفت أمامى صامتة مطرقة رأسها نحو الأرض ، فأحسست بشيء من الريبة... لكن... هذه ليست زوجتى التى تضاحكنى فى كل زيارة، وتبث إلى مشاعرها ، وتبعث فى الأمل.. ماذا جرى.. ؟! فسألتها ماذا حدث ؟ فلم ترد ، وعلا وجهها الحزن الشديد فكررت سؤالى ، وتحركت شفتاها قليلا ، بدون كلام أو صوت مسموع ، فأشفقت عليها وناديتها باسمها أن تجيبنى ويا ليتنى لم أسمع الإجابة ، ولم أحضر حتى الزيارة ، لقد نزلت دموعها غزيرة وقالت كلمة واحدة «طلقني».

تلقيت كلماتها كالسيف الذى يقطع فى لحمى ، إلى الحد الذى غاب معه عقلى عن التفكير ، وتوقف لسانى عن الكلام ، « آه... لقد انكسر قلبى، وهزمت من داخلى ، لأن حصنى المتين قد هدم، وخط دفاعي الأول أتى عليه الأعداء... ألف مرة آه وما تغنى الآهات ، لقد حدثتها بلا هوية لأن صفة الزوجية قد زالت عنا » .

وهانت على نفسى وقلت لها وأنا حزين: « ليه كده يا بنت الحلال ؟» فلم تجبنى إلا بالدموع ، وحرمتنى من صوتها الذى تعودت أن

أسمعه بكلمات الحنان والوفاء ، ثم ولت بسرعة خارج المكان .

ونادى على الضابط وأجلسنى وحيدا فى غرفته ثم خرج، وأدخلوها على مرة ثانية ، ومن ورائها والدها ثم المأذون ، لقد أعدوا العدة ، وفى دقائق كان كل شيء قد انتهى ، فقد حكموا على بالعزوبية ، ولم يعطونى فرصة أدافع فيها عن نفسى ، وخرجت زوجتى من عندى امرأة أجنبية لا يحل لى أن أنادى عليها ، أو أنظر إليها... لقد سرقوا منى زوجتى وأنا أنظر إليهم... وفى لحظات سلبونى أعز ما أملك ، وأخذوا الجمل بما حمل وفروا هاربين مثل قطاع الطريق ، وتركونى فى غرفة الضابط انزف كل دمائى ، دون شفقة أو رحمة ، حتى نادى على الضابط بالخروج من حجرته إلى زنزانتى... إلى موتى البطيء...

٤ـ قصة التأييد والمعارضة:

بدأت فكرة تأييد جمال عبد لناصر فى سجن جناح بالواحات الخارجة، وخرجت هذه الفكرة فى بادئ الأمر من عناصر قيادية مخلصة، انضم إليها بعد ذلك بعض العناصر التى انهزمت داخلياً وتراجعت عن موقفها السابقة التى أنشأتها لنفسها فى زحمة التيار الصاعد.

بنيت الفكرة على أسئلة وردت على الخاطر فى لحظات استرخاء فى هذا السجن البعيد وخلاصة الفكرة لماذا فرض علينا عبد الناصر المعركة؟ ولماذا خسرناها ؟ بالرغم من أن أجهزة الإخوان السرية والعلنية كانت على كفاءة عالية ، وانتشار واسع، وتهيؤ لملاقاة الخصم ...

وتهامس البعض ... إذا لم نكن كذلك فلماذا لم نهادن عبد الناصر؟ أو أن نأخذ زمام المبادرة ونحسم المعركة لصالحنا، خاصة وأنه قد نقض كل

تحالفاته ووعوده معنا، وصفى حساباته مع كل القوى والأحزاب فى مصر، وبدأ يتهيأ للمعركة الفاصلة معنا، وقد أفصح عن نواياه.. إما أن نكون معه .. أو يكون هو علينا . لكن العناصر المشككة والمنهزمة داخلياً بدأت تثير تساؤلات حول شرعية جماعة الإخوان المسلمين وأحقيتها فى العمل، هل هى جماعة المسلمين أم هى جماعة من المسلمين ؟؟ وإذا كان الإمام المتغلب له حق السمع والطاعة، فإن عبد الناصر يعتبر ولى أمر المسلمين ، وله منا الطاعة والتأييد ... إلى غير ذلك من الجدل الذى أثاره الخوارج من قبل، وبالتالى ما مدى شرعية الجهاز السرى التابع للإخوان ؟ وهل كان هناك ضرورة لقيامه ؟.

وفى المقابل كان جمهور الإخوان مستاء من هذا الحوار على أساس أننا مازلنا فى المعركة ، وأن جروحنا لم تلتئم بعد، ونحتاج إلى فترة من الصفاء والحساب الذاتى، لأن الحوار والمحاسبة فى أثناء المعركة يفض وحدتنا، ويعمق الخلافات بيننا ... والأولى أن نتجه فى هذه الفترة إلى تهدئة النفوس وتعميق العلاقة مع الله، وفتح آفاق للأمل من خلال البعد عن الأسباب الأرضية حتى نستطيع الصمود فى المراحل القادمة.

لكن هذا المنطق لم يعجب الطرف الآخر،وألح فى السؤال والاستنفار، ودعا كل الأفراد للدخول فى هذا الحوار والجدل الذى أحست به المباحث العامة، فكثفت جهودها لتوسيع الهوة بين الطرفين، والعمل على زيادة عدد المؤيدين، بأن نقلت المعركة من السجن المفتوح فى جناح الذى يعيش فيه الإخوان إلى سجن مغلق فى منطقة المحاريق، بنته خصيصاً لهذه المعركة، ووضعت الإخوان المعارضين فى عنبر خاص بهم، وكثفت عليهم الضغط النفسى والبدنى، ثم عزلت المؤيدين فى عنبر آخر، وخففت القيود عليهم، ووعدتهم بالخروج من السجن إن هم ساروا فى طريق التأييد حتى

نهايته.

وفي وسط هذا الجو المشحون بالانفعالات كان من الصعب توضيح الأسباب التي دعت الأستاذ حسن البنا أن ينشئ للجماعة تنظيما سريا في أربعينيات القرن العشرين والتي أوجزها فيما يلي :-

(١)أن الانجليز كانوا يحتلون مصر والشعب يتهيأ لإخراجهم ولابد من طليعة للجهاد تبدأ التدريبات في سرية وكتمان وقد شارك الجهاز السري في حرب القناة وشن عدة هجمات على القوات البريطانية وتدمير آليتها ومخازن السلاح بمعسكراتها وأثر في القرار السياسي فيما بعد بالاستعداد للتفاوض والرحيل٠

(٢)بعد أن نهب اليهود أرض فلسطين أصبح الجهاد فريضة على كل الشعوب العربية والإسلامية ، وتقدمت طلائع الإخوان ميادين القتال في الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨م وبرز دور الأعضاء الذين تدربوا في الجهاز السري في دحر العدو الصهيوني واحتلال مواقعه وإعاقة تقدمه على كل الجبهات٠ وقد شهد بذلك قائد الجيش المصري في حرب فلسطين اللواء أحمد المواوى الذي تأثر بشجاعتهم وأعجب بجرأتهم في القتال وفدائيتهم في الهجوم ، فانحاز بعاطفته نحوهم ثم انضم إلى صفوف الإخوان بعد أن ترك الخدمة في الجيش المصري. ثم جاء بعده اللواء فؤاد صادق الذي لم يكن أقل إعجابا من سابقه فطلب من القيادة العليا تكريم هؤلاء الأبطال من الإخوان واستجابت القيادة وصدرت عدة نشرات بهذا التكريم ، ثم شهد بهذه البطولات أمام محكمة الجنايات عند محاكمة بعض الأخوان.

فضيلة المرشد يلقي محاضرة في كلية الطب جامعة الإسكندرية في ١٩٥٤/١٠/٨
وعن يساره المستشار أحمد بك كامل رئيس محكمة جنايات القاهرة التي نظرت قضية سيارة الجيب - ثم العقيد الأعسر مندوب مجلس قيادة الثورة

فضيلة المرشد وعن يساره مندوب الكنيسة وعن يمينه اللواء أحمد المواوي قائد الجيش المصري في فلسطين والذي انضم للإخوان بعد ذلك ، والدكتور مصطفى عبدالله رئيس المكتب الإداري بالإسكندرية بميدان محطة مصر بالإسكندرية سنة ١٩٥٢.

(٣) كانت التشكيلات الخاصة والسرية لكل الأحزاب والمنظمات أمرا شائعا في مصر وغيرها من الدول أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها تحسبا للتغيرات السياسية واستعداد للتطورات العالمية ، ولم يكن الإخوان وحدهم أصحاب فكرة التنظيم الخاص.

ويلاحظ أن جميع التنظيمات لها أخطاؤها ، وقد كان لتنظيم الإخوان بعض الأخطاء من بعض الأفراد بسبب اجتهادات شخصية أنكرها الأستاذ حسن البنا وتبرأ منها. لكن هذه الأخطاء الفردية لا تعيب الأداء الجماعي ولا تنقص من دور الجهاز السري الذي كان ضروريا لمجابهة هذا السطو اليهودي والاستعماري على أرضنا.

لنعد ثانية إلى ظاهرة التأييد والمعارضة التى انتقلت إلى الإخوان فى السجون الأخرى بترتيب من المباحث التى أحكمت الحصار حول العناصر الفتية من شباب الإخوان، ثم هجمت بشراسة على العناصر المسالمة والعناصر الضعيفة حتى استسلم بعضهم، وسقط البعض الآخر فى متاهات الوعود الكاذبة التى فصلتهم عن محيطه، وحتى عن نفسه، ووصلت به إلى فقدان الثقة فى كل البشر...

ونتيجة لهذه الحرب القذرة انقسم الإخوان إلى ثلاثة أقسام :

- **القسم الأول وهم الذين يطلق عليهم المعارضون** ... وهؤلاء اعتبروها حرباً قذرة تجيدها المباحث العامة ... فقاوموا بضراوة كل الضغوط ولجأوا إلى الله فازدادوا حصانة وقوة ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١) ﴿ وَكَأَيِّن

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٣.

مِن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١).

وظل هؤلاء القوم يقاومون سنين طويلة حتى انتهى عبد الناصر من على المسرح ورحل عن الدنيا، وخرجوا من السجن معافين فى دينهم وأبدانهم، وعوضهم الله كثيراً على صبرهم.

- **أما القسم الثانى فهم الذين أيدوا عبد الناصر حتى يأمنوا مكره** ، لكنهم ظلوا يحتفظون بقيمهم وشخصياتهم وهم ينطوون على قدر كبير من الحب لإخوانهم المعارضين، ويخفون فى أنفسهم استمرار انتمائهم لجماعة الإخوان المسلمين .

وهؤلاء حينما خرجوا من السجن بعد قضاء نسبة كبيرة من المدة المحكوم بها عليهم، عادت إليهم عافيتهم، والتحموا مع إخوانهم من جديد بنسب متفاوتة.

- **وأما الصنف لثالث وهم القلة التى ضعفت تماماً**، والضعف موجود فينا جميعاً، ونحن لا نحمل عليهم ، فكل واحد منا له طاقة أمام قسوة السجن غير العادية، لكن هؤلاء تبرأو من ماضيهم، وفقدوا القدرة على الإيجابية، واعتصموا فى كل أمورهم بالسلبية حتى يكونوا ضمن المواطنين الصالحين كما تريد المباحث العامة.

وهؤلاء سلكوا طريقاً صعباً فى التأييد أفقدهم التمييز، وأوصل بعضهم إلى ذهاب عقله وضياع كل شيء فى حياته.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٦.

كنا نرثى لحالهم إذا أساءو إلينا أو كتبوا عنا إلى المباحث العامة ... فما يضر الشاة سلخها بعد ذبحها ... فنحن قد وطدنا العزم أن نعيش كل حياتنا فى السجن، وجعلنا من أنفسنا وقوداً للمعركة، ولسنا نادمين على ذلك، وهذا فى حد ذاته نصر لدعوتنا .

وشاهد على ذلك حينما أراد عبد الناصر أن يزور الوادى المزعوم الوادى الجديد وكان الإخوان فى سجن المحاريق يخرجون كل يوم إلى الصحراء وسط حراسة مشددة للعمل فى شق القنوات، لكنهم فى يوم زيارة عبد الناصر أغلقت عليهم الأبواب، ومنعوا من الخروج، بالرغم من أن بيننا وبين المكان الذى سيزوره عبد الناصر مسافة كبيرة لا تقل عن عشرة كيلومترات.

أليست هذه هى العزة والقوة والمنعة منحنا الله إياها ونحن فى الأسر ؟؟؟ وعلى أساسها قذف الله الرعب فى قلوب أعدائنا مسيرة عشرة كيلومترات.

لكنى سأختم حديثى عن قصة التأييد والمعارضة بمشهد متكرر تعاملت به المباحث العامة مع ضحية من ضحاياهم.

كانت صورة التأييد فى بداية الأمر ما هى إلا ورقة يكتبها من يريد ليعبر فيها عن تأييده لعبد الناصر فى مواقفه الإصلاحية والوطنية، ولكن هذه الورقة - كما كان يردد الأستاذعبد العزيز عطية عضو مكتب الإرشاد - مثل الزحلوقة التى يركبها المؤيد فلا ينزل عنها حتى تكون قد بعدت به تماماً عن مبادئه، ثم تنزلق به فى نهاية الطريق إلى الهاوية.

وإنها ورقة فقط يكتبها أول الأمر، ثم بعد ذلك تتلوها أوراق ، وفى كل مرة يزداد عيار التأييد بسبب الضغوط عليه وانعزاله عن الحياة، وتدريجياً لا بد أن يتجاوب مع ما هو مطلوب منه كى يصل إلى هدفه، بأن يتنازل عن

في شخص هذا المسكين ... يريد رجل المباحث أن يرى نهاية هذا الرجل وهو ينهار تدريجياً حتى السقوط ... فيحكم قبضته والمسكين داخل عليه، وأمله أن ينجح هذه المرة في مسعاه ... لكن رجل المباحث يتجهم في وجهه ويرفض أن يأخذ منه المستندات، ثم يقول له: « نحن لسنا في حاجة إلى هذه الأوراق ... وإن لنا عيوننا التي تتابعك ... وإن كل ما كتب في هذه الأوراق التي معك هو دليل عليك ... وأنك منافق ... وأنت عندنا أخطر من المعارضين .. » .

وتمر فترة من الصمت يتعمدها رجل المباحث، وبعدها ينظر إلى المسكين ليشاهد لحظة الهدم... حيث تتفكك الأوصال ويشحب اللون ثم يتداعى البنيان .... ويخرج المسكين شارداً لا يكلم أحداً ... ويعود إلى زنزانته ويكاد لا يسمع صوتاً ... ثم يهذي ببعض الكلمات حتى يأتيه الصرع ويغيب عن الدنيا ...

إن شهوراً وسنوات مرت عليه تنازل فيها عن القيم والمبادئ من أجل أن يحصل فقط على وعد بالخروج من السجن ... مجرد وعد ... فلا يحصل عليه، بل ويصبح في النهاية منافقاً وأخطر من المعارضين.

« نعم أنا منافق ... هكذا يعترف بين نفسه ... ويا ليتني احتفظت بنفسي، وظللت مع إخواني ، فأنا الآن لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ... ماذا أفعل ؟! أخشى أن يكون أحد قد سمعني ونقل عني ... لا مفر إذا من أن أخطو الخطوة الأخيرة ... بأن أكون عميلاً للمباحث » .

ويسير مع ركب العملاء ولا يتوقف .. ولا يستطيع أن يتوقف ... [1]

---

(١) يمكن الرجوع إلى تفاصيل قصة التأييد والمعارضة في كتاب « عندما غابت الشمس » للأستاذ/عبد الحليم خفاجي ــ الباب الرابع والخامس ــ دار الوفاء للطباعة والنشر

٥ـ شنيشن يتراجع :

فى إحدى الليالى حضر مأمور السجن محمد فريد شنيشن من مسكنه الذى يبعد عن السجن حوالى الكيلو والنصف ، والفزع باديا على وجهه وبصحبته وكيل السجن عبد الرؤوف البربري يريد دكتورا على وجه السرعة ، فقيل له إن عنبر الشيوعيين ليس به أطباء ، والطبيب موجود عند الإخوان ، فقال إنى ضربت واحداً منهم بالجريد منذ أيام قليلة ، لكن عبد الرءوف البربري دفع به إلى عنبر الإخوان. وحينما سمعنا وقع أقدامهم لم نتوقع منهم إلا الشر كما عودنا شنيشن لكنه كان فى هذه المرة مهزوما منكسرا وطلب الأخ رشاد المنيسي الذى كان ضابطا معه فى الشرطة وزميله فى التخرج وأخبره أن له ولدين صغيرين ابتلعا كل حبوب الضغط التى تستخدمها والدتهما وقد أغمى عليهما .

وبسرعة فتح الباب على الأخ الطبيب على شهوان الذى ركب مع الأخ رشاد سيارة المأمور التى أسرعت بهم إلى البيت ، ووقف شنيشن بجوار الدكتور علي وهو يقوم بعمل غسيل لمعدة الطفلين يدعو الله بشكل هستيرى أن ينقذهما ، أو ينقذ واحداً منهما على الأقل ويقول : « يا رب... الاثنين... طيب واحد...ويكرر... اثنين... طيب واحد بس » . حتى فتح أحدهما عينيه وتبعه الثانى قائلاً : « بابا أنا عاوز طحينة .. » هنا ضحك وكيل السجن لأن شنيشن كان عند التفتيش يسكب الطحينة على الأرض ويحرم الإخوان منها، ونظر إلى شنيشن ثم قال : « أولادك يا فريد بيه حيطلعوا من الإخوان المعارضين » .

هذه الواقعة قللت بعض الشيء من كم العداء الموجه نحو الإخوان لكنه نسى هذا الجميل واستجمع العداء كله حينما استدعى الأستاذ

عبدالعزيز عطية إلى مكتبه ليحاسبه على كارت معايدة أرسله إلى شيخ الأزهر ، الشيخ محمود شلتوت الذى يعرفه جيداً ، يحمله الأمانة وينصحه بالثبات ، ولأن الأستاذ عبد العزيز عطية رجل مسن ومريض عمره قارب الثمانين ومن الممكن أن يهجم عليه شنيشن فقد صحبه الأخوان محمود أبورية وإسماعيل النشار .

ورفض الأستاذ عبد العزيز أن ينصاع لأمر شنيشن بالجلوس أمامه القرفصاء كما يفعل مع المساجين لأن فى ذلك إذلال ، علاوة على كبر سنه وعدم قدرته على التنفيذ.

عند ذلك هجم الطاغوت كما توقع الإخوان وتحفز الإخوان للدفاع لكن وكيل السجن عبد الرءوف البربري أنقذ الموقف واحتضن شنيشن بيديه مانعا إياه من فعل أى شيء ثم قال له : « أنت نسيت !؟ لقد ضربت أحمد عبد الحليم بالجريد على رجليه وحصل ما حصل لأولادك لأن أحمد عبد الحليم يحفظ جزءا واحدا من القرآن والأستاذ عبد العزيز يحفظ القرآن كله، ماذا سيحدث لك ؟ أحذرك .. » .

الأستاذ عبدالعزيز عطية رئيس مكتب إداري الإسكندرية يخطب في في الاحتفال بالإخوة المفرج عنهم من السجن والجالسون من خلفه من اليمين : السيد بدر – محمود زينهم – الدكتورعاطف عطية حلمي – محمود كامل – محمد مالك – لطفي فتح الله . والواقفون خلفهم من إخوان شعبة الجمرك .

عندئذ خاف الطاغوت ولم يتحرك.. يوما بعد يوم يهدأ شنيشن ويتصل بالأخ رشاد المنيسي ثم يمر علينا ، دون تفتيش أو إزعاج ، ويتبدل حاله شيئا فشيئاً حتى جاء اليوم الذى مكن الإخوان من أن يقوموا على أمر مرافق السجن كله، كالمطبخ ، والمخبز ، والمزرعة وحتى مكاتب السجن ، بما فيها الحسابات والخزينة والتى جردها الأخوان على فيروزي وزكريا المشتولي ووجدوا بها عجزا ماليا أطلعا عليه شنيشن الذى أحضر « الباشكاتب » وسأله عن العجز فقال له : « يا سعادة البيه لست أنا وحدى الذى يتحكم فى الخزينة المفتاح الثانى مع الإخوان » ، عندئذ هاج شنيشن وقال للباشكاتب ... « ليس الإخوان.. دول أطهر ناس فى البلد ... أنا آمنهم على بيتى من أخى ، وأمامك فرصة أسبوع إذا لم يرجع المبلغ إلى الخزينة ستلبس ملابس السجن وتدخل الزنزانة » وقبل أن ينتهى الأسبوع كان المبلغ قد عاد إلى الخزينة.

ويفتح شنيشن أبواب السجن على الإخوان ويتصل بجهاز تعمير الصحارى القريب منا ، ويدعو مهندسيه لمنازلة الإخوان فى الكرة ووقف بنفسه يشجع الإخوان ، وينادى عليهم ويصفق لهم ، ويقول : « إذا غلبتهم المهندسين فلكم عندى كل شيء » ، ثم يمزح ويقول : « وإذا انهزمتم فليس لكم عندى سوى الجريد - أى أضربكم على أرجلكم بالجريد » .

وقاربت أيام محمد فريد شنيشن على الانتهاء من السجن فنادى على الأخ رشاد منيسي ومعه بعض الإخوان ثم قال لهم : « كنتم أبغض الناس عندى ، فأصبحتم أحب الناس إلى ، أنا كنت جاى بأوامر أخلص عليكم بالرصاص وأترقى ... أتمنى أن يكون خروجكم على يدى وأنا مستعد أن أجدد سنة أخرى معكم ولو بدون مرتب حتى أراكم تخرجون إلى الحرية ... » .

وعند تسليم السجن للمأمور الجديد يحى شاكر أوصاه بالإخوان خيرا وختم حديثه بقوله : « سلم كل شيء للإخوان فى السجن وأنت مرتاح .. لا تخف شيئاً » .

إن شنيشن أتى إلى سجن الواحات ليحرقنا، فانتصرنا عليه، بأن حولنا قلبه بالتدريج نحونا، وهزمنا فيه الجبروت بسماحة الإسلام وسلوكنا الحضارى .

ورددنا في الصحراء مع الأخ الشاعر عبد الحليم خفاجى فى سجن الواحات الخارجة :

تيـــه أرض الواحـــات	تيـــه بالـــذكريات
كـــل مـــاض وآت	ســوف يـــروى الثبـــات
جـــاء بـــالمعجزات	صـــفوة العـــاملين
ربنـــا ربنـــا	آتنـــا نصـــرنا
إن بغـــوا عـــزلتي	عـــن بنـــى أمتـــى
جمعـــت دعـــوتي	إنهـــم إخـــوتي
وحـــدت قبلتـــى	وجهـــة المســـلمين
ربنـــا ربنـــا	آتنـــا نصـــرنا
جمعـــوا حولنـــا	أو فكيـــدوا لنـــا
لم يهـــن عزمنـــا	لـــن تـــلين القنـــا
قـــد مضـــت قبلنـــا	ســـنة الأولـــين
ربنـــا ربنـــا	آتنـــا نصـــرنا
رغـــم ريـــب المنـــون	أو ظـــلام الســـجون
أيهـــا المؤمنـــون	أنـــتم الغـــالبون
أنـــتم الســـائرون	نحـــو نصـــر مـــبين
ربنـــا ربنـــا	آتنـــا نصـــرنا

٦ـ مزرعة الحجاج :

كان وجود الخضار الطازج أمرا نادرا فى السجن ، لأننا فى وسط الصحراء ، ولا نلتقى بأحد ، ولا يهتم بصحتنا أحد... ولما كنت فى حاجة ماسة إلى هذا الخضار حتى لو كان حشيشا أخضر فقد فكرت أن أزرع هذه الخضروات خلف العنبر ، بالرغم من استحالة الزراعة فى هذا المكان ، لعدم وجود الماء ، ولأن التربة عبارة عن طين متصخر ، أصله رواسب نيلية، من فرع لنهر النيل كان يمر فى هذه المنطقة فى عصور جيولوجية سابقة ، ولما توقف هذا الفرع عن الجريان ، وحدث الجفاف تحول كل شيء إلى البيئة الصحراوية ، وتصلب الطين حتى أصبح كالصخر. ولم يكن هذا المستحيل ليقف عائقا أمام إرادتنا فنحن نريد أن نحيا ، ونتخطى حواجز الموت التى شيدوها لنا ، بدأت بتكسير التربة شبرا شبرا ، إلى عمق يناسب جذر النبات وكنت فى كل يوم أفتت من التربة حوالى النصف متر المربع ، إلى أن وصلت إلى تفتيت بعض الأمتار التى تكون حوضا يمكن زراعته ، ثم فتحت غطاء المجارى التى يمر فيها فضلات الحمامات ومياه الاستعمال وأخرجت منها بالجردل ما يرويها ، ويساعد على تفتيتها وزيادة خصوبتها ، ثم تركتها فى الشمس أياما ، ثم عزقتها بالفأس ، لتستقبل البذور التى كان يحضرها الأخ رشدى عفيفي بطريقته الخاصة ، وزادت المساحة المزروعة يوما بعد يوم ولفتت أنظار الإخوان وسألنى الحاج مصطفى مشهور إن كان يمكن أن يكون شريكا لى فى هذا العمل ؟ فوافقت مرحبا وراغبا ، ثم ازداد عدد الراغبين فى المشاركة من الآباء كبار السن مع زيادة المساحة المنزرعة، فانضم إلينا الحاج أحمد شريت ، وظهرت النبتات من التربة ، تبشرنا بنجاح المشروع، وأننا عما قريب سنأكل الخضروات الطازجة من هذه المساحة الصغيرة .

ثم انضم إلينا أخيرا الأخ أحمد خضر الذى كان يرغب فى زرع الحشيش ليكسب المكان منظرا جميلا وحاولت أن أثنيه عن رأيه حيث أننا فى حاجة إلى الخضروات وليس إلى الحشيش الأخضر ، لكنه لم يوافق ، وكان رجلا على الفطرة كبير الجسم لا يجيد الحوار ، وكنت أنا بينهم صغير السن لا أتعدى الخامسة والعشرين ، وسمعت رأى أحدهم بأنى أهيئ المساحة الجديدة لزرع الخضروات بما فيها المساحة الصغيرة التى عزقها الأخ أحمد خضر ، ثم رويت المساحة التى ظهرت فيها النباتات وما أن حضر فى اليوم التالى ، ورأى أن مساحته قد دخلت ضمن ما أزرعه حتى غضب وهاج ، ولم يكن أحدا موجودا معه ثم نزل فى الأرض المروية والتى ظهر نباتها وأخذ يهرسها برجليه ، ثم غسلها ووقف غاضبا ، وما أن حضر الحاج أحمد شريت وبعض الإخوان ليشاهدوا النباتات الجديدة حتى صدموا وبدأوا يسألون عن الفاعل ، والأخ أحمد خضر يسمعهم ولا يرد ، ثم تملك الغضب الحاج أحمد شريت وقال : « مين الجاموسة اللى عمل كده ؟ » فبدأ الأخ أحمد خضر يزمجر ويزوم لكنه خائف منهم ، ولما حضرت نظرت إلى الأخ أحمد فعرفت أنه الفاعل فضحكت وأصلحت زرعى من جديد ، وصارت مادة للمزاح بينى وبين الأخ أحمد أداعبه فيزوم ويقول لى : « أسكت لحسن أهرسك » وصارت مثلا فى المزاح معى : « اسكت لحسن أخلى الشيخ أحمد يهرسك » .

وطلع الزرع من جديد وسميتها مزرعة الحجاج ، وكانت أجمل هدية وصلتنى من آبائى الحجاج ، وخاصة الحاج مصطفى مشهور ، بعدما رحلت إلى سجن القناطر كرتونة صغيرة من كل الأنواع التى زرعتها أرسلوها مع أحد الإخوان الذى رحل متأخرا.

الثوتو :

تعجب إذا قلت لك إن « وابور الجاز » الذي كان يرد إلينا من الصين وصنعته بعض المصانع الصغيرة في مصر هو من ابتكار الإخوان داخل السجن ، ذلك لأن السجين يحتاج دائما أن يحسن من الطعام الرديء الذي يقدم إليه من السجن ، وكان وسيلته البدائية أن يشعل بعض خيوط القطن المبللة بالجاز ثم يصنع طعامه على النار المشتعلة ، وهذه الوسيلة علاوة على خطورتها فإنها كانت تعبئ الزنزانة بالدخان الأسود ، وكان لابد أن يفكر الإخوان في وسيلة نظيفة وسهلة تساعدهم على إنضاج الطعام وتحسينه ، فحاول أحد الإخوان في سجن بني سويف أن ينتج موقدا يعمل بالجاز ، وعنه طور بعض الإخوان الفكرة وعلى الأخص الأخ شحاتة هدهد، والأخ عبد الله سالم ، وحتى تكون الفكرة ناجحة روعي فيها : أن يكون حجم الموقد صغيرا حتى يسهل تخبئته لأنه ممنوع على المساجين إشعال النار في أي مكان داخل السجن ، وأن يستخدم في صناعته خامات من داخل السجن ويمكن الحصول عليها· وأن تكون هذه الخامات طيعة في التصنيع وسهلة في التشكيل· وبعد تجارب عديدة كانت الصورة النهائية كالآتي :

« علبة حلاوة فارغة تستخدم كخزان للوقود ((الجاز)) ، ويخرج من هذه العلبة عدة مواسير من الصفيح ، بداخلها خيوط من القطن لسحب الجاز من الخزان ، وترتبط هذه المواسير بقاعدة من أعلاها ، وتنحصر النار المشتعلة من الخيوط بين اسطوانتين أحدهما صغيرة في الداخل والأخرى كبيرة في الخارج ، ونحصل على الأسطوانتين من علب سمك السلامون التي نشتريها من المقصف مع علبة الحلاوة ، ثم ننعش أنفسنا بأكل الحلاوة والسلامون كترفيه لا نقوم به إلا عند احتياجنا لعمل وابور جديد » .

وحتى تخرج النار صافية زرقاء لابد أن يتسرب إليها الهواء بنسب محسوبة عن طريق عمل ثقوب في العلبتين الداخلية والخارجية على مسافات ثابتة.

وشاء الله أن ينتشر هذا الابتكار عن طريق تنقلات الإخوان حتى شاع استعماله في كل السجون، ونقله الشيوعيون عن الإخوان في سجن الواحات الخارجية، وأطلقوا عليه « التُّوتُو » كاصطلاح في الحديث لتضليل السجانة.

== النظــام المالــى ==

▪ نظام التكافل:

كان النظام المالى فى الواحات لا يختلف عما هو موجود فى السجون الأخرى، ويعتمد على مبدأ التكافل بين الجميع، وكان بالفعل يسمى « نظام التكافل » والذى من أجله وقفت ضدنا كل إدارات السجون، مدفوعة بالأوامر الصادرة إليها من الأجهزة الأمنية، التى رأت فى هذا النظام دعما لوحدة الإخوان، وترابطهم، ورمزا لاستمراريتهم، ويقضى هذا النظام بأن كل الموارد المالية التى ترد إلى الإخوان من ذويهم تصب فى مكان واحد ثم توزع بالتساوى على أفراد المجموعة. وقد ترد هذه الأموال وهى قليلة، على شكل حوالات بريدية، لا تزيد قيمة كل حوالة عن خمسة جنيهات فى الشهر، وتتدنى قيمتها إلى ٢٥ قرشا، وذلك حسب قدرة الأهالى.

وتجمع هذه الأموال ثم تقسم على عدد الأفراد كل شهر، وكان نصيب الفرد لا يزيد على ستين قرشا فى الشهر، ولا يقل عن ثلاثين قرشا حسب الوارد شهرياً، وكل حجرة أو زنزانة تتسلم نصيبها، يتصرف فيه فرد

منهم ، وهو المكلف بتجهيز الطعام فى دورى يمر على جميع الأفراد شهرياً، ويسمى هذا الأخ تجاوزاً « وزير التموين » ، وإذا كان نصيب الفرد لا يتجاوز الستين قرشا فإن مشترواتنا من الكانتين تتركز على البصل والطماطم لتحسين طعام السجن ، ويلاحظ أن النقود ممنوعة داخل السجن ويتم التعامل مع الكانتين عن طريق بطاقة رسمية يدون فيها الوارد والمنصرف ، ويقوم على تنظيم هذه العمليات أحد الإخوان المشهود لهم بالتصرف الجيد فى الأمور المالية ويأخذ نفس مسمى وزير التموين ولكن على مستوى الجماعة ، وتحمل هذا العبء فى سجن الواحات الأخ الشهيد كمال السنانيري، كما كانت ترد إلى بعض الإخوان بعض الأموال العينية ، وهذه حالات قليلة، يستخدمها أصحابها بالتشاور مع وزير التموين فى قضاء بعض الحاجيات والمصالح من خارج السجن .

وعلى سبيل المثال كان الأستاذ حامد أبو النصر من الإخوان الميسورين وأراد أن يرفه على كل الإخوان ويرحمهم من أكل البصل و « اليمك » الذى هو تسمية على كل ما يقدم للسجين من طعام ، وهذا الترفيه لابد أن يكون فريدا ، وأن يكون مفاجأة غير متوقعة داخل السجن، فاتفق مع الأخ رشدى عفيفي « ملك السجن » أن يتصرف بإحضار ديك رومي لكل حجرة على حسابه الخاص ، وكان هذا بإيعاز من الأخ رشدى الذى فرح بهذا التكليف لأنه أولا سيسعد الإخوان ، وثانيا لأنه يحب المغامرات ، وستظهر براعته فى كيفية إدخال الديوك الرومى وعددها ١٦ تماما مثل عدد الحجرات .

ولأننا فى الواحات بعيدون عن العمران ، فقد ركب الأخ رشدي حمارا ذهب به بعيدا إلى مزرعة السجن ليشتغل فى المزرعة حسب برنامجه اليومى المكلف به من إدارة السجن، وبعيدا عن أعين الحراس هناك اتصل

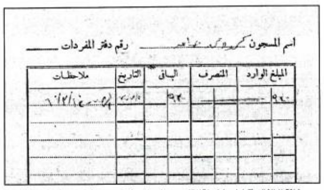

اسم المسجون ________ رقم دفتر المفردات ________

ملاحظات	التاريخ	الباقي		المتصرف		المبلغ الوارد	

كانت المبالغ التي نتعامل بها ضئيلة لا تزيد عن جنيه واحد كما هو مدون في إحدى صفحات البطاقة

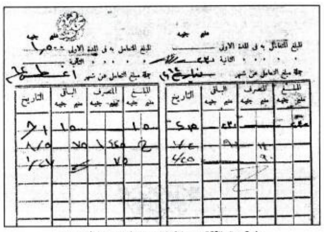

المبلغ المتعامل به في المدة الأولى ________ مليم جنيه

" " الثانية ________

جملة مبلغ التعامل عن شهر ________

المبلغ المتعامل به في المدة الأولى ________ مليم جنيه

" " الثالثة ________

جملة مبلغ التعامل عن شهر ________

المبلغ		المتصرف		الباقي		التاريخ
مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	

المبلغ		المتصرف		الباقي		التاريخ
مليم	جنيه	مليم	جنيه	مليم	جنيه	

صفحة من البطاقة تبين حركة التعامل المالي في حدود القروش البسيطة

برجل ضئيل الجسم من أهل الواحات – كان يأتى قريبا من المزرعة للرعى وبعض الزراعات البسيطة – واتفق مع هذا الرجل أن يحضر كل يوم ديكا روميا أو ديكين ويضع ما يحضره فى « جوال » ثم يضع الجوال فى حفرة قريبة من حدود المزرعة وينصرف ويتولى الأخ رشدي تخطى الحواجز وإحضار الرومى ، ويكافئه على هذا يوميا بأجر يكسب منه .

وعن طريق هذه الحفرة كان رشدى يهرب كل الممنوعات ، ويتم التعامل مع أهل الواحات ، ووفى الرجل بالعهد ونقل الأخ رشدي الرومى على الحمار فى « الغبيط » واضعا فوقه ما جمعه من المزرعة للمطبخ ، والحشيش والبرسيم الذى يطعم بهما الحمار حتى اليوم الثانى، وذلك كله تحت حراسة العسكرى الذى يسير وراء الأخ رشدي ، لا يدرى من أمر الأخ رشدي شيئا ولا من أمر الحمار ولا من أمر نفسه أى شيء.

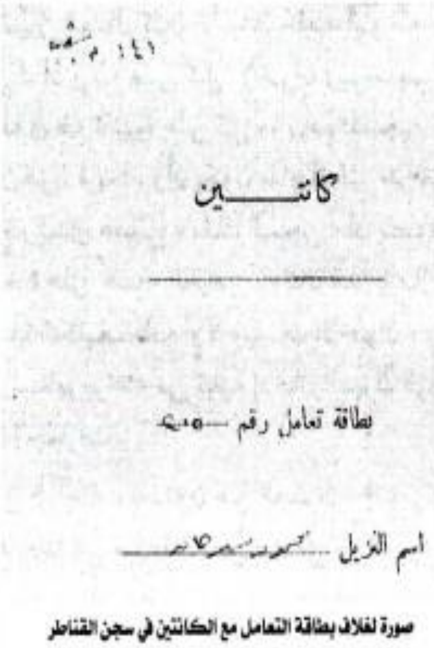
كائنين

بطاقة تعامل رقم

اسم النزيل

صورة لغلاف بطاقة التعامل مع الكائنين في سجن القناطر

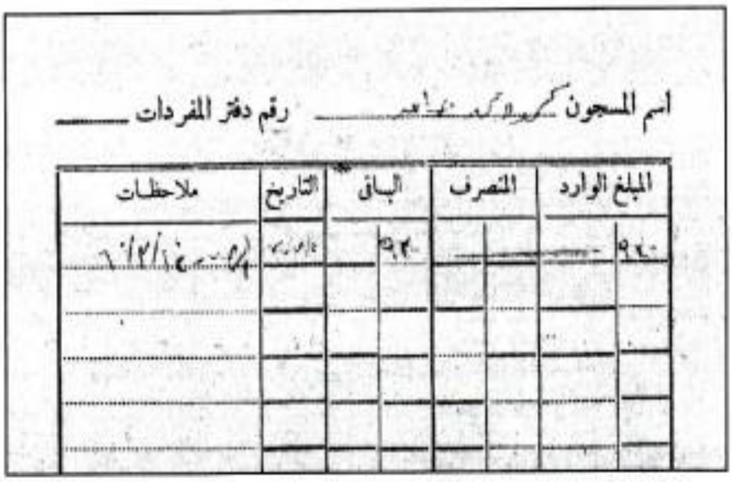

اسم المسجون .... رقم دفتر المفردات ....

ملاحظات	التاريخ	الباقي	المنصرف	المبلغ الوارد
		٩٢		٩٢٠

كانت المبالغ التي نتعامل بها ضئيلة لا تزيد عن جنيه واحد كما هو مدون في إحدى صفحات البطاقة

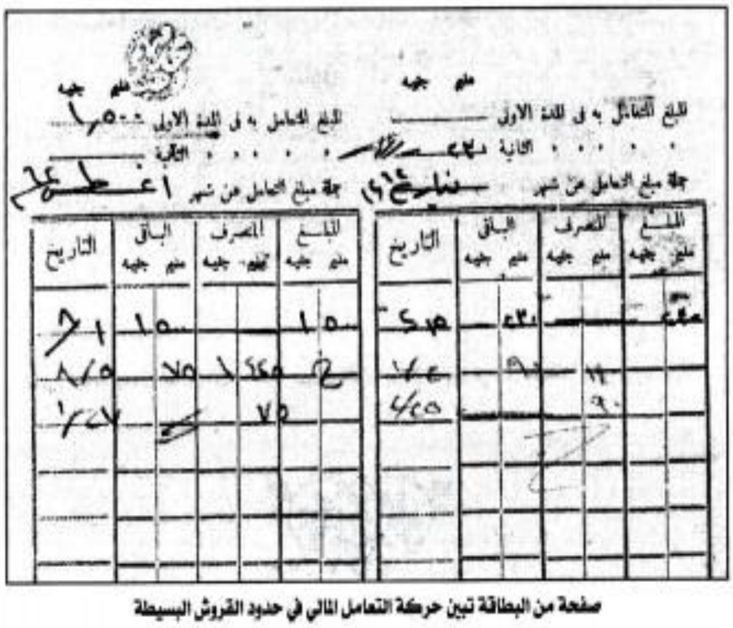

المبلغ المتعامل به في المدة الأولى .... المبلغ المتعامل به في المدة الأولى ....

« « « الثانية .... « « « الثانية ....

جملة مبلغ التعامل عن شهر .... جملة مبلغ التعامل عن شهر ....

التاريخ	الباقي (مليم / جنيه)	المنصرف (مليم / جنيه)	المبلغ (مليم / جنيه)	التاريخ	الباقي (مليم / جنيه)	المنصرف (مليم / جنيه)	المبلغ (مليم / جنيه)

صفحة من البطاقة تبين حركة التعامل المالي في حدود القروش البسيطة

معتقل طره السياسي

إسم المعتقل : محمود محمد محمد حامد

إسم المرسل اليه : محمد محمد حامد

عنوان المرسل اليه : أجهور الرمل قويسنا

المبلغ المطلوب

عشرة جنيهات فقط

١٨/٦/١٩٦٩

ضابط المعتقل

يعتمد ،

قائد المعتقل

شعار خاتم الجمهورية

صورة خطاب ارسلته لوالدي أطلب عشرة جنيهات حينما كنت معتقلا في سنة ١٩٦٩في سجن مزرعة طرة

الفصل الثامن

في سجن القناطر

سجن القناطر الخيرية

إذا قال لك أحد أصدقائك : « أنا ذاهب إلى القناطر الخيرية مع أصحابى » ، فالذى يتبادر إلى ذهنك أنهم ذاهبون لقضاء وقت ممتع ، فى حدائق القناطر الجميلة ، التى أنشأها الخديوى إسماعيل ، لتكون واجهة لمصر، يراها ملوك أوربا ، ويستمتعون بالتنزه فيها حين مجيئهم لافتتاح قناة السويس.

وأن القناطر الخيرية هى مفتاح الخير لأراضى الدلتا الزراعية، حيث تبدأ الرياحات جميعها، والترع الكبيرة من أمام القناطر التى حجزت الماء، ورفعت مستواه فى النيل ليجرى فى هذه الرياحات، والترع، ويحول أراضى الدلتا إلى رى دائم طوال العام، ليوفر الغذاء لأبناء مصر...

فسحة جميلة مع الأصحاب، أثناء السير على هذه القناطر، ومشاهدة مياه النيل على الجانبين، من ناحية الشمال، وناحية الجنوب، وأثناء التنقل بين أشجار الحدائق، والجلوس على أراضيها الخضراء.

تلك هى القناطر الخيرية، ولا يخطر ببالك أبدا أن يكون على أرضها سجن عتيق، بناه الإنجليز ، ليستخدمه الجلادون بعد ذلك فى حبس أبناء مصر، وتعذيبهم، لا يخطر ببالك أبدا أن يكون على أرض هذه الحدائق مكان محاط بالأسوار، يأتيه جماعات من الأحرار، لتسلب حريتهم، وتنتهك حرمة آدميتهم، وعلى مقربة منهم ، وعلى نفس البقعة الجميلة من أرض مصر ، جماعات أخرى من الزوار يقصدون المكان ، للاستمتاع بجمال الطبيعة ، التى نشأت حول النيل وفروعه وترعه ورياحاته فى رحلات يومية.

- **الحنين إلى الزنزانة :**

ولقد شاء الله لى أن أرى وجهي المكان، الوجه الحسن، وذلك حين قصدت المكان للنزهة ضمن الرحلات المدرسية وأنا صغير السن، والوجه القبيح حين جئ بى إليه سجينا ضمن طائفة من الإخوان ، فى سنة ١٩٦١م، ومكثت فيه أقضى بقية السنوات العشر المحكوم بها على ، حتى خرجت منه فى ١٢/١٢/١٩٦٤م .

لكننى عدت إلى المكان بعد أشهر قليلة عندما عاودنى الحنين لأيام الصبا، وأن أسير مرة ثانية على القناطر ، واستمتع بالمشى فى الحدائق، وفجأة وأثناء سيرى فى إحدى الطرق بين الحدائق وقع نظرى على السجن الذى خرجت منه، فتسمرت فى مكانى، وتداعت الذكريات فى كيانى، وبدا لى العنبر الذى عشت فيه أربع سنوات من عمرى، بأدواره الأربعة يحجب بصرى عن كل شيء إلا من النظر إليه، وأخذتنى رعشة سرت فى جنباتى، ودققت النظر فى الدور الثالث أبحث عن زنزانتى رقم « ٤ » ، لكنها كانت محجوبة عنى في العنبر الخلفي ، وبالرغم من قسوة العيش فيها إلا أن الصبر عليها، وقراءة القرآن فيها، وقيام الليل فى ظلمة لياليها جعلنى أحن لرؤيتها، وأتمنى أن أجلس فيها ولو ساعة من الزمن. ما هذا التناقض ؟ أكرهها ، وأحبها ....!! إن هذا لشيء عجيب..

لم أنتظر طويلا ، ولم تتركنى قدماى أفكر، فتحركت وطاوعتها وسرت معها نحو الممر الذى يفضى إلى باب السجن، حيث حجزنى الحارس، لكنى أقنعته أنى ذاهب إلى الصاغ إبراهيم مصطفى وكيل السجن فتركنى ومررت عن يسارى بسجن النساء ثم انتهيت إلى سجن الرجال عن يمينى... ولحسن حظى أن الصاغ إبراهيم مصطفي كان خارجا من البوابة الرئيسية،

فاتجهت إليه وسلمت عليه ولأنه كان رجلا طيبا يؤدى دوره فى حدود عمله، ولا يتدخل فى النواحى السياسية فقد استقبلنى بروح طيبة، ووقفت معه لحظات يسألنى عن أحوالى بعد أن خرجت من عنده منذ حوالى أشهر ثلاث، ولأنه كان فى آخر النهار، وهو يريد الذهاب إلى بيته، فقد استأذنت منه وعدت من حيث أتيت.

هذا السجن هو مكان النهاية لرحلة طويلة بين السجون لكل الإخوان الذين حكم عليهم بالسجن عشر سنوات، حيث يقضون باقى المدة، ويفرج عنهم. وهذا السجن مكون من عنبرين « أ » ، « ب » ، وكان الإخوان فى بادئ الأمر فى عنبر « أ »

والدور الأول فيه للمساجين الذين يعملون فى الورش، وفى مرافق السجن .

أما الدور الثانى فهو للإخوان الذين أيدوا جمال عبد الناصر وينتظرون الإفراج .

أما الدور الثالث فقد خصص للإخوان المعارضين « حسب تصنيف المباحث » الذين جاءوا من الواحات الخارجة، ومن السجون الأخرى لقضاء باقى المدة على مقربة من المباحث وتحت إشرافهم المباشر .

لذا كانت الزيارات كثيرة من مسئولى وزارة الداخلية وأجهزة الأمن. ومن الأسماء اللامعة فى هذه الزيارات- آنذاك- حسن أبو باشا قبل أن يكون وزيرا للداخلية ، وآخر كان يعرف بالغمراوي.

أما الدور الرابع فقد كان به مجموعة من المساجين المرضى كبار السن الذين هلكوا فى السجون الأخرى، وجيء بهم إلى هذا المستودع حتى تنتهى حياتهم.

وقد نقل الإخوان من هذا العنبر إلى عنبر « ب » فى الدور العلوى فى نهاية المدة.

- **نهاية الجولة الأولى :**

وقد قضينا فى هذا السجن حوالى أربع سنوات، كانت بمثابة التركيز وتعميق المفاهيم، واستقرارها، بعد أن مررنا بامتحانات قاسية، وخضنا التجارب العديدة، وما دمنا قد قطعنا من الطريق ست سنوات عجاف، فإن ما بقى من العشر سنوات أصبح قليلاً، بعد أن خبرنا الطريق، وتأقلمنا مع حياة السجن، وتعودنا على صور الفزع التى تعصف بأمننا وتحول دون استقرارنا، وبدأنا نتصرف ونواجه هذه الزوابع بحكمة وعقلانية، تمشيا مع تقدم السن، وزيادة الخبرة، وتقليل الخسائر .

وكان معظمنا من الشباب بين العشرين والثلاثين تحكمنا فى بداية المرحلة الانفعالات، وتدفع بنا العاطفة نحو المجابهة، والرد السريع على كل تصرف ظالم ينال منا، لكننا الآن وبعد رحلة شاقة نحتاج إلى نظرة مستقبلية أشمل، وأعمق، تنبنى على الدراسة، وتأصيل المفاهيم، واستخدام الأسانيد فى كل تحركاتنا، خاصة وأننا نتجه نحو نهاية الطريق، فى اتجاه خلاصنا وحريتنا.

- **أنشطة متنوعة:**

وتميزت هذه الفترة بما يأتى :

النشاط الثقافى ، والتربوى ، والرياضى : ونلخص هذه الأنشطة الثلاث فى النقاط الآتية:-

١- تعتبر فترة السنوات العشر بمثابة كتيبة ممتدة ، التقينا فيها على غير ميعاد ، إلا ميعاد حدد الله بدايته ونهايته ، والهدف منها الممارسة العملية لما ندرسه فى الأسر، فنحن ننام، ونصحو، ونأكل، ونشرب، ونتعامل، ونتحدث فى إطار تعاليم الإسلام، ويعين بعضنا بعضا على التنفيذ الدقيق، والانضباط الطويل طوال أيام السجن، إلى حد التجنيد فى معسكر لا أول له ولا آخر فى الزمن، وبالرغم من أن الطبيعة البشرية تصاب بالملل، ويحدث فى بعض الأحيان نوع من الانفلات، لكن الجنود فى المعسكر متضامنون، ومتعاونون، يعذر بعضهم البعض، والناجى منهم يأخذ بيد أخيه – وكل مجموعة فى زنزانة هى أسرة فى اجتماع مستمر، ضمن الكتيبة الكبيرة، أو هى بمثابة مجموعة فى إحدى الخيام ضمن المعسكر الكبير.

٢- لكن هذا لا يمنع أن تكون هناك أسر خاصة، حسب القدرات، وحسب الميول، حددت لنفسها برنامجا دراسيا تربويا فى علوم السيرة، والحديث، والفقه، وأصول الفقه، وأحكام التجويد، وربط كل هذه العلوم فى إطار تربوى، يحكم حركة الفرد مع نفسه ومع المجموعة.

٣- ثم كانت هناك الندوات التى تعقد فى الحجرات الكبيرة، التى تسع الواحدة منها حوالى الأربعين فردا، هذه الندوات كانت تتناول موضوعات متنوعة، مثل الاقتصاد فى الإسلام .

وكان الأخ يوسف كمال رائدا فى هذا المجال، وله مؤلفات عديدة، ومبارزات مع الأخ عبد الحليم خفاجي صاحب الباع الطويل فى دراسة الإسلام وعلاقته بالمادية الجدلية- وهناك موضوعات أخرى درست، ونوقشت بشكل موسع مثل الشورى فى الإسلام، والمذاهب السياسية

المعاصرة... الخ.

٤- كذلك كان هناك من يزاول الرياضة البدنية بشكل متخصص، واشترك بعض الإخوان في دورى المنطقة المركزية في سجن ليمان طرة.

٥- وهناك مجموعات من نوع آخر تدرس اللغات، مثل اللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، وكنت أنا ضمن مجموعة اللغة الفرنسية التى يدرسها لنا الأخ محيى رحمي وقد أفادنى هذا كثيرا فى حياتى بعد السجن، وسأذكر هذه الفائدة فى مكانها بعد ذلك، لكنى سأنقل هنا بعض العبارات من ورقات كنت أكتب فيها أثناء الدرس لأدلك على مدى الجدية فى الدراسة وعلاقة الموضوعات التى كنا ندرسها بأهدافنا فى الحياة.

1- Jusqu'au bout de la route je march avec vous.

2- Naus sommes frères, ce la ne fait au cun doute.

3- Nos freternitée est comme les liens de sang – de plus – c,est la plus prouch route ou la route direct de nos vie vertueuse.

4- Dans tou cas, le moment de la réparation viendra tôt ou tard.. je ai une prière a Dieu nous somme resté frères lorsque nous vivons encore.

5- Jusqu au bout je sera avec vous... 26-4-1963.

وترجمة هذه العبارات كالآتى :-

١- إلى نهاية الطريق أنا معكم.

٢- نحن أخوة لا ريب في ذلك.

٣- أخوتنا مثل صلات الرحم ، علاوة على أنها الطريق الأقرب والمباشر لنحيا حياة طيبة.

٤- وعلى أى حال فإن لحظة الفراق ستأتى إن عاجلا أو آجلا.
وأرجو من الله أن نظل إخوانا ما دمنا على قيد الحياة.
٥- إلى النهاية سأظل أسير معكم.

وهناك من كان يدرس ويبحث فى علم الاقتصاد فى صورته المجردة واذكر هنا بعض العناوين التى كنا نتناولها بالدراسة باعتبارى أحد الذين شاركوا فى هذا الجانب :

** المشكلة الاقتصادية وحلها فى النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى والنظام الإسلامى.
** حالة التوازن فى توجيه الموارد وعلاقتها بجهاز الثمن.
** مرونة العرض والطلب وأثرهما على توازن الثمن.
** المنفعة وعلاقتها بتوازن المستهلك.
** قانون تناقص الغلة وعلاقته بالإنتاج.

كان هذا بعض مظاهر النشاط الذى زاولناه فى الفترة الأخيرة.

▪ بداية ظهور فكر التكفير :

نتيجة للتعمق فى دراسة حركة الجماعة فى الدعوة إلى الله، وطبيعة الأعداء الذى يتربصون بها، ويقفون فى طريقها، تولد عند بعض الشباب جنوح إلى تكفير كل الذين فتنوا المؤمنين وعذبوهم، وفسروا خطأ عبارات للأستاذ سيد قطب بأنها تصب فى هذا الاتجاه، لكن الإخوان - كجماعة - قاوموا هذا الفكر، وعملوا جاهدين على أن يسود منطق الاعتدال، حتى وإن كنا فى قبضتهم يعذبوننا، وأخذ هذا الموضوع حيزا من وقتنا، وسوف أتناوله بالتفصيل حينما نتكلم عن سجن مزرعة طرة.

ملك السجن فى القناطر :

كان الأخ رشدى عفيفى ملكا متوجًا فى سجن القناطر، لا ينازعه أحد من الإخوان، وكان ظاهرة فريدة فى تحدى الظروف والعقبات من أجل راحة الإخوان، وكان يقول عن نفسه: « لو لم أدخل السجن مع الإخوان لدخلته مع عتاة المجرمين » ، وأعطاه الله ملكة التعامل مع أصناف البشر، ويملك زمام المبادأة مع كل صنف منهم فهو مع العساكر عمدة يرجعون إليه فى كل شيء ، يطعمهم، ويقضى لهم حوائجهم، ويحل لهم مشاكلهم حتى ما له علاقة ببيوتهم .

ووصل الأمر إلى أنه كان يعالج مشكلاتهم الأسرية، فأحبوه، وخضعوا له، وتفانوا فى تلبية طلباته، حتى شعر الضباط بأن ولاء العساكر قد تحول إلى رشدي وصار عندهم شخصا له قدرات خارقة، يهابونه، ويعملون له كل حساب، فأحكموا حوله الحصار وشددوا على الإخوان، حتى لا يستطيعوا الحصول على الجاز الذى يتفنن الأخ رشدي فى تهريبه ليستخدمه الإخوان كوقود يصلحون به طعامهم، وعاشوا فترة دون أن يوقدوا نارا، وجاء الحل من عند الله بعد أن عجز الأخ رشدي فقد فتحت بعض الزنازين ليلا ليخرج منها أصحاب الحرف والهوايات، استعدادا لإقامة معرض السجون وانتهز العسكرى عدم وجود الضباط ليلا وفتح على الأخ رشدي الذى وقف وسط الدور وشاهد أعجب مشهد رأته عيناه، لقد شاهد اثنين من حراس الليل يصعدون إليه، ويحمل كل واحد منهما صفيحة الجاز على كتفه، فخر رشدي ساجدا لله الذى حول قلوب السجانين وجعلهم فى خدمة الإخوان، يحطمون القوانين الظالمة، ويتعاطفون مع الإخوان، ويحملون على أكتافهم الممنوعات فى جنح الظلام.

وفى ليلة ثانية يطفئ رشدي أنوار السجن بالاتفاق مع الكهربائى لمدة عشر دقائق يهرب فيها بحمولة كبيرة من الشاى ويصعد بها إلى الإخوان ولا يراه أحد...

كان الأخ رشدي حذرًا يشم رائحة الخطر ، ويتهيأ للدفاع ، فاتفق مع الأخ سيد بندق بأن يقفز إلى شباك زنزانته التى تتطل على فناء السجن ومبنى الإدارة ، مرة في الصباح ومرة في المساء، ليستطلع حركة الضباط والعساكر، فإذا كان هناك خطر قادم نحونا يستخدم شفرة الخطر بأن يخرج من زنزانته صوتاً قوياً يقول « بندق » وإذا زال الخطر يقول « موسى » ، وحركة الاستطلاع عند رشدى تعتمد على مرآة يخرجها من النافذة فى اتجاه مبنى الإدارة، وتنقل هذه المرآة حركة الضباط والعساكر إلى السيد بندق الذي ينقلها إلى رشدي الذى يعرف كل أنواع التحركات عندهم.

ويتحول رشدي إلى « شيخ منسر » مع المجرمين، يلوى أعناقهم جميعا بلا استثناء، ويجبرهم على الرضوخ والإذعان إذا تعاملوا مع الإخوان. وهذه هى اللغة الوحيدة التى يحفظها المجرمون.

ففى إحدى المرات صعد أحد المجرمين إلى الدور الثامن الذى يسكن فيه الإخوان، ورفع صوته بكلمات نابية، حتى يشعر المساجين أنه يتحدى الإخوان، فيزداد خوفهم منه، ونزل « كشكش » كما كان يسمى نفسه ، بعد أن أرهب المساجين، وهدد الإخوان وأحس بهذا الموقف أنه الملك، وكان لابد أن يظهر الملك الحقيقى، ويبطش بهذا المجرم وينزع عنه الهالة التى أحاط بها نفسه، لقد سمع رشدي فى زنزانته ما قاله الملك المزيف ، فخرج إليه فلم يجده فنزل مسرعا والشرر يتطاير من عينيه، ولحق به الأخ طلعت الشناوي وأحد الإخوان ووجد كشكش وحوله بعض المساجين المعجبين ،

فلم يتكلم معه أو يعاتبه، بل رفع يده وفاجأه بصفعتين قويتين على وجه، ويسانده ويحمى ظهره الأخ طلعت ومن معه.

ولأول مرة يحس كشكش أنه ضعيف ومهزوم على مرأى ومسمع من كل المساجين وتملكه الخوف حتى عجز عن أن يدافع عن نفسه، ونظر إلى الأخ رشدي قائلاً :

« طيب يا أخ رشدى خد الرجالة بتوعك وكفاية كده... »

الكلام عن هذه الظاهرة « ملك السجن » لا ينتهى فما أكثر الحكايات والمغامرات ونحيل القارئ إلى كتاب « ملك السجن » المكتوب عن الأخ رشدي عفيفي.

الأستاذ سيد قطب :

ذهبت إلى سجن ليمان طرة مرتين للعلاج ، باعتبار أنه سجن مركزى وبه مستشفى تجرى فيها العمليات، والتقيت بالأستاذ سيد قطب وسمعت منه كثيرا، توثقت علاقتى به حينما التقينا فى مستشفى القصر العينى للعلاج بناء على توصية دكتور سجن طرة ثم تطورت هذه العلاقة بعد خروجنا من السجن فى عدة زيارات له فى مسكنه بحلوان وسأتحدث عن هذه الصلة وعن فكر الأستاذ « سيد » عند الحديث عن سجن مزرعة طرة.

(البروك رقم ١٧٠ «جون»)

وزارة الداخلية

مصلحة السجون

رقم مسلسل ــــ

من [illegible] بتاريخ ١١/[illegible] سنة ١٩٦١

الرقم [illegible] الإسم [illegible] العمر ــــ

شهادة طبية

أنا الدكتور [illegible] طبيب سجن [illegible]

قد وقعت الكشف الطبي بناء على طلب ـــــــ على المذكور عاليه ، [illegible]

[illegible]

[illegible] descending colon)

[illegible]

	الدقهليـــة	
٦٣	عبد السلام الدوداني	
٦٤	رشاد عتيق	تصفا
٦٥	حسين أحمد عبد المعطي	البجلات
٦٦	رجب رجب الخميسي	البجلات
٦٧	طلعت الشناوي	سنفا
٦٨	محمود عبد العظيم عبد الباري	
	القليوبيـــة	
٦٩	عبد الحليم خفاجي	مرصفا
٧٠	محمود إبراهيم سبيع	عرب الصوالحة
٧١	موسي جاويش	عرب الصوالحة
٧٢	سيد صالح سيف	عرب جهينة
٧٣	سعد عفيفي	مساكن محاجر أبو زعبل
٧٤	سيد إسماعيل الشتولي	الخانكة
٧٥	سلطان حسن سلطان	القلج
٧٦	عبد السلام عمارة	القلج
٧٧	سيد محمد على بندق	مزرعة الجبل الأصفر
٧٨	أحمد عبد الفتاح شعلان	أبو زعبل
	الإسماعيليـــة	
٧٩	إسماعيل مصطفي حسونة	عزبة غزالة
٨٠	مصطفي طرطور	الإسماعيلية
	السويـــس	
٨١	رياض زكي يحيي	
٨٢	عبد العظيم عبد الحيد عبد الله	

٨٣	عبد السميع أبو بكر	
٨٤	محمود السعدني	
٨٥	محمد صديق نصار	
	كفر الشيـــخ	
٨٦	عبد العزيز عبد العاطي عامر	
٨٧	محمد إسماعيل	
٨٨	جلال عبد العزيز طه	
	الغربيـــة	
٨٩	عبد الله الشرقاوي	المحلة الكبرى
٩٠	فرج مناع	طنطا
	الشرقيـــة	
٩١	إبرهيم أبو العيش	مشتول السوق
٩٢	عيد إسماعيل	
٩٣	عبد الوهاب زكي	الزقازيق
٩٤	عبد الغفار زكي	الزقازيق
	البحيـــرة	
٩٥	محمد سعيد المهدي	دمنهور
٩٦	محمد عبد العال أبو مدينة	وادي النطرون
	بني سويف	
٩٧	عبد الرءوف بدران	
	سوهـــاج	
٩٨	زغلول	

وحانت ساعة الخلاص

إن عشر سنوات من الزمن أوشكت أن تنتهي بين جدران السجون وأنا شاهد على كل ثانية فيها وكلما اقتربت نهايتها أحسست بطعم الحرية أتنسمها في الشهيق والزفير، وأتذوقها تيارا دافئا يسري في ضلوعي وشراييني، ونحن في بداية فصل الشتاء، وإن يوم ١٩٦٤/١٢/١٢هو اليوم الموعود لحريتي وانفكاكي من القيد، وعتقي من رؤية السجان قريني، وتغيير كل المشاهد الكئيبة التي أراها طيلة هذه الفترة.

ستتغير الألوان، وتتسع المساحات، وسيمتد البصر إلى مالا نهاية، وأستبدل صوت السجان بالأصوات الهادئة الحانية، وسيرحمني الله من هذا الكم من السواد في الزنزانة وعلى القضبان الحديدية في أرجاء السجن ، إنني وإن كنت لا أحب فراق أحبة لي في الطريق الطويل، وهم عما قريب سيكونون معي في الحرية، فالفرق بيننا أيام، حسب تاريخ القبض على كل واحد منا، وبقدر فرحتي وانتظاري ليوم الخلاص فإن نوعا من القلق يساورني، فقد غبت عن الحياة عشر سنوات، وحركة الحياة لا تنتظر أحداً فهل لي فيها من سبيل وهل سيكون الناس كما تركتهم ، بعاداتهم، وتقاليدهم، وسلوكياتهم القريبة من الفطرة؟ وهل أتمكن من التعامل معهم والائتناس بهم يفهمون ظروفي ويعترفون بدوري الذي شوهته أجهزة السلطة، ويفسحون لي المجال لأتحرك من جديد فأقص عليهم قصتي وأدافع عن نفسي، وأتفاعل معهم، أدعوهم مرة أخرى إلى ما دعوتهم إليه من قبل، حتى وإن كان الزمن قد أنساهم شخصي ودعوتي؟؟؟؟

هل سأتعرف على الشوارع التى تجولت فيها ، والنباتات التى ألفت النظر إليها فى مدينة بنها ، التى تركتها من عشر سنوات؟ وماذا عن قريتى بمبانيها الطينية البسيطة، وحواريها التى لعبت فيها؟ تلك القرية التى أصبح اسمها ملازما لإخوانى الذين تخرجوا منها وعرفوا بالأجاهرة.

لقد اقتربت مدة سجنى فى سجن القناطر أن تنتهى، وحانت ساعة الفرج وأخذت فى بادئ الأمر أعد الأيام، ثم طفقت أعد الساعات، وإخوانى من حولى يودعوننى وينتظرون دورهم مثلى.. فالمسافة بيننا أيام أو شهور قليلة، وأشرقت شمس يوم ١٩٦٤/١٢/١٢ أى بعد عشر سنوات بالتمام والكمال، يا إلهى عشر سنوات فى السجن فى نفس واحد كما يقول الصعايده .

وخلعت ملابس السجن وألبسنى الإخوان ملابس الحرية، ساعدونى فى إحضار بنطلون وقميص وبلوفر من الصوف لأن الجو بارد فى ديسمبر .. لم أصدق ما أنا فيه وما أنا مقبل عليه ... وأخيراً خرجت من بوابة السجن، والقيت نظرة على البوابة وعلى كل من وراءها من الأحباب، وكل ما وراءها من الذكريات، وانتزعت نفسى من بينهم كأن روحى تنتزع منى وركبت سيارة يحرسنى فيها ضابط وبعض العساكر، وسلمونى فى المبنى الرئيسى فى وزارة الداخلية ، وتم تصويرى وعمل فيش وتشبيه ووقعت على بعض الأوراق.

وخرج معى عسكرى حتى وصلنا شرفة واسعة تتصل بالأرض بدرجات عريضة لسلم فخم يستخدمه وزير الداخلية وكبار الموظفين، وهم بالابتعاد عنى ، فنظرت إليه وكأننى أناديه، فقال لى :

« أنزل على هذا السلم واخرج » .

فاندهشت وتملكتنى الحيرة، وقلت له : « أخرج إلى أين ؟؟! »

فقال لى : « أخرج إلى بيتك أو حيث تشاء » .

ثم تركنى وحدى وانصرف ، ووقفت على الدرجة العلوية أنظر إلى الباب ، وإلى الشارع ، والسيارات ، والناس ، وأنا لا أصدق أننى أرى الحياة من على سلم وزارة الداخلية بلا قيد حديدى فى يدى ولا عسكرى يحرسنى!! وكان شعورًا من الصعب توضيحه! لقد تعودت على مدى عشر سنوات أن يكون بجانبى عسكرى فى حركتى داخل السجن، وأنظر الآن حولى وكأن شيئا ينقصنى، أين ظلى ؟ أين قرينى ؟ هل يمكن أن أتحرك بدونه؟.. هل أنا حر الآن؟ أأنا حر الآن.. من غير قيود ولا أوامر ولا عساكر ولا زنازين ؟؟ وما معنى الحرية ؟ أنا لم أتذوقها .. ولم أستخدمها منذ عشر سنوات حتى نسيتها قولاً وعملاً يا إلهى ما هذا الذى طرأ على؟ ما هذا الذى أراه أمامى؟ درجات أنزلها وخطوات أخطوها وأكون مع الناس فى الشارع، أنا محجوز عنهم .. أنا معزول.. أنا لست منهم .

ولم أزل واقفا على السلم، وطالت وقفتى ... ولم يكن لى أن أستمر واقفا أكثر من هذا فى هذا المكان المدجج بالحراسة ونزلت الدرجات، وخطوت خطوات بطيئة وأنا متردد وأظن أن هذا مجرد خديعة وسوف يمسكون بي ويعيدونني إلى السجن مرة أخرى، وترددت قليلا ولكنى جمعت نفسي ، ثم خرجت من الباب الرئيسى الذى لا يستطيع أى إنسان أن يقترب منه، فوجدت والدى واقفا ينتظرنى على مسافة ليست بعيدة، وياله من لقاء بين الوالد المسن وابنه الذى غاب عنه عشر سنوات، لكنى وجدت فى يده « منديل محلاوى كبير » معقودا على بعض الملابس، فقلت له : « ما هذا ؟ » فقال : « هذه بدلتك .. قالها بسذاجة أهل الريف» ، فقلت: « يا

الله !! هذه البدلة التى شاركتنى التعذيب فى السجن الحربى وسلمتها ملفوفة مع الحذاء فى سجن مصر ثم بعد عشر سنوات تأتينى ملفوفة فى المنديل المحلاوى !! أتسمى.. بدلة بعد هذه المراحل والأطوار ؟ » فقال لى : « لقد كواها لك ابن خالك أحمد » .

فضحكت وانتحيت به جانبا بعيدا عن باب الوزارة ثم قلت له : « لا عليك بل انتظرنى خمس دقائق » .

وسرت قليلا فى شارع الشيخ ريحان حتى دخلت محل الأخ أمين عويس الذى كان معى فى سجن القناطر ، وكان متخصصا فى صناعة ملابس الرجال، ونال حريته قبلى بحوالى العام، وبعد لقاء حار معه قلت له لن أسترسل فى الحديث، فوالدى ينتظرنى، أريد عمل بدلة فخد مقاساتى.

وعرض على بعض الأقمشة الموجودة عنده على الرفوف، فاخترت نوعا منها، ثم ودعته. على أن أعود إليه بعد أيام قليلة لأستلم البدلة .

وذهبت إلى والدى وأخبرته أننى « فصلت بدلة فى الدقائق التى غبت فيها عنه » ، وبدا عليه الاستغراب قائلا :

« من أين ؟ وكيف فى هذه المدة القصيرة؟ »

ولما أخبرته بما حدث تعجب لهذه العلاقة المبنية على الثقة والتكافل، ثم ركبنا السيارة التى كانت تنتظرنا على مقربة منا، وفيها بعض الأقارب، وانطلقنا إلى أجهور الرمل .

وكان الجو باردا، ودخلناها عصرا، حيث كانت الطرقات مليئة بالطين والوحل، بسبب المطر الشديد الذى هطل بالأمس ، والناس فى شارعنا يقفون على الأبواب ليتفرجوا على هذا الذى قالت عنه الصحف منذ عشر

سنوات أنه كان يريد قلب نظام الحكم فماذا فعلت به الأيام طوال هذه الفترة؟

كنت أرى فى عيونهم علامات الدهشة والانبهار بهذا الفتى الذى اشترك فى جهاز سرى مسلح ليقاوم جمال عبد الناصر ، ثم دخل السجن وخرج منه شابا قويا تبدو عليه أمارات الفتوة وقوة البنيان. وما زال فى ذاكرة الناس بعض المغامرات التى كانت تتقولها علينا الصحف والإذاعات وعلى منوالها كان هؤلاء الناس ينسجون القصص والحكايات.

- **أمى فى الشارع تنتظرنى:**

ورأيت أمى تنتظرنى أمام باب بيتنا ، وحولها وخلفها مجموعة من نساء الشارع ونساء الأقارب ، جئن لمشاركة أمى فرحتها ومساعدتها فى الطبخ وتجهيز الطعام، وعلى وجهها ابتسامة كانت تؤجلها وتدخرها لهذا اليوم الذى فيه فتحت ذراعيها بالأحضان لابنها الذى طالت غيبته وضمتنى إلى صدرها فترة استرجعنا فيها سويا شريط الآلام ، المسجل عليه كل الزيارات ، التى كانت ترانى فيها عن بعد وخلف الأسلاك والقضبان وتلك التى لا ترانى فيها بعد سفر طويل إلى سجن بنى سويف وتفاجأ بأن الزيارة ممنوعة .

وتقف أمام السجن وتناجينى وعيناها على نوافذ الزنازين التى أسكن واحدة منها ثم تنادينى بصوت غير مسموع:

« يا محمود أمك على الأبواب تنتظرك...» .

ولا أحد يرق لحالها وتعود باكية تحبس أحزانها فى صدرها إلى يوم أن تلقاك.

- **من أنا...؟؟**

انتهيت من الاستقبالات وظللت يومين فى البيت تطعمنى والدتى ما طاب عندها من الطعام ، ثم توجهت إلى كلية الآداب جامعة القاهرة لأواصل دراستى ، فقالوا لى : « من أنت ؟ »

قلت لهم : « أنا طالب عندكم منذ عام ١٩٥٤م »

فرد أحدهم ولكننا الآن فى عام ١٩٦٤ قلت لهم غيبت فى السجون طوال هذه المدة على ذمة محكمة الشعب .

« إذن أنت من الإخوان ؟ »

قلت : « نعم.. »

قال محدثى: « راجعنا بعد يومين » .

ورجعت إليهم بعد يومين فقيل لى : « اسمك ليس مدرجا فى الكلية ولا يوجد لك ملف » .

قلت لهم : « لكن معى وصل محرر من الكلية فى سنة ١٩٥٤ باستلامكم أوراقى وقبولى بالكلية » ، وأطلعتهم على الوصل .

فنظر أحدهم فيه ثم شهق وقال : « ياه هذا توقيع قديم صاحبه سافر إلى السودان منذ زمن ، هل تستطيع أن تثبت لنا أنه قد تم توقيع الكشف الطبى عليك؟ » ، وحولنى على مستشفى الجامعة بالجيزة ورويت قصتى أمام الموظفين ، فقام أحدهم وأخذنى من يدى وفتح باب إحدى الحجرات، فوجدت فيها أكواما من السجلات القديمة المبعثرة بغير نظام ثم قال لى : « حاول أن تعثر على سجل سنة ١٩٥٤ ..»

قلت له : « معنى ذلك أن أتردد عليكم أياما ومعى مساعدين حتى أخرج هذه الأكوام المليئة بالتراب » .

قال : « هو ذلك »

قلت له : « هذا مشوار طويل ، لا عليك » ثم انصرفت .

- **وجهاً لوجه مع الوزراء:**

وبدأت أطرق الأبواب المؤثرة فى جهات الأمن، وبعد يومين ذهبت إلى الكلية أستطلع خبر إعادتى للكلية فنادى على أحد الموظفين : أبشر فقد سجلت بالكلية وما عليك إلا أن تعد ملفا جديدا تأتينا به على الفور. وانتظمت فى الدراسة فى قسم الجغرافيا وعمرى ثلاثون سنة وكنا فى منتصف شهر فبراير تقريبا .

ودخلت أول محاضرة للدكتور عبد العزيز كامل [1] الذى أعادنى بنبرات صوته إلى ما قبل عام ١٩٥٤ وهو يلقى محاضراته فى المركز العام وفى أماكن تجمعات الإخوان ، وخطر لى أن أعرفه بنفسى دون أن أطلب منه مساعدة أو أتسبب له فى أى حرج خاصة أننى أعرف أنه بعد أن كان وزيرا للأوقاف قد احتجز كثيرا عند المباحث العامة وهو الآن موضوع تحت المراقبة .

انتظرته خارج المحاضرة فى ممر خارجى فى حديقة قسم الجغرافيا واسترعيت انتباهه باعتراض طريقه وإلقاء السلام عليه وبادرته بقولى : « أنا طالب عندكم فى قسم الجغرافيا وقد كنت طالبا فى هذا القسم منذ عشر

(١) كان عبد العزيز كامل عضوا في مكتب الإرشاد وصاحب الأستاذ حسن البنا في شبابه وأخذ عنه

سنين قضيتها فى السجن وأنا خارج منه منذ أيام » ، وفطن الرجل ما أعنى واضطرب قليلا ونظر حوله وكاد أن يصافحنى بطريقة أخرى، لكنه سريعا قال : « الحمد لله على السلامة وابدأ حياتك وسأساعدك » .

وأحسست أن هذه الدقائق هى المسموح بها، فأفسحت له الطريق، وودعنى بإلقاء السلام علي... وبعد يومين وجدت من يسألنى عن احتياجاتى فى الدراسة خاصة أن الامتحان قد اقترب... وهذا السائل هو الأستاذ عبد العال الشامي الموظف بالقسم آنذاك وأصبح أستاذا به بعد ذلك. وكان معى فى سجن بنى سويف ومحكوما عليه بخمس سنوات وقد أمدنى ببعض المحاضرات .

أما الأستاذ عبد العزيز كامل فلم ألتق به إلا فى الامتحانات الشفوية وقد أوصى الدكتور صفى الدين أبو العز وزير الشباب السابق وأستاذ الجغرافيا الطبيعية بالقسم وعرفه ظروفى . وهنا وجدت نفسى فى لجنة بها وزيرين سابقين . لكنهما متعاطفين معى ، وكلاهما مثلى فى معارضة النظام، لكن لكل واحد منا طريقته وأسبابه.

واجتزت امتحان السنة الأولى وأصبح لى وجود فى الكلية، حاولت حثيثا أن اندمج مع المجتمع الجامعى بالرغم من سنى الكبير ، لكنهم لم يمهلونى وصدر الأمر باعتقالى، وغبت عن الكلية ست سنوات وأعود بعدها بقصة جديدة ، وأشارك فى بعض الأنشطة كالرحلات، بالرغم من أن سنى قد وصل إلى السابعة والثلاثين ثم أتخرج فى عام ١٩٧٤، وبذلك أكون قد قضيت فى الكلية عشرين عاما حتى تخرجت منها، وأكون الطالب الوحيد تقريبا الذى قضى أطول فترة فيها أدرس على يد أساتذة كان من الممكن أن يكون بعضهم تلاميذ لى.

الفصل التاسع

العودة إلى السجن

الجولة الثانية

• العودة إلى السجن

ما إن خطت قدماى أعتاب السجن بعد عشر سنوات ، ثم أعتاب وزارة الداخلية نحو الحرية ، وسرت خطوات فى الشارع بدون قيد فى يدى أو حارس بجانبى ، حتى أعادونى مرة ثانية إلى السجن، بالرغم من أننى لم أفعل شيئا يغضبهم .

لأن الفترة التى قضيتها خارج السجن كانت حوالى سبعة أشهر ونصف تقريباً، وهى فترة قصيرة، كنت أحاول فيها بعد حرمان طويل أن أرتوى من الحرية التى غابت عنى، وأبحث عن مكان لى بين الناس، وأعوض بعض الذى فاتنى من دراستى الجامعية التى توقفت عنها عشر سنوات، فقط كنت أحاول أن أعيش كما يعيش الناس ولكن بفهمى وموازينى الخاصة.

وظننت أن لى الحق فى أن أحصل على حريتى كاملة بعد أن اعتدوا عليها وحبسونى فى السجن، وأن عامل الزمن قد أزال بعض ما فى قلوبهم نحوى، أو ربما أنساهم إياى... لكن هيهات... لقد خاب ظنى وأخطأت التقدير!!، إن بقاءهم فى مناصبهم مرهون بنظرية المؤامرة التى يبتكرونها كل فترة حتى تظل نيران المعركة مشتعلة، وأن نظرية الضربات الوقائية ضرورة لاختفاء الأعداء عن المسرح، لكن من الضرورى أن يتواجد هؤلاء الأعداء حتى يظل الحاكم فى حاجة إلى الأجهزة الأمنية لحمايته وحراسة الوطن، ويشيب جزء من حراس الأمن هؤلاء ويخرجون على المعاش أو يحال

بعضهم إلى الاستيداع نتيجة الصراعات، فيحل محلهم آخرون رضعوا من لبن الاستبداد، وشبوا على الطغيان، وأشربوا فى قلوبهم العجل بغفلتهم، فصاروا مثل السابقين وتفوقوا عليهم، وهكذا يستمر مسلسل ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (1).

لقد أخطأت حين تصورت أننى نلت حريتى، فما حدث لا يعدو أن يكون إجازة من القيد، تكرموا بها على فى لحظة غفلة، أو حسابات خاطئة صححوها بعودتى مرة ثانية إلى السجن بقرار جمهورى رقم ٢٥١٣ صدر فى سنة ١٩٦٥ تحت عنوان «اعتقال كل من سبق اعتقاله» بتاريخ ١٩٦٥/٩/٦ ثم قرار آخر رقم ١٥١٤ يؤكد استمرار اعتقالى صدر فى سنة ١٩٦٨ ، وما أكثر القرارات الجمهورية فى هذا الشأن، علما بأننى فى أيديهم ولا يستطيع أحد إن يحاسبهم إن حبسونى بدون قرار.

- **الوداع الأخير:**

أخذونى فى يوم ١٩٦٥/٨/١٢م وأمى تحتضننى وتبكى بكاء مرا وتنظر إلى نظرة الوداع الذى لا لقاء بعده ، فقد غيبونى فى المرة الأولى عشر سنوات وستكون فى هذه المرة عشرا أخرى إن لم تكن عشرات ، وما بقى من العمر لا يتحمل الانتظار عشر سنوات ، وكذلك الجسم الذى هذه

(١) سورة القصص الآية ٤.

الحزن فى المرة الأولى ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾(1).

حاولت أمى أن تتماسك وأنا أخرج من بين أحضانها لتشجعنى على أن أبدأ المشوار الجديد بعزيمة قوية ، وابتعدت عنها بصحبة العساكر والمخبرين وقيادة الضباط المغاوير الذين اقتادونى إلى سجن القلعة مرة ثانية ، لكنى لم أمكث فى هذا السجن سوى أسبوعين ورحلت أنا وإخوانى الذين خرجوا معى فى المرة الأولى إلى سجن الفيوم ، لأن المعركة هذه المرة طويلة وواسعة وقيادتها بيد المشير عبد الحكيم عامر ومن حوله ، والسجون المركزية قد امتلأت عن آخرها ، ومباحث أمن الدولة فى حاجة إلى سجن القلعة للضيوف الجدد أصحاب الأولوية فى التحقيقات ، أما نحن القدامى الذين خرجوا من السجن منذ فترة قصيرة فيخزنون فى سجن الفيوم لحين الحاجة إليهم.

(1) سورة يوسف الآية ٨٤.

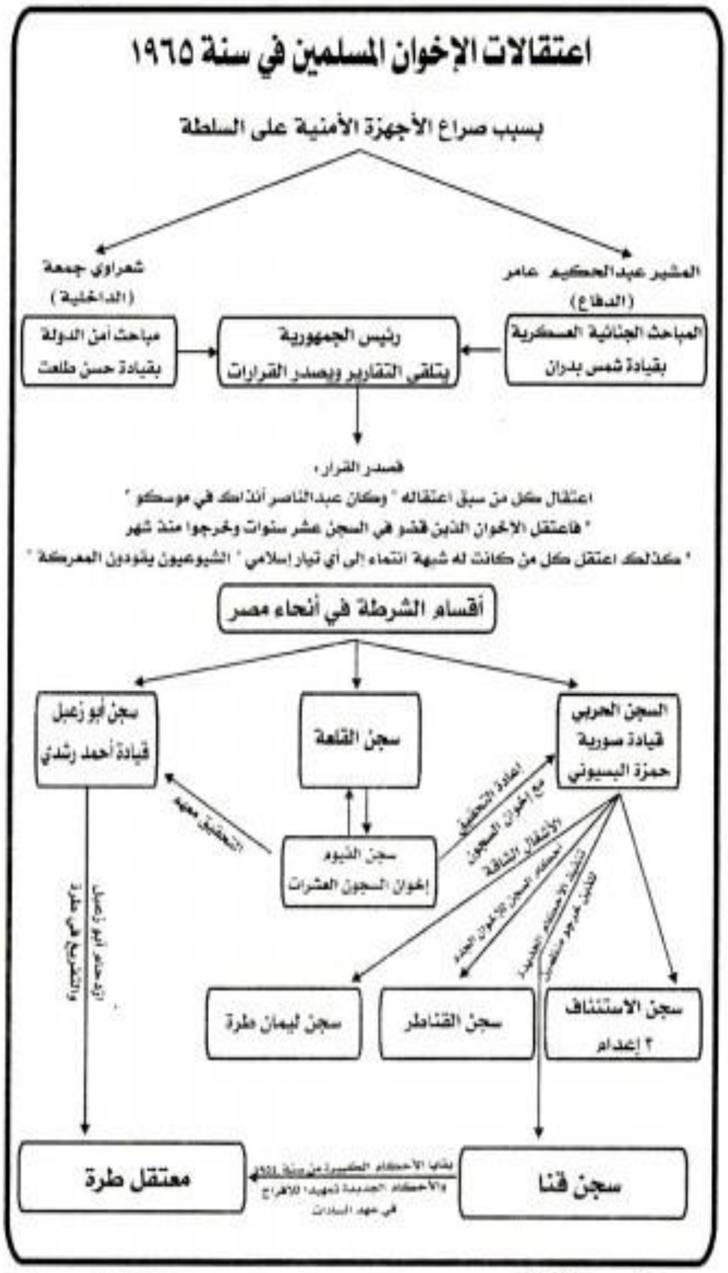
اعتقالات الإخوان المسلمين في سنة ١٩٦٥
بسبب صراع الأجهزة الأمنية على السلطة
المشير عبدالحكيم عامر
(الدفاع)
شعراوي جمعة
(الداخلية)
المباحث الجنائية العسكرية
بقيادة شمس بدران
رئيس الجمهورية
يتلقى التقارير ويصدر القرارات
مباحث أمن الدولة
بقيادة حسن طلعت
فصدر القرار،
اعتقال كل من سبق اعتقاله " وكان عبدالناصر آنذاك في موسكو "
" فاعتقل الاخوان الذين قضو في السجن عشر سنوات وخرجوا منذ شهر
" كذلك اعتقل كل من كانت له شبهة انتماء إلى أي تيار إسلامي " الشيوعيون يقودون المعركة "
أقسام الشرطة في أنحاء مصر
السجن الحربي
قيادة سورية
حمزة البسيوني
سجن القلعة
سجن أبو زعبل
قيادة أحمد رشدي
سجن الفيوم
إخوان السجون العشرات
التحقيق معهم
إعادة التحقيق
مع إخوان السجون
الأشغال الشاقة
سجن الاستئناف
٢ إعدام
سجن القناطر
سجن ليمان طرة
سجن قنا
معتقل طرة
والأحكام الجديدة تمهيدا للإفراج
في عهد السادات

سجـــن الفيـــوم

سـجن الفيـوم لـيس شـبيها بالسجون العتيدة فى محافظات الـوادى آنـذاك ، فهـو مكـان للتحفظ شبيها بالمعتقلات التى يقيمونها على عجل ، وإن كنت لا أعـرف سـوى الحجـرة التـى كنت فيها ولم أخرج منها .

فقد دخلناه ليلا وخرجنا منه كذلك بالليل ،

ومكث الإخوان فيه حوالى ثلاثة أسابيع واستدعوا على عجل إلى السجن الحربى ومناطق التحقيق فى القاهرة وما حولها ، ولم يكن مسموحاً لنا بالكلام ولا حتى بالهمس ، وخيم على المكان شبح المجازر التى تنفذ فى السجن الحربى والقلعة وغيرها ، وجلسنا فى ليلنا ونهارنا ننتظر دورنا الذى جاء سريعا .

ففى الليلة الثالثة نودى على ثلاثة منا هم « بدر القصبى وزكريا المشتولى وأحمد شعلان » ، وثلاثتهم من مدينة الخانكة سحبوهم من بيننا فى جنح الظلام ولم يستطع واحد منا أن يكلمهم ، وفارقونا دون وداع ، فقط سكبنا عليهم الدمعات وودعتهم النظرات وهم يتحركون نحو لقاء الله ، نحو الشهادة فى سبيله ، حيث استشهد الثلاثة فى خلال أيام قليلة تحت وطأة التعذيب على يد الجلادين من مباحث أمن الدولة في سجن القلعة في يوم ١٩٦٥/٨/٢٨ .

وجاء دورى فى الليلة الرابعة ، ونادانى الزبانية ، وفتحوا الباب وانتزعونى من بين إخوانى ، وركبت معهم فى سيارة مفتوحة من الخلف ومملوءة بالجنود المدججين بالسلاح ، ويدى مقيدة بالحديد مع يد أحدهم،

والهواء البارد ينفذ من كل جانب ويندفع نحوى بقوة كلما أسرعت السيارة فى اتجاه القاهرة ، وسألت نفسى : « إلى أين أنا ذاهب ؟ ولماذا أنا وحدى ؟ ماذا أتوقع ؟ » والمجهول يجعلنى أتساءل كثيرا ، وأخيراً ألقيت أحمالى من على أكتافى واتجهت إلى الله أدعوه أن يكون معى.

▪ مرة أخرى فى وزارة الداخلية:

وصلنا إلى وزارة الداخلية ، وصعدت السلم مع كل الجموع حولى نفس السلم الذى نزلت عليه إلى الحرية منذ ثمانية أشهر، وهناك أحسست بمغص شديد ، وأحتاج إلى دخول دورة المياه لأقضى حاجتى ، ونبهتهم إلى ذلك على وجه السرعة. وإلا قضيت حاجتى فى مكانى أمام الضباط فسمحوا لى بدخول الحمام ، ودخل معى العسكرى المقيد معى ، ونزعت ملابسى بيد واحدة وجلست أقضى حاجتى ويدى معلقة فى يد العسكرى ، والغريب أنهم فكوا قيدى بعد أن خرجت من الحمام لأن القيد الحديدى عهدة .

وتسلمتنى قوة أخرى بقيد جديد وخرجت معهم فى سيارة أخرى تجرى فى شوارع القاهرة ، فقلت فى نفسى لعلهم سيذهبون بى إلى السجن الحربى أو إلى سجن القلعة مرة ثانية ، ولكن هذا لم يتم ، وهذا مما ضاعف من مخاوفى ، « فأين يذهبون بى إذن ؟ اتجهت السيارة إلى ترعة الإسماعيلية وسارت على الطريق الملازم لها ، فإلى أين هم ذاهبون بى وقد تركنا كل السجون خلفنا ولم ندخلها ؟ هل هذه هى نهايتى وقد سبقنى إليها الإخوان الثلاثة الذين رحلوا منذ حوالي ثلاث أيام ؟ ولماذا تكون النهاية بعيدا عن القاهرة ؟ » وقد عجزت عن الإجابة فلا مفر إذن من التسليم بقضاء الله وقدره ، وبين الحين والحين أسمع همسات تجرى بين الضابط

والسائق لكن لا أدرى ماذا يقولون...

وأخيرا مرت السيارة على أعمدة الإرسال لمحطة الإذاعة فى أبى زعبل فأيقنت أنهم ذاهبون بى إلى سجن أبى زعبل الذى كنت قد رأيته من قبل ، لكن مدى علمى أنه لا يوجد به إخوان فلماذا سأوضع فيه وحدى ؟

وقفت السيارة أمام مبنى جديد يبدو أنه أعد لنا ، واستلمنى الحراس وأدخلونى فى فناء واسع معصوب العينين ، وكنا قبل الفجر بحوالى الساعة تقريبا ، وذهب الزبانية إلى بيوتهم للراحة استعدادا لليوم التالى . وطلب منى الحارس أن أقف ووجهى للحائط حتى الصباح.

وكان الجو ساكنا مما زاد دهشتى ، وألح على السؤال من جديد « لماذا أفرد فى هذا المبنى الضخم ؟ » لكن الله لم يطل حيرتى ، وسمعت حركة ضعيفة فى الأدوار العليا ، فقلت: «الحمد لله.. معى غيرى من البشر » وإن كنت لا أعرف هويتهم ، وبعد فترة ذهب بعض الخوف من نفسى حينما سمعت صوتا خافتا جدا يؤذن لصلاة الفجر ، فقلت : « إذن لا يؤذن لصلاة الفجر فى هذا الجو المرعب سوى الإخوان » ، ومصيرنا واحد فلا خوف من لقاء الله ، وأشرقت الشمس واصطف بجوارى نحو الحائط مجموعات جديدة معصوبة العينين ، وجاء الزبانية بعد ذلك يمرون علينا يسألون كل واحد عن اسمه ويبحث كل واحد منهم عن فريسته التى طلب إحضارها من أى مكان فى الأرض ، وحينما سمع إسمى الوحش المكلف بافتراسى «فؤاد علام » لم يمهلنى لحظات أسمع فيها تهمتى أو أتكلم معه أى كلمة وأحضر شلته من المخبرين وظلوا يضربوننى طويلا حتى كاد يغمى علىّ ، ثم تركونى وانصرفوا ، بعد أن جردونى من ملابسى وأصبحت عاريا من أى خيط يسترنى ، وهذه هى مقدمة التحقيق حتى أنهار وتتحطم أعصابى.

التقرير الـــردئ

أمر عبد الناصر بتشكيل لجنة عليا بقيادة زكريا محيى الدين رئيس الوزراء هدفها :

أ- غسل مخ الإخوان من أفكارهم.

ب- منع عدوى أفكارهم من الانتقال إلى غيرهم.. ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف تقوم اللجنة بدارسة :-

١- الوسائل التى استخدمت مع الإخوان حتى الآن.

٢- النتائج التى تم التوصل إليها.

٣- أفضل الطرق التى يجب استعمالها لمحاربتهم.

اجتمعت اللجنة المشكلة من :.

- سيادة/ رئيس مجلس الوزراء.
- السيد/ قائد المخابرات العامة.
- السيد/ قائد المباحث الجنائية المصرية.
- السيد/ مدير المباحث العامة.
- السيد/ مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر.

وذلك فى مبنى المخابرات العامة بكوبرى القبة ، وعقدت عشرة اجتماعات متتالية وبعد دراسة كل التقارير والبيانات والإحصائيات السابقة ، أمكن تلخيص المعلومات المجتمعة فى الآتى :

١- تبين أن تدريس التاريخ الإسلامى فى المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين فى لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ويتتابع ظهور معتنقى الأفكار الإخوانية.

٢- صعوبة واستحالة التميز بين أصحاب الميول والنزعات الدينية وبين

معتنقى الأفكار الإخوانية ، وسهولة وفجائية تحول الفئة الأولى إلى الفئة الثانية بتطرف أكبر.

٣- غالبية أفراد الإخوان عاش على وهم الطهارة ، ولم يمارس الحياة الجماعية الحديثة ، ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية « خام » .

٤- غالبيتهم ذو طاقة فكرية وقدرة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل وقد أدى ذلك إلى اطراد دائم وملموس وتفوقهم فى المجالات العلمية والعملية التى يعيشون فيها وفى مستواهم الفكرى والعلمى والاجتماعى بالنسبة لأندادهم رغم أن جزءا غير بسيط من وقتهم موجه لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشئومة.

٥- هناك انعكاسات إيجابية سريعة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل فى المحيط الذى يقتنع.

٦- تداخلهم فى بعض ، ودوام اتصالهم الفردى ببعض وتزاورهم ، والتعارف بين بعضهم البعض يؤدى إلى ثقة كل منهم فى الآخر ثقة كبيرة.

٧- هناك توافق روحى ، وتقارب فكرى وسلوكى يجمع بينهم فى كل مكان حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم.

٨- رغم كل المحاولات التى بذلت منذ عام ١٩٣٦ لافهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون وراء الدين لبلوغ أهداف سياسة إلا أن احتكاكهم الفردى بالشعب يؤدى إلى محو هذه الفكرة عنهم ، رغم أنها بقيت بالنسبة لبعض زعمائهم.

٩- تزعمهم حرب العصابات سنة ١٩٤٨ والقنال سنة ١٩٥١ رسب فى أفكار بعض الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية عملية ، وليست دعائية فقط ، بالإضافة إلى أن الأطماع الإسرائيلية

والاستعمارية والشيوعية فى المنطقة لا تخفى أغراضها فى القضاء عليهم.

١٠- نفورهم من كل من يعادى فكرتهم جعلهم لا يرتبطون بأى سياسة خارجية سواء كانت عربية أو شيوعية أو استعمارية ، وهذا يوحى لمن ينظر فى ماضيهم أنهم ليسوا عملاء.

وبناء على ذلك رأت اللجنة أن الأسلوب الجديد فى المكافحة يجب أن يشمل أساساً بندين متداخلين وهما :

أ- محو فكرة ارتباط الدين الإسلامى بالسياسة.

ب- إبادة تدريجية مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا من معتنقى الفكرة.

ويمكن تلخيص أسس الأسلوب الواجب استخدامه لبلوغه هذين الهدفين فى الآتى:-

أولاً : سياسة وقائية عامة :

١- تغيير مناهج تدريس التاريخ الإسلامى والدين فى المدارس وربطها بالمعتقدات الاشتراكية كأوضاع اجتماعية واقتصادية وليست سياسية مع إبراز مفاسد الخلافة خاصة زمن العثمانيين وأن تقدم الغرب السريع إنما كان عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة.

٢- التحرى الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الإخوان المسلمين فى كل مكان ثم مصادرتها وإعدامها.

٣- يحرم بتاتا قبول ذوى الإخوان وأقربائهم حتى الدرجة الثالثة فى القرابة من الانخراط فى السلك العسكرى أو البوليس أو السياسة مع سرعة عزلة الموجودين من هؤلاء الأقرباء من هذه الأماكن أو نقلهم إلى أماكن أخرى فى حالة ثبوت ولائهم.

٤- مضاعفة الجهود المبذولة فى سياسة العمل الدائم على إفقاد الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل وخاصة عن طريق إكراه البعض على كتابة تقارير عن زملائهم بخطهم ثم مواجهة هؤلاء الزملاء ، مع العمل على منع كل من الطرفين من لقاء الآخر أطول فترة ممكنة لتزيد هوة انعدام الثقة بينهم.

٥- بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الإخوان ، وهم الذين يمثلون الاحتياطى وجد أن هناك حتمية طبيعية عملية لالتقاء الصنفين فى المدى الطويل ووجد أنه من الأفضل أن يبدأ بتوحيد معاملتهم بمعاملة الإخوان قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا.

ومع افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء منهم إلا أن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة فى يوم ما على أيديهم. ولصعوبة واستحالة التمييز بين الإخوان والمبتدئين بوجه عام فلابد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة ما يلى :

(١) تضييق فرص الظهور والعمل أمام المتدينين عموما فى المجالات العلمية والعملية.

(٢) محاسبتهم بشدة وباستمرار على أى لقاء فردى أو زيارات تحدث بينهم.

(٣) عزل المتدينين عموما عن أى تنظيم أو اتحاد شعبى أو حكومى أو اجتماعى أو طلابى أو عمالى أو إعلامى.

(٤) التوقف عن السياسة السابقة فى السماح لأى متدين بالسفر للدراسة أو العمل حيث فشلت هذه السياسة فى تطوير معتقداتهم ، وعدد بسيط جدا منهم هو الذى تجاوب مع الحياة الأوربية فى البلاد التى سافروا إليها. أما غالبيتهم فإن من هبط منهم فى مكان بدأ ينظم فيه

الاتصالات والصلوات الجماعية أو المحاضرات لنشر أفكاره.

(٥) التوقف عن استعمال سياسة المتدينين فى حرب الشيوعيين واستعمال الشيوعيين فى حربهم بغرض القضاء على الفئتين ، حيث ثبت تفوق المتدينين فى هذا المجال ، ولذلك يجب أن نعطى الفرص للشيوعيين لحربهم وحرب أفكارهم ومعتقداتهم ، مع حرمان المتدينين من هذه الفرص.

(٦) تشويش الفكرة الشائعة عن الإخوان فى حرب فلسطين والقنال وتكرار النشر بالتلميح أو التصريح عن اتصال الإنجليز بالهضيبي ، وقيادة الإخوان حتى يمكن غرس فكرة أنهم عملاء للاستعمار فى أذهان الجميع.

(٧) الاستمرار فى سياسة محاولة الإيقاع بين الإخوان المقيمين فى الخارج وبين الحكومات العربية المختلفة وخاصة فى الدول الرجعية الإسلامية المرتبطة بالغرب ، وذلك بأن يروج عنهم فى تلك الدول أنهم عناصر مخربة ومعادية لهم وأنهم يضرون بمصلحتها ، وبهذا تسهل محاصرتهم فى الخارج أيضا.

ثانياً : سياسة استئصال السرطان الموجود الآن :.

وبالنسبة للإخوان الذين اعتقلوا وسجنوا فى أى عهد من العهود يعتبرون جميعا قد تمكنت منهم الفكرة كما يتمكن السرطان فى الجسم ولا يرجى شفاؤه ، ولذلك تجرى عملية استئصال لهم كالآتى :

المرحلة الأولى :

إدخالهم فى سلسلة متصلة من المتاعب تبدأ بالاستيلاء أو وضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم ، ويتبع ذلك اعتقالهم وأثناء الاعتقال

تستعمل معهم أشد أنواع الإهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردى ودورى حتى يصيب الدور الجميع ثم يعاد وهكذا.

وفى نفس الوقت لا يتوقف التكدير على المستوى الجماعى بل يكون ملازما للتأديب الفردى.

وهذه المرحلة إذا نفذت بدقة ستؤدى إلى :

- بالنسبة للمعتقلين : اهتزاز الأفكار فى عقولهم وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهات والأمراض بينهم.
- بالنسبة لنسائهم : سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات فسوف يتحررن ويتمردن لغياب عائلهن ، وحاجتهن المادية قد تؤدى لانزلاقهن.
- بالنسبة للأولاد : تضطر العائلات لغياب العائل وحاجتها المادية إلى توقيف الأبناء عن الدراسة وتوجيههم للحرف والمهن ، وبذلك يخلو جيل الموجهين المتعلم القادم ممن فى نفوسهم أى حقد أو أثر من آثار أفكار آبائهم.

المرحلة الثانية :

إعدام كل من ينظر إليه بينهم كداعية ، ومن تظهر عليه الصلابة سواء داخل السجن أو المعتقلات أو بالمحاكمات ، ثم الإفراج عنهم بحيث يكون الإفراج عنهم على دفعات. مع عمل الدعاية اللازمة لكى تنتشر أنباء العفو عنهم ليكون ذلك سلاحا يمكن استعماله ضدهم من جديد فى حالة الرغبة فى إعادة اعتقالهم.

وإذا أحسن تنفيذ هذه المرحلة مع المرحلة السابقة فستكون النتائج كما يلى :-

١- يخرج المعفو عنه إلى الحياة فإن كان طالبا فقد تأخر عن أقرانه ،

ويمكن أن يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه.

٢- إن كان موظفا أو عاملا فقد تقدم زملاؤه وترقوا وهو قابع مكانه.

٣- إن كان تاجرا فقد أفلست تجارته ، ويمكن أن يحرم من مزاولة تجارته.

٤- إن كان مزارعا فلن يجد أرضا يزرعها حيث وقعت تحت الحراسة أو صدر قرار استيلاء عليها.

وسوف تشترك الفئات المعفو عنها جميعا فى الآتى :

١- الضعف الجسمانى والصحى والسعى المستمر خلف العلاج والشعور المستمر بالضعف المانع من أى مقاومة.

٢- الشعور العميق بالنكبات التى جرتها عليهم دعوة الإخوان وكراهية الفكرة والنقمة عليها.

٣- انعدام ثقة كل منهم فى الآخر ، وهى نقطة لها أهميتها فى انعزالهم عن المجتمع وانطوائهم على أنفسهم.

٤- خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعى أعلى إلى مستوى اجتماعى أدنى نتيجة لعوامل الإفقار التى أحاطت بهم.

٥- تمرد نسائهم وثورتهن على تقاليدهم ، وفى هذا إذلال فكرى ومعنوى لكون النساء فى بيوتهن يخالف سلوكهن أفكارهم ، ونظرا للضعف الجسمانى والمادى لا يمكنهم الاعتراض.

٦- كثرة الديون عليهم نتيجة لتوقف إيراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم.

النتائج الإيجابية لهذه السياسة هى :

١- الضباط والجنود الذين يقومون بتنفيذ هذه السياسة سواء من الجيش أو البوليس سيعتبرون فئة جديدة ارتبط مصيرها بمصير

هـذا الحكـم القـائم حيـث يستشـعرون عقـب التنفيـذ أنهـم أى الضباط والجنود فى حاجة إلى نظام الحكم القائم ليحميه من أى عمل انتقامى قد يقوم به الإخوان للثأر.

٢- إثارة الرعب فى نفس كل من تسول له نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم.

٣- وجود الشعور الدائم بأن المخابرات تشعر بكل صغيرة وكبيرة وأن المعارضين لن يستتروا وسيكون مصيرهم أسوأ مصير.

٤- محو فكرة ارتباط السياسة بالدين.

انتهى ويعرض على السيد الرئيس جمال عبد الناصر

إمضــــاء

السيد/ رئيس مجلس الوزراء

السيد/ قائد المخابرات

السيد/ قائد المباحث الجنائية العسكرية

السيد/ مدير المباحث العامة

السيد/ شمس بدران

أوافق على اقتراحات اللجنة

جمال عبد الناصر ..

ذلك هو التخطيط للقضاء على الإخوان المسلمين فهل نجح الواهمون فى كيدهم ؟

لقد استخدموا كل الأساليب الشيطانية وجمعوا كل الفرق ودربوها على تفعيل هذا التقرير على مدار نصف قرن من الزمان واستعانوا بكل الخبرات اليهودية والصليبية فهل نجحوا فى كيدهم وتمكنوا من القضاء على الإخوان ؟؟.. أعتقد أن الإجابة أصبحت أوضح من ذى قبل... لقد زاد عدد الإخوان وانتشروا فى أنحاء الأرض وأصبحت دعوتهم عالمية بفضل هذا التقرير ، فأين الذين وضعوه الآن؟ أما نحن فنقول : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(1)، ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾(2).

(1) سورة آل عمران الآية ١٧٣.

(2) سورة إبراهيم الآية ١٢ .

سجن أبو زعبل

بُني هذا السجن حديثاً ، وافتتحه الإخوان في سنة ١٩٦٥م ، وهو عبارة عن مبنى مستطيل، مكون من جناحين، ينحصر بينهما فناء أرضي من البلاط الأبيض، ويرتفع عن الأرض بثلاثة طوابق.

ويتصل الجناحان فى الطابق الثانى والثالث بممرات هوائية يطلقون عليها الكباري وسقف هذا الفناء فى نهاية الدور الثالث مكون من قضبان حديدية، تحول دون الهروب عن طريق سطح السجن وهذا الفناء كان يطلق عليه « المحمصة » ، لأن نسبة كبيرة من حالات التعذيب تتم فيه ، حيث يعلق الضحايا وهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم ، على شبكة من القضبان الحديدية توجد على الجانب الأيسر عند الدخول، ويوجد فى خارج هذا المبنى مجموعة من الحجرات، لم أتبينها لأن الذاهب إليها للتحقيق يؤخذ معصوب العينين.

هذا السجن كان تحت قيادة وزارة الداخلية وقائده المباشر أحمد رشدي الذى أصبح فيما بعد وزيرا للداخلية، ولأن الحرب على الإسلام فى سنة ١٩٦٥م كانت شاملة ، وخاصة بعد صدور قرار « اعتقال كل من سبق اعتقاله » فكنت ترى أن الداخل فى هذا السجن إما أفراداً أو جماعات مثل جماعة أنصار السنة والجمعية الشرعية وجماعة التبليغ ، ويمكنك أن تعرف هوية الداخلين من ملابسهم ، كالعمامة عند الجمعية الشرعية ذات العذبة الخلفية.

▪ وقامت القيامة:

ويحكى لى أحد هؤلاء ، بعد أن هدأت الأمور وانتهت التحقيقات ، وكان هذا الرجل طيباً وأبعاده محدودة ، ولا يعرف من الأمور السياسية لا القليل ولا الكثير ولا لماذا اعتقل؟ ولم يهيئ نفسه يوماً للاعتقال قال لى : « حينما دخلت من البوابة الرئيسية وجدت الرعب فى كل مكان، ووقعت عيناى على أناس معلقين على الحديد ، عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، يضربون بالعصى الغليظة ، وصراخهم يدوى فى أركان الفناء ... حينما رأيت هذا المنظر كاد يغمى علىّ ، وخفت على نفسى ، وخطر ببالى أن هذا المشهد ربما لا يكون فى الدنيا ، لأننى لا أتصور أن يكون هناك زبانية فى الدنيا يعذبون الناس بهذه الطريقة ، فظننت أن القيامة قد قامت ، وأن هذا المشهد ربما يكون الحساب الأخير ، فأخذت أهذى ببعض الكلمات، ثم نطقت بالشهادتين » .

ولما هدأ روعه بعد أن وصف المشهد قلت له : « أتعرف أننى كنت معلقاً ضمن هؤلاء الذين رأيتهم؟ » فنظر إلى الرجل متعجباً !!! ثم قال : « أو أنت حى بيننا ؟ » قلت له : « أشرفت على الموت ، ولكن الله حفظنى ونجانى » ، فربت على كتفى ، وظلت نظراته تتابعنى طوال فترة وجودى معه بالحجرة التى لم تدم طويلاً...

▪ فؤاد علام يعذبنى:

هذا المشهد فى فناء السجن « المحمصة » كان عادياً، فالتعذيب فيه ليس بقصد التحقيق، ولكن تلك الصورة كانت لتحطيم الأعصاب وبث الرعب فى قلوب جميع المعتقلين، حتى ينهاروا قبل التحقيق معهم، ولقد كنت أحد المعلقين على هذه الأعواد الحديدية معظم النهار، ثم يذهبون بى

ليلاً إلى مكاتب التحقيق، وذلك لمدة تزيد عن الأسبوعين، وفى أثناء التحقيق كنت أعلق بطريقة أخرى، حيث أحمل على قضيب حديدى يوضع طرفاه على كرسيين، ويمر هذا القضيب بين اليدين المكبلتين بالحديد، وبين ساقى، وأنا جالس القرفصاء، ثم أرفع عن الأرض معلقاً، ويبدأ الضرب على جسدى العارى، ولما طالت المدة فقد جسمى كل أسباب المقاومة، وحتى أسباب البقاء فى الحياة، وبدأت أدخل فى طور الغيبوبة التى أفضت إلى النوم لحظات، وأنا بين أيديهم حينما أنزلونى على الأرض.

وفى أثناء هذه الغفوة استشعرت وكأننى فى رؤية أرى فيها نهاية آلامى ثم أصحوا على عصا قوية تدغدغ جسدى، وأسمع من يقول: « ألا تريد أن تريح نفسك وتتكلم؟!! خذوه، وارموه فى الشوك خارج المكاتب» ، وعلمت حينئذ أن ما رأيته منذ لحظة كان حقيقة وبشرى بانتهاء تعذيبى، ورحبت جداً فى نفسى أن ألقى فى الشوك وجسدى عار، ففى هذا راحة لى .. لأنه نهاية آلامى.

وحينما صعدت إلى مكانى الذى تركته منذ أسبوعين، أفسح لى الإخوان مكاناً بجوار الحائط حتى أستريح، ولا يلمس جسدى المجروح أحد من الموجودين، ثم سألنى الأخ شكرى رباح عن اسمى، وكان معى قبل ذلك فى السجن عشر سنوات ، فقلت له : « يا أخ شكري أنا محمود حامد ، وتعجبت من هذا السؤال ، « هل التعذيب غير ملامحى لهذا الحد؟! » ولما سمع الأخ شكري اسمى استمر فى البكاء...

وفى فترة الأسبوعين كان يسمح لى ، مع المعذبين بعد التحقيقات أن ننام فى الفناء على البلاط ، حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وبمجرد النداء علينا بالنوم وبالأمر فإننا نقع على الأرض سريعاً من التعب

ونستغرق فى النوم فى لحظات، فلم نكن حينئذ فى حاجة للأمر بالنوم.

وكان بجوارى على البلاط فى إحدى الليالى الدكتور أحمد الملط فقلت له هامساً : « ألا يتأثر جسمنا بالبرد ونحن ننام على البلاط ؟! » فقال لى : « يا أخى أنت تحسبها بالطب والمقاييس الأرضية ، ونحن فى وضعنا تتغير الحسابات لصالحنا ولا تخشى البرد ، فجسمك أبرد من البلاط .. » كلمات تناولناها فى ثوان، ثم غلبنا النوم وصرنا فى حفظ الله وبين يديه حتى الصباح ، ليبدأوا معنا جولة جديدة، وقد بدأوا بالضرب العنيف على جسمى العارى، وأنا معصوب العينين، ولا أرى شيئاً، وأجرى فى كل مكان هرباً من الضرب على غير هدى، ولما كان اتجاهى فى أحد المرات نحو عمود خرسانى ، بينى وبينه أمتار اشتد الضرب على ، فأسرعت بالهرب لأصطدم بالعمود الخرسانى، ونزل الدم من فمى، والجلادون يضحكون، وتحسست فمى فوجدت أن النابين الأمامين قد تدليا، وانكسرا من جذرهما، لكنهما مازالا ملتصقين باللثة.

وكان بجوارى شاب ونحن وقوف لحظة هدوء الجلادين، هذا الشاب سمعت الجلاد يسأله عن اسمه، وعمله، وكان معصوب العينين مثلى، فقال له : « اسمى عصام محمود شكري ، طالب بكلية طب الأسنان ، بالسنة الأولى » ، وانتهزت وقوفه بجانبى، وسألته لعله يجيبنى فى أمر أنيابى التى انخلعت، وبالطبع هو فى السنة الأولى لا يفقه كثيراً عن طب الأسنان ، لكنه – على صغر سنه – نصحنى بأن أردهما مكانهما ، وأضغط عليهما بالفك السفلى، وبإذن الله الشافى سيتحسن وضعهما، ويعودا كما كانا، وفعلاً عادا، ولكن ليس كما كانا، لكننى ظللت أعيش بهما وأستعملهما بحذر منذ سنة ١٩٦٥ حتى بداية عام ٢٠٠٤ فقد تعبا وأديا دورهما وخلعهما لى طبيب أحبه فى الله ، وأحسبه طيباً ، ولا أذكى على الله.

والغريب أن ما حدث لي في سجن أبو زعبل كان محاولة من المباحث لتلفيق تهمة لي أنني خرجت من السجن، واتصلت بمجموعة شباب معظمهم من مصر الجديدة ، ونسبة كبيرة منهم تعمل في شركة مصر للطيران، كطيارين، ومضيفين، والحقيقة أنني لم أكن أعرف أحداً منهم على الإطلاق، ولكن الظروف جمعتني بهم في فرح زواج أحدهم، وتعرفوا هم علي، لأن ميولهم إسلامية، ومن الجائز أن بعضهم كان من الإخوان ولا أدري ، وقد قبض على عدد كبير من الشركة، وعذبوا ، وأودعوا سجن أبي زعبل.

- **الطيار عبد الرؤوف عبد الناصر:**

وأذكر أن واحداً منهم كان كبير الطيارين، وكان يقود طائرة جمال عبدالناصر ، ولكن المضحك في الأمر، أنه قبض على بعض الطيارين، ولم يكن لهم حتى علاقة بالإسلام، وقد جمعتني التنقلات في الحجرات بأحدهم، ووجدني صامتاً لا أتكلم، ولا أتعامل مع الموجودين في الحجرة إلا في الحدود الضيقة، وذلك لأني أعلم أن الإسهاب في الحديث حول كل ما يدور يمكن أن ينقل إلى المباحث، وأنا في غنى عن اللقاء بهم ثانية، بعد أن انتهيت من التحقيق، هذا الطيار كان اسمه عبد الرؤوف عبدالناصر وتقدم نحوي يسألني: « لماذا أنت صامت؟ » ولم ينتظر الإجابة ثم قال : « هل اعتقلت قبل ذلك ؟ » وكنت ألاحظ عليه القلق والاضطراب، وكثرة الكلام، وانتظار الإفراج كل دقيقة، فقلت له بهدوء : « نعم ، اعتقلت قبل ذلك »، فقال لي: « وكم سنة قضيتها في المعتقل ؟ » فقلت له : « قضيت في السجن عشر سنين » ، فتراجع الرجل للخلف ، وفتح فاه ، وجحظت عيناه ، ثم قال لي : « ماذا تقول؟ عشر سنين ؟!! » فقلت له :

« نعم » ، عندئذ قذف فى وجهى بطريقة ميدانية يتعامل بها الطيارون قائلاً : « أنت وحش ..!! » فتبسمت له ، فاستراح لى ثم قال : « صبرت عشر سنين ، ولم أستطع أنا الصبر عشرة أيام ؟! » وسكت طويلاً ثم قال لى : « على كل حال أنا عرفت ليه أنا جيت هنا » ، أنا لم أكن اصلى، بل لم أكن أعرف الله، وأنا هنا صليت ، وعرفت الله ، ((بس يخرجنى كفاية)) ، إنهم مغفلون لم أكن أصلى، ويقبض على لأننى من الإخوان المسلمين ؟! لقد انتظرونى عند باب الطائرة وأنا عائد بها من أوربا، وقالوا لى خمس دقائق فقط، وأنا فى الطريق بين أيديهم كنت أسائل نفسى: لم هذا ؟ هل قمت بتهريب شيء ؟! وأخذت أعدد كل المخالفات التى من أجلها يقبض على الناس مثلى، ولم يخطر ببالى مرة واحدة أننى مقبوض على من أجل الإخوان المسلمين، ودخلت بوابة كبيرة فى القلعة ، وخلفها وجدتهم ينتظروننى، وهم منظمون بعضهم يضرب فى الجزء الأعلى ، والبعض يضرب فى الجزء الأسفل من جسمى وحتى إذا ما انتبهت وأقول : « إيه... إيه... إنتم عاوزين إيه... كان كل شيء قد انتهى ، الكاب طار فى الهواء، وبدلة الطيران تفسخت وصرت بها بلهواناً بعد أن كنت طياراً » .

- **الحجرة رقم ٨ :**

جمعت إدارة السجن بعض الإخوان فى حجرة رقم « ٨ » فى الدور الثانى على أنهم من أشد المعارضين، وكان منهم الأستاذ محمد قطب والأخوان عبد الحليم خفاجي ، ورشدى عفيفي، وكان سكان هذه الحجرة – على الرغم من التضييق عليهم- من أسعد الإخوان، لأنهم كانوا على قلب رجل واحد، وبالرغم من أن عددهم كان كبيراً ، ولا تسعهم الحجرة فإنهم كانوا ينشدون ، ويهللون ، ويحصل من بعضهم النوادر المضحكة

« وشر البلايا ما يضحك » ، كان فى الحجرة رجل صعيدى اسمه هاشم واعتقل لأنه ابن عم الأخ حسن دوح وقابل العساكر بشهامة الصعايدة وغيرتهم على القرابة والعصبية، فأخذوه، ومر بمراحل انتهت به مع المعارضين فى حجرة « ٨ » ، لكنه كان حاضر النكتة، وظريف بلهجته الصعيدية إلى حد كبير ، ولست أدرى لماذا وضعوه مع المعارضين؟ طبعاً هاشم أصبح سياسياً كبيراً... كما يقول... وكان ينادى « يا ولد عم » ، على أى أخ فى الحجرة.

وعند النوم كان نظام الحجرة لا يسمح لأى معتقل أن ينام على ظهره، لأنه سيأخذ مساحة كبيرة، وإنما النوم على الجانب الأيمن أو الأيسر فقط، وفى إحدى الليالى دخل عليهم ضيف جديد، نحيل الجسم، خفيف الوزن اسمه إبراهيم معوض ولم يكن يعرف قوانين النوم، فنام على ظهره وضاقت الحجرة ، لأنه استحوذ منها على عدة سنتيمترات ، ولم يجد هاشم مكانا له ينام فيه ، وبعد أن هدأ الجميع وأطفأت الأنوار استعداداً للنوم، نطق هاشم بالصعيدية : « يا ليلة مش فايته – دا حتى الراجل الجديد نام على ظهره » ، لكن هاشم انحشر فى النهاية بينهم ، فتحركت الموجه من أول هاشم حتى وصلت إلى إبراهيم معوض الذى طفى على السطح معلقاً بين اثنين ، لأنه كان نحيلا ، خفيفا ... وينادى : « أرجوكم تنزلونى على الأرض » ويضحك الجميع ويذهب النوم عنهم ... وهكذا مرت بهم الأيام والأخ عبد الحليم خفاجي يقود جماعة المرح ، والأدب ، والشعر داخل الحجرة التى انقطعت عنها الأسباب الأرضية.

ولما انتهت التحقيقات ، وهدأت الأمور نوعاً ما ظن أحمد رشدى الذى أشرف على التحقيق معى أنه قائد المعتقل ، وقائد تحقيقات ، وله حرية التصرف فجمع المعتقلين على الأرض ، وجلس هو على كرسى

أمامهم ثم قال : « لقد انتهت التحقيقات ، ورحل من ثبتت عليه الإدانة ، ليحاكم أمام القضاء [1] ، أما أنتم فقد نالكم الأذى ، ونحن كنا مضطرين لذلك ، حتى يظهر المسيء ولن ينالكم أذى بعد ذلك » ، هذا التصريح أخرجه عن الخط المرسوم له ، والحد الذى عنده يتوقف .

وكان لابد أن يعنفوه .. وظل قابعا ولا يخرج علينا ولا نراه لمدة أيام ، لأن سياسة المباحث مبنية على الإهانة المستمرة للمعتقلين ، وتحطم كل أمل لهم فى الراحة ، أو الخروج من المعتقل .

بعدها بفترة غادر أحمد رشدى المعتقل وحل محله قيادة أخرى، وكان أبرز الضباط فى القيادة الجديدة هو الضابط عبد العال سلومة الذى كان له دور سابق مع الإخوان فى حادث طرة، وفى الإساءة إلى الإخوان فى القناطر الخيرية ، ثم فى الواحات الخارجية، ثم بعد ذلك فى معتقل طرة ، هذا الضابط كانت هوايته جمع التأييد لعبد الناصر ومكتوب بالدم فى بعض الأحيان، ليزداد قرباً من قيادات السلطة، ولكن هيهات، فالصراع على السلطة عنيف .

ولا يترك لأمثال هؤلاء الصغار المتسلقين ثغرة ينفذون منها، لأن الطريق مزدحم بأمثالهم، وقد سبقوهم، وظل يحاول ويحاول، حتى ابتلاه الله بالمرض، ومات وحيدا، بعد أن قدم الكثير لأركان السلطة وما نفعه أحد منهم.

(١) كانت الأحكام فى سنة ١٩٦٥م تكتب فى السجلات ويدون بجانبها (يحول إلى المعتقل بعد قضاء مدة السجن.

• محاكمة من نوع جديد:

وفي إحدى الليالي جهز لمعركة يقودها لتأييد عبد الناصر فنصب الميكرفون وأخرج الإخوان من الحجرات في أدوارهم ويطلون وهم في أدوارهم على الفناء المملوء بالمؤيدين، والمتشنجين، الذين يصرخون في تأييدهم دليل على ولائهم، ونودي على بعض الشخصيات الظاهرة للمثول أمام محكمة سلومة التي أعد لها عناصرها أمام الميكرفون ، ومن حوله الكوادر التي ستوجه التهم، باعتبارها محاكمة سياسية بلا قانون ولا قضاء، وهناك من العناصر المتشنجة – كما قلت– المستعدون للتهريج والانقضاض على أي صاحب رأي لا يؤيد عبد الناصر ،وقد حدث هذا مع الأستاذ محمد قطب والأستاذ صالح أبو رقيق الذي وقف ليرد على تهمة اتصال الإخوان بالإنجليز ، وقد أعطاه عبد العال سلومة الميكرفون ، ظناً منه أنه سيسير في خط الطعن في الإخوان ، لكنه خيب ظنه وقال: « أنا شاهد على هذه الواقعة، كنت طرفاً فيها، حيث اتصل الإنجليز بالإخوان يريدون التفاوض معهم باعتبارهم الكتلة الشعبية المؤثرة .

وأخبر الإخوان عبد الناصر بما حدث ، وأنهم سيكونون قوة يسندون ظهره في المفاوضات المقبلة ، فوافق وطلب من الإخوان أن يسايروا الإنجليز في خطة المفاوضات ، لكن شهوة الحكم كانت تدفعه دائماً للخداع ، فالبرغم من أن الإخوان استشاروه ، ووافق على المفاوضات إلا أنه دفع بالعملاء أن يصوروا دخول الإخوان السفارة البريطانية وخروجهم منها، وفي اليوم الثاني نشرت هذه الصور في الجرائد ، دليلاً على خيانة الإخوان باتصالهم بالإنجليز المحتلين أعداء الشعب المصري وهذه المحاولات من التشويه سجلتها أجهزة الأمن في تقريرهم السابق كأسلوب من أساليب المواجهة » .

ثم فند الأستاذ منير الدلة قصة الأسلحة التى ضبطها عبد الناصر فى عزبة حسن العشماوى كدليل على خيانة الإخوان للثورة والاستعداد لمقاومتها ، فقال « أنا شاهد على ذلك ، وصديق للطرفين، فعند حريق القاهرة ، خاف عبد الناصر على نفسه فجمع ما بحوزته من أسلحة، وكانت كثيرة، وذهب بها إلى المستشار حسن العشماوي ليعينه فى إخفائها، وبعد أن وضعها بنفسه وأشرف على تخزينها فى عزبة حسن العشماوى عاد واختلف معه بعد ذلك – كرجل من قيادات الإخوان – وأمر أعوانه أن يضبطوا هذه الأسلحة كدليل على نية الإخوان فى المقاومة » .

لكن المحاكمة لم تستمر لأن شهادة الشهود قلبت الموازين لصالح الإخوان ، فغضب عبد العال سلومة ودفع بالمهرجين ليهتفوا ضد الإخوان حتى إذا ما علا صراخهم وقف فى زهو أمام الميكرفون ثم قال : « أنا سعيد بما رأيت من صور الإخلاص لعبد الناصر ، وأدعو العناصر التى لا زالت على موقفها أن تسير فى ركب التأييد الذى لا مفر منه » .

▪ نكسة ١٩٦٧م:

وبعد مهرجان التأييد بالدم بفترة حدثت نكسة ١٩٦٧م، وفى أول النهار كانت البلاغات الحربية بالانتصار تعزز فى نفس سلومة ومن ورائه المغفلين الزهو، والغرور، والنظر إلينا بروح العداء والانتقام – باعتبارنا متخلفين عن ركب الانتصار والتقدم – وما أن مالت الشمس نحو المغيب حتى توارى الضباط ومعهم سلومة عن الأنظار وبدأنا نتساءل: « ما الخبر ؟ » ولا أحد يجيبنا ، وبدأت تتسلل إلينا أخبار غير التى نسمعها فى الإذاعة، وكنا نحس بالألم لأن جيشنا يندحر ، ولأن وطننا يتقلص ، ونحن من وراء الجدران لا نملك شيئا ، فطلبنا أن يسمح لنا بالخروج من المعتقل إلى

الصفوف الأمامية فى القتال ، وأن نعود إلى المعتقل ثانية بعد أن تنتهى المعارك ويمن الله علينا بالنصر، ولأن هؤلاء المنهزمين القابضين على السلطة لا يحبون أن يكون هناك نصر على أيدينا، حتى ولو كان ضئيلاً، وهزيمة الوطن عندهم أخف وطأة من رؤيتنا نتقدم صفوف القتال ، ونحرز أى نصر على اليهود، فقد رفض طلبنا، ونما إلى علمنا أنه من المحتمل أن تقوم الطائرات الإسرائيلية بضرب سجن أبى زعبل لأن فيه الإخوان، أشد أعدائهم، خاصة وأن الطائرات بالفعل تحوم حول السجن، وتضرب فى منشآت الإذاعة فما المانع ولو عن طريق الخطأ أن تصوب الطائرات قذائفها نحونا، وهؤلاء الجلادون لا يعبأون بنا ولا يريدون أن يفكوا أسرنا والطائرات من حولنا.. لكن الله حمانا بأمر آخر ، فقد قبض على مجموعة من اليهود فى مصر فى اليوم الأول من المعركة، وجاءوا بهم إلى سجن أبى زعبل ، وأنزلونا من الدور الثالث، ووضعوا اليهود فيه وقد أصبحوا أقرب إلى الطيران منا، وكنا نرى بعضهم يلوح بيده للطائرات الإسرائيلية ، وصار تواجدهم فى السجن وفى أعلى الطوابق ساتراً لنا من الصواريخ الإسرائيلية.

وبعد أيام وفى جو الهزيمة سمح لليهود بالزيارة، وبعد ذلك دخلت لهم الطرود القادمة من الخارج، ونظرنا إلى الضباط وكأننا نريد أن نقول شيئاً لأن الأمر لا يحتاج إلى تعليق، فقال أحدهم : « لعل وجود اليهود يكون فرجاً عليكم ويصرح لكم بالزيارة مثلهم وتعاملون معاملة طيبة » .

- **الضابط الإنسان:**

ولا أنسى ولا ينسى أى معتقل فى هذا السجن مواقف متباينة لضابطين، أحدهما الضابط عثمان الجندى – ولم يكن من ضباط التحقيق ولكنه كان مأمورا بمعاملتنا معاملة سيئة ، لأن قانون التعامل فى هذا السجن

الإهانة ، والضرب.. وحتى الموت – فبالرغم من هذه القوانين إلا أنه كان إنسانا، ينفذها بطريقة ظاهرها العذاب وباطنها الرحمة ، وكنا نقول جميعا : « إنه ابن ناس .. » أما الضابط الثانى من ضباط التحقيق اسمه فؤاد علام الذى تولى التحقيق معى ، بدأت شهرته من سجن أبى زعبل سنة ١٩٦٥ حيث تستطيع أن تقول أن كل وسائل التعذيب استخدمها، لأنه كان يريد الوصول بأسرع ما يمكن، وظل فى ميدان التعذيب، وفى كل مراحل الاعتقال يؤدى هذا الدور بكفاءة ، ونصب عينيه أن يكون وزيراً للداخلية، ولكن قائده فى سجن أبى زعبل أحمد رشدى قد أصبح وزيراً للداخلية وعزله من إدارة مباحث أمن الدولة، فظل يصارع ويبحث عن دور أو مكان بين الديناصورات ولكن هيهات.. وقصته فى التعذيب طويلة لكن حسابه عند الله أطول، وأنا شاهد أمام الله وخصمه يوم القيامة لأنه هو الذى قام بكل الأدوار فى تعذيبى، وقام بمثلها وأكثر منها مع كثير من الإخوان، ودم الشهيد كمال السنانيرى - الذى قال عنه أنه انتحر - سيكون لعنة عليه قريباً ، ولن يستطيع الإنكار أو الإفلات.

الفصل العاشر

خط النهاية

سجن مزرعة طرة

هذا السجن فى الأصل كان مخصصاً للمحكوم عليهم فى قضايا المخدرات، ومنذ سنة ١٩٦٥م وحتى الآن أصبح مكاناً للسياسيين، وخاصة التيار الإسلامى، وشغل الإخوان المسلمون منه حيزاً كبيراً من ناحية الزمان، والمكان.

فقد امتلأ عن آخره بالإخوان سنة ١٩٦٥م، وضاقت فراغاته بأعدادهم الكبيرة، وهذا السجن مكون من أربعة عنابر ، وكل عنبر مكون من دور واحد واستقبل فى هذه الفترة كل من انتهى التحقيق معه ولم يدخل فى أحد القضايا، وكان هذا السجن تابعاً لجهاز أمن الدولة ، ويحول عليه المعتقلين من سجون أخرى كسجن أبى زعبل وسجن القلعة وسجن الفيوم .

ورحل إليه جميع الإخوان الموجودون فى سجن أبى زعبل بعد فترة استمرت حتى ما بعد سنة ١٩٦٧م. وهذا المعتقل شهد أحداثاً كثيرة، كان لها تأثير فى التحولات الفكرية، والسياسية بين المعتقلين من جانب، وبين أجهزة الدولة وقياداتها من جانب آخر.

اليهود معنا:

فى أثناء حرب سنة ١٩٦٧م اعتقل مجموعة من اليهود معنا فى أبى زعبل ثم رحلوا إلى معتقل مزرعة طرة ، وتعايش الإخوان معهم فترة من الزمن خاصة فى فناء المعتقل ، وكان اليهود يعاملون معاملة خاصة، فتأتيهم الزيارات بكل حرية ، وتلبى طلباتهم وتصلهم الأطعمة، ويتسلمون الطرود الآتية من خارج مصر، ثم فى النهاية سمح لهم بالخروج من المعتقل مباشرة

إلى أى جهة يريدونها ، فكانوا يرحبون بالسفر إلى فرنسا وكنا ننظر إلى هذه المعاملة ونطالب بمثلها، فنحن مسلمون ومن أبناء الوطن، وهم يهود ، أعداؤنا- فكيف يعامل اليهود معاملة حسنة ونعامل نحن معاملة سيئة ؟!! وكنا شهوداً على هذه التفرقة ونحن فى مكان واحد، ونُذَكِّر إدارة السجن بهذا، ونقول لهم : « إذا كان لليهود دولة وأعوان فى مصر يسألون عنهم، فمن يسأل عنا نحن المسلمين .. نحن المصريين ؟؟ » حتى قال لهم أحد الإخوان : « اعتبرونى يهودياً !» فقالوا : « لكنك لست يهودياً » ، قال لهم : « اعتبرونى مصرياً أرغب فى السفر إلى الخارج مثل اليهود ، ولن أركب طائرة .. لكن ألقوا بى على الحدود ، أو فى البحر، ودعونى أنجو منكم » .

المنافسة القذرة:

كانت سنة ١٩٦٥م مباراة قوية فى تعذيب الإخوان، وتلفيق التهم لهم، بين المباحث الجنائية العسكرية التابعة للمشير عبدالحكيم عامر ، وبين مباحث أمن الدولة التابع لوزارة الداخلية، وكل طرف يريد أن يكون له الحظوة عند جمال عبد الناصر بأنه اكتشف مؤامرة ضد الرئيس، وقد استمرت هذه المباراة وقتاً طويلاً ، حتى فنيت كل الكرابيج وتكسرت كل العصى فى مصر ، وشرب كل الزبانية والمعتوهين والمتجبرين من دماء الضحية.

وفى النهاية رجحت كفة المباحث العسكرية ، واكتشفت المؤامرة لأنه جهاز تابع للمشير عبد الحكيم عامر حبيب الرئيس. وأصرت مباحث أمن الدولة من جانبها أن تكتشف المؤامرة مرة أخرى أو حتى مؤامرة غيرها فكلها مؤامرات ضد الرئيس ، واستمر التعذيب حتى مع النساء، وكان الشيوعيون ومن ورائهم الاتحاد السوفيتى يدفع بالمعركة مع الرجعية، حتى

تصفى تماماً ، ويؤول الأمر فى النهاية إلى طبقة « البرولوتاريا » طبقة الكادحين .

هذه الصورة من الحماقة والاستهزاء بالآدمية دفعت بعض الشباب أن يقول ماذا يحدث ؟؟ لم كل هذا الظلم؟؟ لماذا يتسم هؤلاء بهذه الصورة من الوحشية؟؟ لماذا يعذبوننا ونحن مسلمون أبرياء؟؟ أسئلة فى عقل بعض الشباب، لا إجابة عليها إلا من أفواه الأجهزة المتصارعة، والتى تعلن أنها تحافظ على أمن الدولة- ويستمر التساؤل، هؤلاء الذين يعذبوننا، ويشربون من دمائنا ألا يرحموننا ؟ ألا يعقلون ؟ أهؤلاء مسلمون ؟! كلا إن الذى يفعل هذا بالمسلمين ليس بمسلم!!!

واستمر الصراع الذهنى والتسلسل فى الحجج والبراهين، حتى ظهرت فكرة تكفير الحاكم، وكل الذين يعاونونه، ويقفون معه، ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴾(١) ظهر هذا الفكر وانتشر بين مجموعة من الشباب، وانعزلوا عن الإخوان ، بل إن بعضهم كان يكفر الإخوان ، ويستحل دمهم لأن الإخوان لم يوافقوا على هذا الفكر، الذى لا طائل من ورائه، فهب أننا حكمنا على بعض الناس بالكفر فماذا بعد ذلك؟ وما قيمة هذا الحكم؟ إن كان صحيحاً.

نحن لسنا دولة ولا نملك إمكانيات تنفيذ هذا الحكم، فلماذا إذن نضيع وقتنا فى قضية ليست محسومة، وليس من ورائها سوى التشكيك والتناحر والفرقة؟ ومهمتنا الأساسية ليست الحكم على الناس، وإنما مهمتنا الأساسية « هى دعوة الناس والأخذ بأيديهم » ، وهذا ما فعله حسن البنا حين بدأ دعوته فى الإسماعيلية وذهب إلى المقاهى وحببهم فى الإسلام ،

(١) سورة القصص الآية ٨.

فانتهوا عما يخالف الإسلام، ولو حكم حتى على أعمالهم بالخطأ لتركوه، وعادوه.

دعاة لا قضاه :

ومن هنا ظهر كتاب « دعاة لا قضاة » ولأن الإخوان على مدار تاريخهم يحبون الاعتدال في القول والعمل والسلوك، ويرغبون الناس في الإسلام بكل السبل المشروعة والمحببة، فإن عامتهم رفض هذا الفكر وسرنا وراء الحبيب المصطفى ﷺ نهتدي بهديه « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » فهذا العسكري الغليظ في ملامحه، والذي اختاروه جاهلاً تماماً ، ووضعوا في يده كرباج السلطة على مهندسي الدولة وعلمائها، ثم صرفوا له « علاوة إجرام » ماذا تنتظر منه ؟؟ إنه يحتاج فقط إلى من يستأنسه لا أن يحكم عليه .

كان الأستاذ المرشد « حسن الهضيبي » موجوداً معنا والقضية ساخنة تمسنا جميعاً ، وتداول معه بعض الإخوان في هذا الفكر الذي لو سرنا فيه لهلكنا جميعاً ، وانحرف خط الجماعة عن الطريق السليم ، الذي ارتضاه الله لنا ورسول الله ﷺ وسار عليه إمامنا حسن البنا من قبل ، ولو سكتنا عنه فإن نار الفتنة ستحرقنا ، واستقر الأمر على ظهور كتاب دعاة لا قضاة ساعد بعض الإخوان على إخراجه مع الأستاذ المرشد وكان الأستاذ مأمون الهضيبي له دور كبير في الإخراج بحكم أنه ابن الأستاذ حسن الهضيبي وملازم له لكبر سنه.

هذا الشباب الذي اعتنق فكر التكفير كان على رأسهم شكري مصطفى، ولأنه فكر متطرف فقد سمح للعقل فيه أن ينتج ويستنبط بلا ضابط، وأن يبتكر قضايا ويدعمها ويسوق الحجج والبراهين، ويرتب أحكاماً

على قضايا ليست موجودة إلا فى العقول التى تجنح إلى التطرف، حتى إن هؤلاء الشباب كفر بعضهم البعض على الصغيرة واشتد الخلاف بينهم وتفرقوا إلى جماعات ، وكل جماعة لها رائدها ، وفكرها ، تصلى وحدها بأذان لها ، وقد تتكون الجماعة من فردين أو ثلاثة وقد ذهب بعضهم فى المغالاة إلى حد الهوس أو قتل المخالفين مثل سعيد البواب الذى أقدم على هذا وساءت حالته وصار نزيل مستشفى الأمراض العقلية بالخانكة منذ أكثر من ثلاثين عاماً. وهذه الصورة تدعونا دائماً ألا نغالى فى أى أمر من أمور حياتنا وديننا ، « **فإن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه** » .

هكذا عبر رسول الله ﷺ عن الملة السمحاء وهكذا دعانا القرآن إلى الرفق بالناس ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [1] وما خير رسول ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، والذى ينطق بالشهادتين ولا يعرف مقتضاهما يحتاج منا إلى أن نأخذ بيده ونترفق به حتى يهديه الله إلى الطريق الصحيح.

الأستاذ/ حسن الهضيبى

الأستاذ / مامون حسن الهضيبي

(١) سورة النحل الآية ١٢٥.

على أثر هذه الأفكار وما نتج عنها من مشاحنات دخلت إدارة السجن مع المباحث على الخط ، كطرف له مصلحة فى تعميق هذه الخلافات، ودفعها فى الاتجاه الذى يجعل الأطراف تصفى بعضها بعضاً ، ولكى يتحقق ما تريده المباحث عزلت هؤلاء الشباب فى مكان واحد فى العنبر الثانى من السجن، ودعمت خطتها بوضع الأستاذ محمد قطب مع هذه المجموعة فى مكان واحد لكى يأخذ الجدل حقه، خاصة وأن الأستاذ محمد وريث لأخيه المرحوم الأستاذ سيد قطب فى أفكاره ونظرياته – علماً بأن الأستاذ محمد قطب - وأنا كنت قريب الصلة به - لم يكن مع هؤلاء الشباب فى اجتهاداتهم وطريقتهم فى التعامل على أساس نظرية التكفير بل كان الرجل فقط يؤمن أن يتحدد موقف كل فرد فى المجتمع على أساس علاقته بالله، ومدى تسليمه لله بالحاكمية، ليسهل مخاطبته ودعوته، لا على أساس الحكم عليه وذلك كما هو موجود فى ميراث الأستاذ سيد قطب من كتاب « معالم فى الطريق » وإذا كان البعض قد انتزع بعض العبارات من سياقها، وأضفى عليها الصفة القضائية فى الحكم على الناس، فهذا خطأ فى الاستدلال ، فأنا شخصياً جالست الأستاذ سيد قطب مرات وسمعت منه مرات داخل السجن وخارجه فوجدته رجل دعوة من الطراز الأول ، والفرق بينه وبين غيره من الدعاة أنه لا يأخذ بالحلول الوسط وأن الرؤيا عنده واضحة لأن معالم الطريق عنده بارزة ، يهتدى بها وهو يدعو إلى الله ، فهو إيجابى مع نفسه ومع الله، وفيما يلى سألخص وجهة نظره فى نقاط كما وضحها فى كتابه عن « حاكمية الله للكون » ، ومنها بعض العبارات وبعض النقاط منقولة من نص الكتاب :

** بعد أن فشلت البشرية على مر تاريخها فى نظمها الوطنية ، والقومية ، والفردية ، والجماعية ، فقد آن للإسلام أن يأخذ دوره ويتسلم القيادة.

** ونطمئن الناس بأن الإسلام لا يتنكر للإبداع المادى الذى وصلت إليه العقول فى الغرب، لأن العمل فى الحقل المادى والإبداع فيه من وظائف الإنسان الأولى، منذ أن عهد الله إليه بالخلافة فى الأرض وإعمارها ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾(1).

** لكن الإسلام لا يستطيع أن يؤدى دوره فى قيادة البشرية، إلا إذا تمثل فى مجتمع، لأن الفرد وحده لا يستطيع أن يجابه كل هذا الركام من جاهلية الأنظمة ، والتى أبعدت الناس عن الله، وقهرتهم بالعداوات، والحروب.

** هذا المجتمع هو « الأمة الإسلامية » التى ستتسلم القيادة من هذه الأنظمة التى اعتدت على سلطان الله فى الأرض ، وأسندت الحاكمية إلى البشر ، والله خالق البشر ويعلم ما يصلحهم، فتشريع الله أحق أن يتبع.

** هذا التعدى فى التشريع والحاكمية جعل الناس يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً بنص القرآن وتجربتنا البشرية فى تقنين الطبقات، فنشأ الظلم والتعدى على عباد الله ، والله وحده هو العادل فى تشريعه والمنزه عن

(1) سورة البقرة الآية ٣٠.

الظلم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ؟؟[1] ليس ببعيد عنا تجربة الإمبراطورية الرومانية، التى كانت تقوم على القهر فى تقسيم المجتمع إلى طبقة الأشراف، وطبقة العبيد أى سيادة الجنس الرومانى وعبودية سائر الأجناس ، وورث هذه الإمبراطورية إمبراطوريات حديثة، إنجليزية، وفرنسية، وأسبانية، وبرتغالية، وغيرها من الإمبراطوريات التى قامت على استغلال المستعمرات وسيادة الجنس الأوروبى .

وفى الطرف الشرقى من الكرة الأرضية قامت إمبراطورية الحقد بين الطبقات، وتحكمت فترة من الزمن طبقة الصعاليك « البرولوتاريا » .

كل هذه المجتمعات والإمبراطوريات قامت على أساس إبراز الصفات الحيوانية وتلبيتها، من طعام، وجنس وكل متاع الحياة الدنيا، أى أن التاريخ عندهم مادى جدلى ، قائم على الصراع الذى يدير حركة التاريخ، لذا فإن هذه النظرة أبعدت الناس عن غايتهم فى الحياة بأن يعيشوا فى سلام لتتحقق الرفاهية .

آن للإسلام أن يعدل هذه النظرة ويقود الناس تحت راية « لا إله إلا الله » بمفهوم أعدل ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [2]، ثم يعتلى قمة الإبداع المادى وهو يؤدى احتياجات الفطرة من الجوانب الروحية التى تمنع الصراعات، وتحول دون الصدامات ..

تلك هى نظرية الأستاذ سيد قطب فى الحاكمية.

---

(١) سورة الملك الآية ١٤.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣.

الأستاذ سيد قطب ... وهو ذاهب الى المحكمة

الشهيد سيد قطب ... إلى غرفة الإعدام

مدير المباحث

حضر إلى السجن مدير مباحث أمن الدولة اللواء حسن طلعت فى جولة تفقدية أو إن شئت فقل جولة شيطانية، يريد فيها أن يستفز القوم، ليتصيد أخطاء الكلام، ويوقد نار الفتنة حتى تقوم المعارك بيننا، ثم يرفع تقريراً ظالماً متحيزاً إلى أسياده، فينال حظوة عندهم، ويكون من المقربين وهذا هو الطريق الوحيد الذى يفسح له مكاناً فى زمرة المنتفعين، وفى مواكب السلطة، وجلس على الكرسى فى الفناء وأمامه المعتقلون جلوسا على الأرض.

وكان له ما أراد ، فحينما بدأ بالكلام، وأطلق لسانه يميناً ويساراً ، تصدى له طه السماوى الملقب بعبد الله السماوي ، وكان من الذين تشيعوا لشكرى مصطفى صاحب نظرية التكفير، ثم أخذ طريقاً خاصاً به ، وتبعه قليل منهم. وقف طه السماوي ليرد على حسن طلعت وقد تجهم وجه ، وجحظت عيناه ، ثم رفع صوته ويده نحوه قائلاً : « أنت كافر ورئيسك كافر، ولو أن لى بكم قوة لقطعتكم إرباً إرباً » عندئذ قام بعض الإخوان ليمنعوه من الكلام ، حتى لا يعطى الفرصة لهذا المتربص أن يبطش بنا، ويحول طاقة الشر نحونا من جديد ، بعد معارك السجن الحربي وسجن أبى زعبل وغيرها من سجون التعذيب ، وقد مر علينا بعدها فى الاعتقال ما يقرب من ست سنوات أوشكت جراحنا فيها أن تندمل ، لكن حسن طلعت وجد ضالته المنشودة ، فانتفض من على كرسيه يصرخ فينا أن اتركوه فهذا ما كنت أريد أن أسمعه ، ولكن السماوى أدرك ما يعنيه جميع المعتقلين فتوقف عن الكلام.

▪ القصاص العادل :

وخرج حسن طلعت من هذا اللقاء بانطباع نقله إلى القيادات العليا فى تقرير ظهرت نتائجه فى خطاب عبد الناصر ملخصه « إن هؤلاء القابعين خلف الجدران ، والذين لا يريدون أن يتطوروا ويسيروا مع الركب، هؤلاء يصعب التعامل معهم ، وسيظلون داخل الجدران ، ولن يروا الشارع مرة ثانية » .

لقد كان عبد الناصر واثقاً من كلامه وكأنه سيعيش دهراً يتمكن من رقابنا ، لكن أراد عبد الناصر أمراً وأراد الله أمراً آخر ، هل تتصور بعد هذا التقرير وهذا الخطاب يضرب حسن طلعت فى معقله وزارة الداخلية ، ويلقى به على الأرض ، فيتدحرج على السلم، ثم يقبض عليه أثناء الاستيلاء على الشرائط السرية التى كان يسجلها على كبراء الدولة مع شعراوى جمعة بعد أن تمكن أنور السادات من مراكز القوى.

هل كان يتصور حسن طلعت أو شعراوى جمعة أن يأتى هذا اليوم ويفعل بهم كما فعلوا بغيرهم ؟! الله عادل.. فكما حشدوا الناس فى ظلمات السجون، فإن الله سخر لهم من نكل بهم، وحملهم إلى مصيرهم المظلم، وهم لا يستطيعون، ولا يقوون عليه.

أما نحن فكان معناً إيماننا بقضيتنا ، وصبرنا على البلاء ابتغاء مرضاة الله، وابتغاء أن يكون فى ميزان حسناتنا يوم القيامة، فقضيتنا رابحة ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1]، هذا رصيدنا ، وهذا فهمنا للاعتقال

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٣.

والابتلاء ، ومن هذا الفهم نستمد الزاد ، ونقوى على المقاومة، وتمر الأيام علينا والسنون داخل السجن فلا نزداد إلا صبراً، ورضاً وتمسكاً بديننا، لأنه هو حبل الله المتين، نتعلق به ونترك الأسباب الأرضية، والعاقبة للمتقين... فأين هـم الآن؟؟ وأن نحن الآن ؟؟ الحمد لله رب العالمين، الله مولانا ولا مولى لهم، إنهم عبيد السلطة ، وقد زالت عنهم ، وعبيد الأرض وكراسى الحكم وقد تزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، وهوت بهم كراسيهم إلى مصير لا يحسدون عليه.

وفاة جمال عبد الناصر :

لم يكن أحد يتصور أن جمال عبد الناصر سيموت فجأة، وبهذه الطريقة، فهو الذى عبر فى مناسبات سابقة أنه باق فى المنطقة فترة طويلة، فكان يخفى مرضه عن أجهزة الإعلام ، ولما ذهب إلى المصحة فى « تسخا لطوبو » بالاتحاد السوفيتى طمأننا الإعلام بأنه فى صحة طيبة، وأنها مجرد تحاليل للاطمئنان على صحته، ومن كثرة ما تهدد وتوعد لكل المعارضين، فإنه بدا وكأنه كابوس زواله مستحيل فى تلك الفترة من حياة الأمة، وقد أكد هذا المعنى فى الخطابات الأخيرة، وخاصة ما هو موجه لنا نحن الإخوان المسلمين القابعين خلف الجدران، وكأنه ملك زمام الدنيا، ولا مفر لنا من أن نلقى مصيرنا داخل السجن، وقد عبر عن هذا والدى الرجل البسيط بقوله: « إن ابنى لن يخرج من السجن طالما عبد الناصر موجوداً »

لقد كانت حساباته هكذا، وحسابات التابعين، والمهزومين، وحلف المنتفعين لا يخرج عن هذا السياق، ونفس الصورة تتكرر الآن، ولا يتعظ أحد من التابعين والمتبوعين على مدار التاريخ، لأن الباطل يعمى هؤلاء، ولأن زخرف الحياة الدنيا ونعيمها يبعدهم عن الحق، ولا يرون من خلاله

والابتلاء ، ومن هذا الفهم نستمد الزاد ، ونقوى على المقاومة، وتمر الأيام علينا والسنون داخل السجن فلا نزداد إلا صبراً، ورضاً وتمسكاً بديننا، لأنه هو حبل الله المتين، نتعلق به ونترك الأسباب الأرضية، والعاقبة للمتقين... فأين هم الآن؟؟ وأن نحن الآن ؟؟ الحمد لله رب العالمين، الله مولانا ولا مولى لهم، إنهم عبيد السلطة ، وقد زالت عنهم ، وعبيد الأرض وكراسى الحكم وقد تزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، وهوت بهم كراسيهم إلى مصير لا يحسدون عليه.

وفاة جمال عبد الناصر :

لم يكن أحد يتصور أن جمال عبد الناصر سيموت فجأة، وبهذه الطريقة، فهو الذى عبر فى مناسبات سابقة أنه باق فى المنطقة فترة طويلة، فكان يخفى مرضه عن أجهزة الإعلام ، ولما ذهب إلى المصحة فى « تسخا لطوبو » بالاتحاد السوفيتى طمأننا الإعلام بأنه فى صحة طيبة، وأنها مجرد تحاليل للاطمئنان على صحته، ومن كثرة ما تهدد وتوعد لكل المعارضين، فإنه بدا وكأنه كابوس زواله مستحيل فى تلك الفترة من حياة الأمة، وقد أكد هذا المعنى فى الخطابات الأخيرة، وخاصة ما هو موجه لنا نحن الإخوان المسلمين القابعين خلف الجدران، وكأنه ملك زمام الدنيا، ولا مفر لنا من أن نلقى مصيرنا داخل السجن، وقد عبر عن هذا والدى الرجل البسيط بقوله: « إن ابنى لن يخرج من السجن طالما عبد الناصر موجوداً »

لقد كانت حساباته هكذا، وحسابات التابعين، والمهزومين، وحلف المنتفعين لا يخرج عن هذا السياق، ونفس الصورة تتكرر الآن، ولا يتعظ أحد من التابعين والمتبوعين على مدار التاريخ، لأن الباطل يعمى هؤلاء، ولأن زخرف الحياة الدنيا ونعيمها يبعدهم عن الحق، ولا يرون من خلاله

لقد أغلق عبد العال سلومة قائد معتقل طرة الباب على نفسه لمدة أيام لا يرى فيها أحدا من المعتقلين، ولا يصدر أوامره كالمعتاد، فهو مثل غيره متعلق بأذيال السلطة التى زالت، ولرب واحد من هؤلاء المعتقلين تكون له الكلمة يوما ما ، وقد ذهب عبد الناصر الذى كان يحول دون ذلك باعتباره الزعيم الأوحد ، وكان المعتقلون - والإخوان على وجه الخصوص - قد تحسسوا الخبر وعرفوه قبل أن يذاع على الناس، وذلك لطبيعة وجودهم فى معتقل سياسى، يتابعون، يحللون ، ويستنشقون الأخبار والتنبؤات.

وبدا الفرح على وجوه كثير من المعتقلين، يهنئون بعضهم بعضا، والعساكر تنقل هذه المشاهد إلى قائد المعتقل الذى حبس نفسه فى حجرته، والذى كان فى كل مراحل عمله لا هم له إلا إجبار المعتقلين - وخاصة الإخوان المسلمين - على تأييد عبد الناصر والضغط عليهم ، وإيذائهم من أجل هذه الغاية التى ينال بها شرف التقرب من السلطة - وسنعود فيما بعد بالحديث عن هذا الضابط لدوره البارز مع الإخوان فى خدمة أسياده - .

لقد مات عبد الناصر ، وتداعت الأحداث ، وظهر ما يعرف بمراكز القوى التى خدمت عبد الناصر فى كل مغامراته ، وتقف الآن فى وجه نائب رئيس الجمهورية أنور السادات الذى كان - على حد زعمهم - لا يؤبه له، ولا يخشى منه ، فقد ظل طوال فترة عبد الناصر فى الظل ، لم يظهر أبدا إلا عندما ولاه عبد الناصر نائبا عنه مؤقتاً ، حالما يعود من اجتماع فى الدار البيضاء ، لا خوف منه ، ونتصرف الآن إلى تسوية الأمور فيما بيننا ونجتمع على توزيع التركة ، حتى نتفرغ لإزاحة السادات.

لكن السادات كان على قدر من الذكاء ، والدهاء ، فقد استطاع أن يغافلهم ويعد نفسه، ويباغتهم قبل أن يجتمع أمرهم، فأزاحهم عن السلطة،

وجمعهم جميعا فى السجن، وقدم بعضهم للمحاكمة، وانتهى أمرهم، وبدأت العلاقة بين السادات والإخوان تنحوا نحوا مغايرا لما كان عليه عبدالناصر ، ولعله فى أثناء صراعه مع مراكز السلطة حاول - من طرف خفي- أن يجمع قلوب الإخوان نحوه وهم فى المعتقل، ثم أفرج عنهم على دفعات من معتقل طرة بعد أن أصبح الأمر بيده، ولما فرغ المعتقل من الإخوان جيء إليه بالإخوان المحكوم عليهم بأحكام كبيرة وكانوا موجودين فى سجن قنا تمهيدا للإفراج عنهم.

على الرغم من أن الإخوان كانوا هم الرواد الأوائل للسجون وهم الجمع الغفير الذى يشكل منظومة التواجد المستمر، منذ أوائل الخمسينات، فقد كان هناك تواجد محدود للشيوعيين، ثم اليهود، ثم أخيرا فى سجن معتقل طرة ما أطلق عليهم « النشاط المعادى » ، ومن الاسم تستشف أن أى مخالف حتى وإن كان رأى المخبر فى الحى فإن مآله معتقل طرة، وتحت هذا العنوان رأينا صنوفا من الشعب المصرى لا دراية لهم بالسياسة، تخطت أقدامهم عتبة المعتقل ، ودخلوا معنا .

▪ عزيز والمحشي:

وعلى سبيل المثال أذكر واحدا منهم اسمه عزيز وكان مدرسا ابتدائياً يحب المزاح ، ويميل إلى النكتة ، ورصده مخبر تضايق منه - لسبب أو لآخر - ولأن عزيز هذا يحب المحشى وكانت هناك أزمة فى الأرز الذى يدخل فى حشو الكرنب ، فحمل عزيز الكرنبة فى يده باحثا عن الأرز ، فقابله المخبر وسأله: « يا عزيز أنت تحشى هذه الكرنبة بإيه ؟ » فرد عزيز ضاحكا ساخرا : « إننى سأحشيها بالعدالة والاشتراكية ..»

وفى اليوم الثانى كان عزيز معنا فى المعتقل، لأنه قام بترويج إشاعات مغرضة ، وكان عزيز لا إخوانيًا ، ولا شيوعيًا ، ولا يهوديًا ، فسأله الضابط عن تهمته، حتى يوزعه على التنظيم الذى ينتمى إليه ، فقال عزيز: « أنا لا أعرف لماذا جئت إلى هنا » فقال له : « إلى أى التيارات السياسية تنتمى ؟ » فرد عليه عزيز بأنه لا يدرى شيئا عما يقوله ، عندئذ احتار الضابط وسأله هل تسمع عن حسن البنا ؟ فرد عزيز قائلا : « نعم أسمع عنه وهو رجل طيب »، قال له الضابط : « بس أنت من الإخوان » ثم حوله إلى المكان الذى فيه الإخوان ، وكنا نلتف حوله ، ونسائله ، وهو يضحك ، ويقص علينا قصصه التى لا تنتهى .

ولما خرج بعض المعتقلين فإن عزيز بالرغم من أنه ليس له تهمة فإنه لم يخرج ، وبنظرة عزيز الفاحصة أيقن انه سيداوم معنا ، ومادام الأمر كذلك فقد قال عزيز: « إذا نجعلها بجميلة » ، وأطلق لحيته، وبدأ يسائلنا ويعرف عنا وعن قضيتنا ، وإذا بنا نجد أن عزيز فى نهاية المطاف أصبح فى نظر الأمن من أشد المعارضين ، وكان من آخر الذين خرجوا من المعتقل ، وكنا نسأله : « يا عزيز إنت جاى فى إيه ؟ » فيرد ساخرا : « أنا جاى فى جهاز المحشى » .

هذا هو سجن طرة المعروف بمعتقل طرة السياسى، الذى لا يزال يستقبل الجماعات الإسلامية، والإخوان المسلمين الذين يقبض عليهم على فترات، حسب الضربات الوقائية التى تتبناها السياسة الأمنية.

مثال آخر : كان عبد الرحمن أبو الخير كاتب هذه الشكوى الموقع عليها من قائد السجن عبد العال سلومة صديقاً لى أيام الدراسة فى مدرسة بنها الثانوية ، وكان خطيباً مفوهاً لا يعبأ كثيراً بالنتائج ، ولأن من صفاته الوفاء فقد زارنى فى سجن القناطر الخيرية ، ثم فوجئت به معتقلاً معنا فى

سجن مزرعة طرة ، وكان ربانياً لا يعبأ كثيراً بالسلطة وأدواتها ، ويقذف بالحق على الباطل مهما كانت النتائج ، وقد ضاق به قائد السجن عبد العال سلومة فوضعه فى السجن الانفرادى « التأديب » ، فلم يخضع وحصل على القلم والورقة ، وكتب يسخر من السلطة وأدواتها ويوصل ما كتبه إلى قائد السجن الذى حول الموضوع إلى لأنى صديقه وقريب منه.

بسم الله الرحمن الرحيم
« وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ »
إلى قائد معتقل طره السياسي
بعد التحية : يُرْجى منحي حق العلاج والتداوي والاستحمام ومنع التدخين أسوة بما هو متبع في سجون بلده والحاق ماو ...
وشكراً
١٩٧١/١٢/١٥
عبد الحميد أبو الخير

الفصل
الحادي عشر

الخروج الثاني
من السجن

أخرج للمرة الثانية من السجن بعد ستة عشر عاما قضيتها بين الجدران الموحشة ، ولكن لم يكن فى هذه المرة تمهيد أو إعداد للخروج لأن الوقت غير معلوم ، والمدة المحكوم بها علينا مفتوحة ، لأن عبدالناصر صرح بأنه لا عودة لنا إلى الحياة ولن نرى الشارع مرة أخرى ، لكن رحمة الله واسعة .

يقول عبد الناصر ما يشاء ويحكم الله ما يريد ، مات عبد الناصر وخرجنا إلى الحياة ، وسرنا فى الشوارع ، وتجولنا فى مصر وفى خارج مصر ، ولم نخرج مهزومين أو ضعفاء كما خططوا فى التقرير الرديء ، بل خرجنا أصحاء مرفوعى الرأس ، وقد فتحنا عقولنا وقلوبنا وصدورنا لكل الناس ، لكل الحياة ، نأخذ منها ما طاب لنا ونعطى للناس ما أنعم الله به علينا ، فرحين بنعمة الله ، مستبشرين بما بقى لنا من العمر ، نستغل كل دقيقة فيه ، ونفرح بكل خطوة نخطوها ، وكأننا طيور لا تسير على الأرض بل تحلق فى الفضاء ، نجمع الرزق ونبنى العش ونغرد بالليل والنهار ، لم يتعثر واحد منا أو ينهزم ، حتى سبقنا كل من كانوا على ظهر الأرض ، من زملائنا خاصة الذين قالوا عنا أننا ضيعنا أنفسنا وخسرنا شبابنا ، لكن العبرة كانت بالنتيجة والحساب الختامى ، لأن التجارة مع الله بالتأكيد كانت رابحة.

خرجت على غير ميعاد مع الأهل ، وكانت حركتى أسهل من المرة السابقة لأن المرة الأولى كانت بعد عشر سنوات فى السجن أما هذه المرة فقد خرجت بعد ست سنوات فى المعتقل وملابسى كانت معى أستطيع الخروج بها ، وقد ألفت الطريق بعد المرة الأولى ، لكننى لم أذهب إلى أجهور مباشرة ، فقد عرجت على مدينة بنها التى تخرجت منها وأحببت من فيها ، وقصدت بهذا أن أول إنسان ألقاه خارج السجن يكون رئيس المكتب

الإدارى الأستاذ محمد عبد الحليم عيسى الذى ابتلى هذه المرة على كبر سنه ، وكان معنا فى سجن أبى زعبل ، ولأنه رجل فاضل أحببت أن أخصه بأول لقاء لى وأفضله على الناس جميعا ، وفاجأته وهو جالس بالمحل التجارى الذى يزاول فيه تجارته ، وكان يجلس معه والد كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة .

وقلت له:« قد خرجت لتوى من السجن ولم أسلم على أحد قبلك » ، فاحتضننى وفرح بى كثيراً وأخذ يحدث جالسه عنى ، ثم استأذنته وانصرفت بالسيارة التى استأجرتها .

ولأن والدتى قد ماتت كمداً وحزناً على وأنا فى سجن أبو زعبل فأحببت كذلك أن أسلم عليها فى مقبرتها قبل أن أدخل البيت ، وقد فوجئ الجميع بحضورى ، ولكن بيتنا الجديد كان خاليا من أمى والفرحة لم تكتمل.

كان الإفراج عنى فى يوم ١٩٧١/٨/٢٤م بالقرار رقم ٢١٦٧ لسنة ١٩٧١م ، لكنى لم أمكث فى البيت كثيراً فأمامى مشوار طويل ، أريد أن اختصر الزمن وألحق بالركب الذى تخلفت عنه ستة عشر عاما .

عدت إلى السجن بإرادتي

قال لى عبد العال سلومة قائد معتقل طرة بعد أن خرجت من هذا المعتقل وعدت إليه زائراً : « أتحب أن أريك شمس بدران ؟! » فقلت له : « اللهم لا شماته » ولم أكن أعرف فى أى سجن يكون آنذاك الآن شمس بدران ولا كيف سيرينى إياه عبد العال سلومة ؟ لماذا يقول لى هذه العبارة ؟؟ هل لأن شمس بدران زالت عنه السلطة وهو الذى كان يستطيع أن

يدخل أى إنسان السجن مهما كان مركزه ؟؟ ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (١) أم لأنه أحس أن النهاية قربت وأنها كلمة تكون له يدا تشفع له يوما عند من عذبهم...

لست أدرى ماذا كان يعنى – لقد عدت إلى المعتقل برغبة ألحت على فى زيارة إخوانى الباقين، والمحولين من سجن قنا ولهم أحكام طويلة ، عدت بعد أن خرجت من المعتقل ، وعشت أياماً قليلة خارجه فى الحرية المزيفة ، بلا عمل ولا مورد ، ويأتينى المخبر ليطمئن على ، ويزورنى فى بيتى بعد أن قضيت من عمرى ستة عشر عاماً فى السجن هى أزهى وأحلى فترات عمرى ابتداء من سن العشرين – وهذه تضحية فرضت على ولكنى رضيت بها، وهذا ثمن رخيص وكل عمرى رخيص أقدمه حتى يرضى الله عنى.

عدت إلى السجن واستقبلنى سلومة كما قلت وأتاح لى الفرصة أن أدخل إلى العنابر، ومكثت حتى نادى السجان بالتمام أى إغلاق الأبواب وطلب منى المغادرة فلم أرغب فى المغادرة ، وقلت له : « اقفل على » ، تعجب الإخوان من قولى حتى سلومة نفسه تعجب ، فقلت لهم : « لقد جربت الحرية فى الخارج فوجدت أن المخبر يأتينى » ، وهنا فى السجن يأتينى السجان ، وكلاهما صورة للقهر وكبت الحريات ، فلا داعي للمغامرات في الخارج وأنا صادق في أن تتاح لي الفرصة أن أمكث بينكم.

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧.

▪ البحث عن الزوجة :

لم أمكث طويلاً بعد الإفراج عنى بدون خطبة أو زواج ، ولم أتعب فى البحث عن رفيقتى فى مشوار الحياة ، فلقد قضيت سبعا وثلاثين سنة من عمرى مع رفقاء الطريق ، ويلازمنى السجان فى النصف الأخير من هذه السنوات ، ولقد كانت مصاحبة الرجال ضرورة فى هذه المرحلة ، وقضاء مفروض لا فكاك منه ، أنام وأصحو فلا أرى إلا شارب هنا وشارب هناك ... فى جموع لا تغيب عنى بالليل أو النهار ... حتى لو أردت أن أخلو بنفسى لحظات ما استطعت .

وشاركنى حياتى الخاصة بلا انقطاع أربعة من الرجال فى الزنزانة الضيقة أو عشرون رجلا فى عنبر كبير ، وكنت أسعى كما يسعى غيرى أن أنام بجوار الحائط حتى يكون أحد جانبى خاليا ، فأنام على هذا الجانب ووجهى نحو الحائط ، وأحس حينئذ أننى وحدى ، أستطيع أن أسرح مع نفسى خارج السجن ، وأتجول فى المستقبل الذى أريده كما أشاء ، والإنسان عادة يحتاج إلى التغيير لتتجدد نفسه ، والسجن فى حد ذاته ما هو إلا حبس للحرية وكبت للرغبات وتعتيم للنفس البشرية.

وأنا الآن خارج السجن وأحتاج إلى هذا التغيير ، والله الذى لم يترك آدم وحده وخلق له من يؤنسه ، وجعل حواء سكنا له هو الذى هيأ لى زوجتى ودفع بها فى طريقى من أول يوم خرجت فيه من السجن ، فهى قريبتى ومن قريتى ، وجاءت مع أهلها لتهنئنى بالخروج ، ووقع نظرى عليها، ثم اخترتها بعد أيام قليلة ، ووافق والدها شيخ العرب محمدى سالم عمار ، الذى ينتمى إلى القبائل العربية الموجودة فى محافظة الشرقية ، ويعيش أهله هناك حياة البداوة فى الصحراء ، ولنا بهم صلات ونتبادل معهم الزيارات الآن ، ولأن والداى قد توفيا فإننى أصبحت أواجه مشاكل الحياة

وحدى ، وأطرق مسالك الزواج دون دراية ، فقد غيبت عن الحياة والناس فترة طويلة من الزمن ، لكن صلة القرابة بينى وبين خطيبتى سهلت لى كثيرا من الأمور ، فبعد أن سلمت والدها المهر المتفق عليه صاحبته إلى مدينة طنطا للتجهيز ، واخترنا مكونات حجرة النوم ثم قلت له : « يكفينى هذا وأحتاج فقط إلى بوتاجاز فى المطبخ » ، وكان الناس فى هذا الوقت يعتبرون البوتاجاز رفاهية ولا يدخلونه ضمن التجهيز ، فتعجب الرجل من كلامى وقال : « ألا نشترى كراسى لحجرة الجلوس ؟ » قلت : « أنا لا أحتاج إلى هذه الحجرة » ، فضحك الحاضرون ، فقلت على الفور : « نعم أنا أحن إلى البرش » .

ومضت فترة وكان عليّ أن أحضر الأثاث الذى اتفقنا عليه قبل الزفاف بأيام قليلة ، لكن النجار أمهلنى حتى اليوم السابق للزفاف ، وهو نفس اليوم الذى انتهت فيه كل الأعمال الخاصة بتجهيز البيت وتنظيفه استعدادا لوضع الأثاث فيه ، بل إن العمل ظل جاريا حتى عصر ذلك اليوم فى بلاط البيت .

ثم اتجهت إلى طنطا وحملت الأثاث فى شاحنة ووصلت به إلى البيت فى العاشرة مساء ، وظللت بجوار النجار حتى الصباح حيث انتهى من تركيب وتجهيز كل شيء أحضرناه ثم انصرف ، وبقيت وحدى أفكر ، فاليوم هو يوم زفافى وبالتحديد قبل المغرب ، لكنى منهك وفى غاية التعب، فمنذ ثلاثة أيام متواصلة وأنا أعمل بالليل والنهار حتى انتهى من تجهيز البيت ، وكانت الليلة الأخيرة التى انتهت منذ لحظات ولم أغف فيها لحظة، أضف إلى ذلك فإننى جائع وليس فى البيت أى طعام ، فكيف سأكون بين الناس بعد ساعات ؟ وكيف سأكون مع عروسى فى يومى هذا وليلتى القادمة؟ لم استمر فى التفكير طويلا فجسمى لا يتحمل السهر أو الوقوف لحظات ، وأمامى سرير مفروش ومهيأ للراحة يعوضنى عن أيام

« البرش » ولياليه ، أغلقت الأبواب وقفزت على السرير وتمددت عليه فاسترخت كل خلايا جسمي سريعاً وأولها أجفاني ، ولم تمض دقيقة أو دقيقتان حتى غبت عن الدنيا ورحت فى نوم عميق .

وجاء موعد الزفاف وحضر المأذون وتجمع الناس ولم يحضر العريس، وتساءل الناس ولا أحد يعرف أين العريس ، وانبرى الأخ السيد الشيخ وتكفل بإحضارى سريعا ، وجاء إلى البيت ومعه اثنان من الإخوان ينادون بأعلى صوت ويدقون الباب بقوة ، وأخيراً تسلق الأخ السيد البيت عن طريق المنزل المجاور ، وجذبنى من فوق السرير وأنا لم أزل نائماً لا أسمع ولا أرى ، فقد تجمع تعب الأيام الماضية مع تعب البرش فى الأيام الغابرة ، ولو تركونى ما صحوت إلا بعد أن ينفض السامر .

وعلى عجل ألبسونى بدلتى وحذائى وسرت معهم فى الطريق كالمقبوض عليه ومازال النوم يداعبنى حتى وصلنا إلى القوم ، ونداءاتهم تصل إلى سمعى « كنت فين يا عريس » فأرد عليهم بابتسامة تغنينى عن الكلام ، حتى انتهت المراسم وانفض الجمع ، وذهبت مع عروسى إلى عش الزوجية فى يوم الخميس ١٤/٩/١٩٧٢م.

(والد زوجتى الحاج/ محمدى سالم عمار)

▪ مواقف فى حياتنا :

بعد أن دخلنا البيت وأغلق علينا الباب فاجأتها وقلت لها : « يا سعاد ، هلا أطلعتك على أحوالى المالية ؟ » ومددت يدى إلى رف الدولاب وأخرجت النقود التى بقيت معى ، وقلت لها : « هذه ثروتى ((ستة عشر قرشا)) فقط هذا ما أملك فى ليلة زفافى » ، فنظرت إلى وهى تبتسم وتقول: « إنها كافية » . ثم كانت المفاجأة الثانية أن قلت لها « إننى جائع جدا ولم أتناول طعاما منذ الأمس وليس فى البيت أى طعام » ، فابتسمت للمرة الثانية ثم قالت : « لا بل عندنا طعام فى البيت » قلت لها : « ومن أين لنا ؟ » قالت : « ألا تدرى شيئاً عن ((حلة الاتفاق)) التى جاءوا بها من عندنا وسبقتنى عندك ؟ » قلت : « لا.. لا أدرى ، ولا أعرف شيئاً عن هذه العادات ، لكن أين هى إذن ؟ إئتنى بها على عجل » ، فأحضرتها وطعمت وشبعت لأول مرة ، منذ أن أطعمتنى أمى رحمها الله.

السندوتش المحترم

كانت حالتى المالية بسيطة للغاية وتكفينى فى اليوم لقيمات قليلة تقيم صلبى وتعيننى على الحركة ، وأى طعام أستسيغه وأتذوقه لأنه أفضل كثيرا من طعام السجن ، وكانت نظرتنا إلى الحياة لا تعتمد كثيرا على المال بل تدفعنا فى أعماقها غاياتنا وأهدافنا التى رسمناها لأنفسنا ، فمثلا كنت أحتاج إلى تناول هذه اللقيمات حينما تأتى الساعة الثالثة أو الرابعة وأنا فى قسم الجغرافيا – وخاصة عند دراسة الماجستير فى آخر النهار – وليس معى النقود التى تمكننى من شراء « سندوتش محترم » فأخرج من القسم وأذهب إلى رجل يقف أمام عربة من الخشب بجوار حديقة الأورمان وعليها الخبز والبصل والملح بفلفل والجبن الحادق القديم ، ويشترى منه العمال وبعض

الموظفين من مصلحة المساحة سندوتش من الجبن الحادق ، واشترى أنا فقط رغيفا من الخبز بالملح والفلفل الأسود ، وأطويه مثل السندوتش وأغلفه بورقة وأدخل حديقة الأورمان ، وأجلس على أحد المقاعد وأتناول السندوتش براحة وسعادة ، توحى للطلبة الذين يمرون أن السندوتش قد يكون محشوا باللحم ، وبعد دقائق قليلة انتهى من تناول السندوتش وأحمد الله أن الجوع قد خف ، ثم أتوجه إلى المحاضرة.

هذه كانت أحوالي المادية التى كانت مقبولة عندى ، ولا تعوقنى عن الحركة ، لكن زوجتى أتتنى من بيت ميسور ، فيه كل أنواع الطعام ، ورأت ما أنا عليه وما أنا فيه ، ولم تتردد أن تشجعنى وتشاركنى ، وتشعرنى بأنها راضية تماما عن وضعها الجديد ، وقد يمر الهلال تلو الهلال بل العام الأول كله ونحن لا نأكل اللحوم ونستعيض عنها بنصف كيلو « كرشة » كل أسبوع.

بل إنه فى إحدى الليالى نسينا أنفسنا وبحثنا عن أى شيء فى البيت ولو رغيف واحد من الخبز فلم نجد إلا رغيفا من الحب نطعمه ونرضى به وننام عليه ، وبذلك صار لنا هدف مشترك يتخطى الطعام والشراب وشظف العيش ، فشاركتنى رحلاتى وتنقلاتى وزياراتى لبيوت الأخوان حتى وصلنا إلى بيت الأستاذ سيد قطب فى حلوان وكان به الأستاذ محمد قطب وأخواته ، فشربت من معين طيب مختلف ألوانه ومتنوع مذاقه ، وبالمشاركة الفعلية وصحبة الطريق رأت أن تلزم نفسها بأمور لم تكن تعلمها من قبل ، ومنها الحجاب وذلك بمحض إرادتها دون تدخل منى ، حتى جاءتنى فى أحد الأيام وقالت : « إن ما معنا وهو قليل يساعدنا يوم القيامة فى أن نمر سريعا فلا يطول علينا الحساب ولا نتعثر فى الإجابة ، وكلما زاد متاعنا زاد حسابنا » . فتذكرت قول أخى عبدالحليم خفاجى « يا فقر لك عوزة » .

رأينا فى أحد الأيام أن نشترى دجاجتين ونربيهما حتى نأكل اللحم بعد ذلك ، وتم تدبير المبلغ واشترينا الدجاجتين وفرحنا بهما كثيرا ، وبعد الاهتمام بهما وتربيتهما مرضت واحدة منهما ، وبدأنا نعالجها ونتناوب التمريض وندعو لها بالشفاء حتى نأكل اللحم المنشود ، وتركناها فى إحدى الليالى لزيارة صديق لنا ، ولما عدنا إلى البيت وجدناها قد ماتت ، فضاع أملنا ، وتقلص إحساسنا باللحم ، وبعدت المسافة بيننا وبين تذوقه.

وبالرغم من ظروفنا الصعبة وحاجتنا الماسة إلى المساعدة فلم يكن أحد يحس بنا حتى أقرب الناس إلينا ، ويحسبنا الناس أغنياء من التعفف ، فإذا كنا فى زيارة لأهل زوجتى ، وصادف وجودنا موعد تناول الطعام فإننا نتعفف بالرغم من شهية الطعام وإلحاحهم علينا بالمشاركة ، وحينما كنت مع زوجتى وأولادى فى مدينة جدة بالسعودية بعد ذلك وصرنا فى بحبوحة من العيش ، جاءنا والد زوجتى بدعوة منا للحج ، وعندما تبادلت زوجتى الحديث مع والدها ، عرجت على ماضينا وما كان فيه ، باعتباره تاريخ مضى، لكن الرجل أحس بالتقصير وبكى لأنه كان يستطيع المساعدة وفاته أن يسأل عنا ويتفحص أحوالنا ، وخدعه مظهرنا الذى حجب عنه حقيقة ما كنا فيه ، وهز رأسه وكأنى به يستلهم قول الشاعر :

إن الكـريم ليخفـى عنـك عسـرته   حتـى تـراه غنيـا وهـو مجهـود

▪ استكمال الدراســـة :

لـم أبذل جهدًا كبيرًا هذه المرة لإثبات وجودى بالكلية ، فانتظمت بالسنة الثانية قسم الجغرافيا بالرغم من أننى بلغت من العمر السابعة والثلاثين ، لكن طاقتى ونشاطى وحيويتى وإصرارى على أن أسابق الجميع.. كل ذلك جعلنى لا أبدو كبيرا فى السن ، فاشتركت مع الطلبة فى الرحلات إلى الأقصر وأسوان والبحر الأحمر ، وفى بعض الأنشطة التى

تناسب ظروفى ، لكن لعدم حضورى فى كل المحاضرات اضطررت إلى أن ألتقى مع بعضهم ليلا فى المدينة الجامعية ، لأحصل منهم على ما فاتنى ، وكنت أصبر على التصرفات الصبيانية تجاه بعضهم البعض فى أثناء وجودى معهم ، فأنا أعلم أن غياب الموازين الصحيحة فى حياة الناس بسبب الظروف الاجتماعية التى فرضت عليهم خلال السنوات التى غبنا فيها عنهم جعلهم يبتعدون عن القيم الأصيلة والسلوكيات الصحيحة تمشيا مع موجات التغريب ومسايرة لموجات الانحلال والإلحاد ، حيث أجبر الشباب على الانتظام فى جماعات إباحية ، والانتساب إلى تنظيمات هدامة تتوفر لأفرادها كل الوسائل المادية وغير المادية ، باعتبارهم التنظيم الطليعى الذى يقود الجماهير ويقوم على حراسة المكاسب الاشتراكية ، كما يقوم هذا الشباب بتبليغ الأجهزة الأمنية عن « الثورة المضادة » التى هى فى نظرهم «العملاء » الذين يخالفونهم فى الرأى ، أو أصحاب العقائد المختلفة ، خاصة الدينية منها ، باعتبار أن الدين من لوازم الأنظمة الرأسمالية ، أو باعتباره من مخلفات عصور الاستبداد...

هكذا كان الشباب يتعلم فى هذه التنظيمات التى لها معاهدها الخاصة والتى يرعاها الاتحاد السوفيتى سابقا ويقوم بالتدريس فيها بعض من رواد الشيوعية فى مصر ، ومن رحمة الله علينا أن قيادة هذه التنظيمات دخل معظمهم السجن فى عهد عبد الناصر وتمت تنحيتهم تماما فى عهد السادات.

ولأن قسم الجغرافيا كانت له خصوصياته فى موقعه بجوار حديقة الأورمان خارج كلية الآداب جامعة القاهرة وكان عدد الدارسين فيه قليلاً حيث كان فى السنة الثانية لا يزيد عن الستين طالبا تقريبا ، وذلك لطبيعة الدراسة العلمية والتخصصية لفروع علم الجغرافيا التى يرتبط بعضها

بجيلوجية الأراضى وعلم طبقات الأرض ، وبالذات ما كان له علاقة بطبيعة الأراضى المصرية ، والتى كان يقوم بتدريسها الدكتور صفى الدين أبو العز وزير الشباب الأسبق ، مستخدما اللغة الإنجليزية بصورة موسعة خاصة ما كان له علاقة بالمصطلحات الجغرافية... كما أن مادة اللغة الإنجليزية كان يقوم بتدريسها أستاذ من إنجلترا اسمه فرهيدن.

وأخيراً سرت فى مشوار الدراسة هذه حتى حصلت على ليسانس الجغرافيا ، ثم تقدمت للدراسات العليا بالسنة التمهيدية للحصول على الماجستير ، وكانت الدراسة مسائية ، كما أننى صرت مدرساً للجغرافيا بوزارة التربية والتعليم فى مدرسة المنشية العسكرية الثانوية ببنها ، ومعنى ذلك أننى سأكون مدرسا حتى الساعة الثانية بعد الظهر ثم أركب القطار من مدينة بنها إلى القاهرة ، ثم المواصلات الداخلية حتى قسم الجغرافيا بالجيزة، حيث أبدأ الدراسة من الساعة الرابعة حتى السابعة مساء ، ثم على مدار ثلاث ساعات أحاول أن أعود إلى البيت فى العاشرة مساء ، وكانت وسائل النقل شبه متوقفة لأن القرارات الاشتراكية أوقفت الاستيراد حتى قطع الغيار ، مما أدى إلى تعطل كثير من سيارات نقل الركاب .

(لجنة تصحيح الثانوية العامة وأنا موجود بها)

رقم وتاريخ قسيمة السداد ٤٩٩٦٦٠ ١٩/٥/٧٥

رقم وتاريخ بطاقة الإقامة

رقم الجلوس في الامتحان

كلية الآداب

العام الجامعي

١٩٧٥ - ١٩٧٤

اسم الطالب محمود محمد محمد جابر

السنة الدراسية التمهيدية للماجستير

القسم الجغرافيا

الشعبة

بيانات أخرى

جامعة القاهرة | كلية الآداب

مكتب التحصيل

- **اتوبيس ٩ :**

وإليكم قصة صراعى فى ركوب وسائل النقل يوما ما حتى أستطيع أن أعود إلى بيتى فى قريتى أجهور الرمل ... كان على أن أركب أوتوبيس رقم « ٩ » من أمام الجامعة حتى ميدان رمسيس لألحق أخر قطار يقوم بعد الساعة الثامنة مساء - ولأن الأوتوبيسات رقم « ٩ » تعطلت كلها تقريبا لأنها استهلكت واحدا بعد الآخر ، لعدم إصلاحها وعدم وجود قطع الغيار ، إلا أوتوبيسا واحدا ظل يتحشرج ويتخبط ويلهث ، وينوء بأحمال تزداد يوما بعد يوم ، بعد تعطل الأوتوبيسات الأخرى ، ولأننى لا أستطيع استخدام التاكسى لقلة ما معى من النقود ، فإنه من الضرورى أن أفعل المستحيل

لألحق بآخر قطار ، وإلا كان على أن أبيت على محطة القطار أو أبحث عن من يستضيفنى هذه الليلة من زملاء السجن السابقين ..

ولك أن تتخيل ماذا أفعل وكيف أستعد لملاقاة الأوتوبيس ؟ نسيت أو تناسيت أننى أرتدى بدلة وكأننى فلاح فى الحقل يحزم نفسه بإطراف ثوبه ويتهيأ لرفع « مقطف » من التراب ليضعه على الحمار ، ووضعت أوراقى وأبحاثى وأقلامى داخل قميصى وأحكمت غلق ملابسى كلها وظللت أترقب وأطيل النظر نحو الجهة التى سيأتى منها الأوتوبيس ، وعيناى تدمعان أحيانا من عادم السيارات ، وأخيرا ظهرت من بعيد بعض الملامح فتحركت كل جوارحى تحفزا للقفز داخل الأوتوبيس ، أو على الأوتوبيس ، أو على أى حديدة أو صفيحة تبرز منه فى أى مكان .

وكلما اقترب منى الأوتوبيس ازداد تحفزى وسط المتحفزين وهم حينذاك كثير ، وهم الصعاليك على رأى الشيوعيين ، ويزداد عددهم فى أيام الاشتراكية ، ويا هول ما رأيت !! لقد اختفى جسم الأوتوبيس لأن الناس ركبوا على كل جزء فيه فلم يبق لى بوصة واحدة أضع عليها أطراف أصابع إحدى القدمين ، ولا حتى حديدة بها مكان لإصبع واحد من أصابع إحدى يدى .

وكان الأوتوبيس مكون من عربتين ، ويطلقون عليه الأوتوبيس المفصلى ، وكان هذا النوع مستوردا من المجر - على ما أذكر - وليست الصورة كما وصفت فقط ، بل إن الأوتوبيس كان يميل بشدة نحوى عند العجلات الخلفية ، والدخان يتصاعد من الاحتكاك ، والأصوات تعلو من العربة الخلفية « حريق ... حريق ... » لكننى لم أشاهد واحدا فقط خاف على نفسه ونزل من الأوتوبيس ، الكل ينادى « حريق ... » والكل لا ينزل

من الأوتوبيس ، لأنه الوحيد ولا غيره ، وأمر عودتهم جميعاً إلى بيوتهم مرهون بهذا الأوتوبيس ، فلا يجازف أحدهم بالنزول إلا إذا تحول الدخان إلى نار تتحرك نحوه ، فليظل الجميع فى أماكنهم متشبسين بأملهم فى العودة إلى بيوتهم ، والسائق لا يسمع هذا الحوار الصاخب ، وهو أيضا يريد أن يعود إلى بيته وأولاده ، وقد تعود على رؤية هذا الدخان فى الأوتوبيسات التى خضعت للتكهين ، واستراح سائقوها وأخذوا راتبهم كالمعتاد ، فلماذا يظل يعمل ويتعب وغيره مستريح ؟ إن الأوتوبيس مال عام ولا يضيره إن توقف أو احترق .

كل هذا الحوار وهذه المشاهد مرت أمامى فى لمح البصر ، لكن الحوار مع نفسى لا يجب أن يستمر ، وكل مشاهد الدخان أو حتى النار لا يجب أن أراها ، يجب أن أغمض عينى ، وأوقف الحوار ، فالأمر جد خطير ، ولا وقت للحيرة ، يجب أن ألقى بجسدى على أى مكان فى الأوتوبيس بأسرع ما يكون ، حتى لو كان على « الرفرف » الذى يحتك بالعجلات ، أسرعت بالجرى نحو الأمام ونحو الخلف ، والأوتوبيس قد توقف لحظات، وبدأ فى التحرك ، ولا أمل فى الركوب .

وبدأ صوت المحرك يعلو والعجلات تزداد فى دورانها ، وأنا بالتالى أجرى بأقصى سرعة بجانب الأوتوبيس ، حتى إذا ما حازانى الباب الأخير ودرجات السلم مليئة بالأقدام أمسكت بملابس أحدهم ، وقفزت على الأقدام المصفوفة ، ثم تمكنت سريعا أن ألف يدى حول خصره ، ونادى أحدهم وكان موجودا فى مدخل الباب « هات إيدك » وقبض على إحدى يدى وظل يشدنى ، وينادى على الواقفين بأن يفسحوا لى ثغرة حتى لا أسقط على الأرض ، وتمكنت أخيرا أن أقف على الباب مع الواقفين وأصل إلى محطة القطار مع الواصلين.

- **قطار الصعيد:**

أسرعت نحو المحطة ورأيت القطار يقف على الرصيف ، فركبت فى إحدى العربات ، وكانت خالية من الركاب ، بعد المعركة الفاصلة التى انتصرت فيها ، يعلو صدرى بالشهيق وينقبض بالزفير ، وأنا أحمد الله على النجاح والنجاة فى أصعب مرحلة ، وأتوسل إليه أن يعيننى فى المرحلة القادمة ، ثم صفر القطار وبدأ يتحرك ، ولكن ليس نحو بيتى ، إنه يتحرك نحو الخلف ، نحو الصعيد، « يا الله !! إنه قطار الصعيد.. إنه الصعيدى... ».

ماذا دهانى ؟ أسرعت فى الجرى حتى وصلت إلى الباب وقفزت على آخر الرصيف واتجهت مسرعا نحو الأرصفة الأخرى أبحث عمن يرشدنى ، فأشار أحدهم نحو قطار يتهيأ للتحرك ، هذا هو آخر قطار ويقف فى كل المحطات فأسرع إليه.

- **الليلة الظلماء :**

كان الجو باردا ممطرا ، والليلة من ليالى الشتاء ذات الظلمة الحالكة ، وبطبيعة الحال فإن هذا النوع من القطارات تكون الإضاءة فيه نادرة ، ويستخدم مفتش القطار كشافا صغيرا فى يده ، كما أن الشبابيك غير موجودة، والنوافذ مفتوحة يصرخ فيها الهواء ويندفع إلى عظامى ، لكن لا يعنينى كل هذه الظروف ، فالحمد لله أننى استويت راكبا فى القطار المتجه نحو بيتى ، حتى وإن طال الزمن ووقف فى كل المحطات ، وما أن نزلت من القطار ، ووصلت إلى مدخل القرية ، وكانت الساعة حوالى العاشرة والنصف ، تبينت طريقى بصعوبة على « الرشاح » الموازى للمياه لأن كتل الظلام مع كتل الهواء البارد قد غيرا معالم الطريق ، وشدة المطر أحالته إلى كتل من الطين ، يلتصق فيه الحذاء وينخلع من قدمى ، فأثبته بصعوبة فتتسخ

يداي وملابسي ، وكلما ضللت الطريق نظرت عن يسارى فأجد أن الماء فى الرشاح قد اسود وأظلم ، لكن الهواء يحركه فى شكل موجات خفيفة تلمع رءوسها فأراها وأحافظ على مسافة بينى وبينها حتى لا أسقط فى الماء .

وفى النهاية يلزمنى عندما أحازى بيتى أن أعبر هذا الحاجز المائى على خشبة رفيعة ، عرضها حوالى ثلاثين سنتيمتراً ، وهى مبتلة بالماء الممزوج بالطين ، ولا مفر من العبور .

خطوت الخطوة الأولى والثانية والثالثة بتعثر شديد ، وفى الخطوة الرابعة انزلق حذائى المعجون بالطين ، وهويت إلى الماء أسبح فيه ، ببدلتى وما معي من أقلام وأوراق نحو الشاطئ الثانى... شاطئ الأمان ، لأن فيه بيتى الذى وصلت أخيراً إليه ، واستقبلتنى زوجتى التى كنت قد بنيت بها حديثاً ، بالاستفسار والدهشة الممزوجة بالضحك على ما آل إليه حالى ، ثم خلعت ملابسى ونظفت نفسى وأكلت لقيمات ، ورحت أغط فى نوم عميق استعدادا لمعارك جديدة فى يوم جديد.

إن كل يوم له جديد ، وأنا أتوقع هذا الجديد ولا أتردد فى التعامل معه، هكذا تعودنا ، وهكذا قطعنا على أنفسنا ، وكل يوم يشرق علينا محسوب لنا بإذن الله نتزود منه ولا نخاف من صروفه.

▪ اللص يسرقني

وأنا فى خضم معارك السفر ذهاباً وإياباً تعرضت مرتين للسرقة ، الأولى حينما أصر اللصوص أن يسرقونى ، وكنت أنا العامل المساعد الذى دفع شهيتهم لسرقتى ، حيث كنت فى ميدان التحرير ، وسألت اثنين من الواقفين عن الأتوبيس المتجه إلى العباسية ، ولسوء حظى كان الاثنان من

اللصوص المحترفين ، وعرفوا من طريقة سؤالى أننى ساذج من الأرياف ، فدلونى على الأتوبيس وركبوا معى وبجوارى ، ثم نزلوا فى المحطة التالية ، وتبينت فى حينها أن حافظة نقودى قد سرقوها فى هذه المسافة القصيرة ، لكننى لم أحزن عليها ، ورددت المثل الشعبى «إيش ياخد الريح من البلاط» إن محفظتى باستمرار لا تحمل أكثر من خمسين قرشاً ، وربنا يعوضنى بغيرها ، ويظل جيبي دافئاً بها.

أما المرة الثانية ، فقد نبهت على نفسى أن أكون يقظاً وأعمل بالدروس التى تعلمتها فى السجن من عتاة اللصوص والمجرمين، فقد سألت أحدهم: « كيف تسرق أى إنسان ؟ » فقال لى : « إننى يجب أن أتبين أولاً مكان المحفظة .. وهناك عدة طرق للمعرفة .. كما أن هناك عدة طرق للنشل ، وفى كل الأحوال يجب أن ألتحم فى الزحام بالرجل الذى أريد أن أنشله ، وأتحسس بخبرتى مكان المحفظة ، ويمكننى أن أسرق المحفظة من الجيب الخلفى بالبنطلون بأن أحتك بالضحية ، وفى خفة وبراعة أدخل إصبعين فقط فى اتجاه المحفظة ، وأقبض عليها كالكماشة وأخرجها لحظة الاحتكاك كأننى مدفوع رغماً عنى من الزحام » .

هذا الدرس جعلنى أنجح وأتنبه لخطة خروج المحفظة من الجيب الخلفى للبنطلون ، واستدرت سريعاً فوجدت ورائى شخصاً يرتدى الزى العسكرى ، وأحسست أن شيئاً قد سقط ، فنظرت إلى أسفل وطلبت منه بلهجة حازمة أن يحرك رجله التى بجوارى ... فلما حرك حذاءه الغليظ ظهرت المحفظة فالتقطتها سريعاً .. ثم هجمت عليه ، وظهر أنه ليس وحده ووجدت غيره يلبس نفس الملابس العسكرية ويتدخل بقوة ، فأشار على الركاب بالهدوء وعدم الدخول معهم فى معركة سأكون أنا الخاسر فيها ، ولن يقف أحد بجوارى لأنهم عصابة محترفة ...

ولما كنت فى حاجة إلى المال لأستخدمه فى تحقيق آمالى ، كان لابد من بذل المزيد من الجهد، وهل بقى عندى جهد أبذله فى تحقيق رغبتى ؟ نعم .. نعم « إذا توكلتم عل الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا » ، صدق رسول الله ﷺ.

- **أدرس الفرنسية:**

لقد كانت مديرية التربية والتعليم فى حاجة ماسة فى هذا الوقت إلى مدرسين لمادة اللغة الفرنسية فى المدارس الثانوية ، حتى إن بعض المدارس قد خلت تماما من مدرسى هذه المادة ، كمدرسة العمار الثانوية ، فتقدمت باستعدادى للقيام بهذه المهمة ، لا عن خبرة ولا عن شهادة أحملها ، ولكن عن دراسة قمت بها مع بعض إخوانى فى السجن كأنشطة ثقافية نستفيد منها ونشغل بها فراغنا ، وكان ذلك كما أشرت من قبل فى سجن القناطر الخيرية، وقد وافقت المديرية أن أقوم بهذه المهمة ، لكنى اشترطت عليهم أن أقوم بتدريس نصابى فى مادة الجغرافيا ١٨ حصة فى ثلاثة أيام بمدرسة المنشية العسكرية فى بنها ، ونصاب آخر ١٨ حصة فرنساوى فى باقى أيام الأسبوع الثلاثة ، وأتقاضى أجرا إضافيا عليها ، وبذا يكون نصابى الكلى فى الأسبوع ٣٦ حصة ، بواقع ست حصص فى اليوم ، أى أنه يوم دراسى كامل لا أستريح حصة واحدة أتناول فيها طعام الإفطار ، أو أتحدث مع أى زميل فى أى موضوع ، وقد قبلت المديرية هذا الشرط وأرسلت معى موجه اللغة الفرنسية إلى مدرسة العمار الثانوية لتسليمى الجدول هناك ، وقد وفقنى الله بالقيام بالمهمة على أحسن وجه ، وتجاوب معى البنون والبنات على السواء، ولما أحس مدير المدرسة وعلم من التلاميذ بهذا النجاح الغير متوقع طلب منى أن أزيد عدد الحصص وأضيف بعض الفصول الأخرى ،

لأنهم محرومون ولا يوجد غيرى ، فقلت له : « وكيف ذلك ؟ واليوم الدراسى ينتهى بانتهاء الحصة السادسة ؟ » قال : « لينتظر التلاميذ معك بعد اليوم الدراسى » ، فقلت له : « سيقل جهدى بعد الحصة السادسة ولا أستطيع الاستمرار » ، وبعد فترة طويلة حضر نفس الموجه ليقيّم عملى ، ودخل معى الفصل وبدأ يسأل التلاميذ وظهر على وجهه التعجب والدهشة، لأنه كلما طرح سؤالا على التلاميذ تنافسوا فى الإجابة عليه ، فنظر إلى والسرور يملأ وجهه ثم قال : « شكرا يا أستاذ » ، وبعد أن خرجنا من الفصل أكمل كلامه قائلاً : « إن مستوى تلاميذك أفضل من مستوى تلاميذ بعض المدرسين المتخصصين فى تدريس اللغة الفرنسية – وإنى سأخبر التوجيه بذلك وسيكون من وراء ذلك خير لك » ، ثم أبلغنى بعد ذلك أننى ضمن المرشحين للسفر إلى فرنسا فى بعثة أعود بعدها مدرسا لمادة اللغة الفرنسية ، وتصبح تبعيتى لتوجيه المادة.

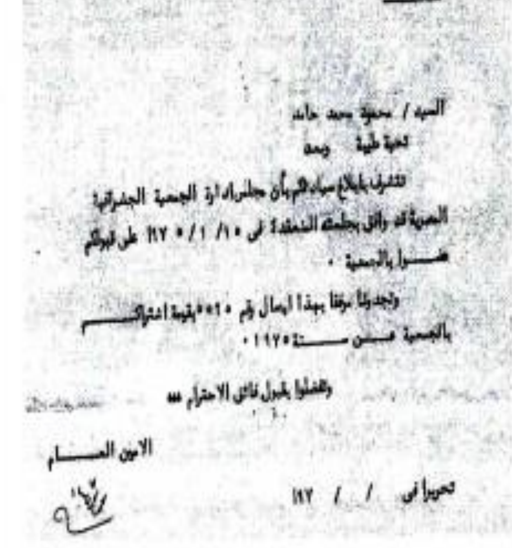

الجمعية الجغرافية المصرية
مكتبها بقصر الدوبارة – القاهرة

السيد / محمود محمد حامد
تحية طيبة وبعد

نتشرف بإبلاغ سيادتكم بأن مجلس إدارة الجمعية الجغرافية المصرية قد وافق بجلسته المنعقدة فى ١٠/ ١/ ١٩٧٠ على قبولكم عضـوا بالجمعية .

وتجدون مرفقا بهذا ايصال رقم ٥٠١٠ بقيمة اشتراكـــم بالجمعية عـن سـنة ١٩٧٠ .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

الامين العـــام

تحريرا فى / / ١٩٧

في قسم الجغرافيا ومعي المعيد عبدالحميد كليوة ومصطفى كامل زميلي في الدراسة ومراحل السجن

بين الطلبة فى قسم الجغرافيا (جامعة القاهرة)

الجــزاء الأوفى :

على مدار العام الدراسى كنت أبذل الجهد لأوفى بوعدى وأوفق بين خياراتى الثلاث : تدريس جدول كامل فى الجغرافيا + تدريس جدول كامل فى الفرنساوى + السفر إلى القاهرة ثلاثة أيام على الأقل فى الأسبوع لمواصلة الدراسة للحصول على الماجستير ، مع أننى فى هذا الوقت قد تخطيت سن الأربعين ، لكن مكافأة الله لى كانت فى استمرار العطاء والكفاح دون ملل أو تعب ، وأنه سبحانه وتعالى قد ملأ قلبى بالأمل والإصرار ، وأرسل لى هدية أخرى فى آخر العام وهو ترشيحى للعمل كمدرس فى المملكة العربية السعودية ، وقد وافقت على الفور وتركت الخيارات الأخرى السابقة لأننى على موعد مع الله فى بيته الكريم وعلى موعد مع قائدنا وحبيبنا رسول الله فى مسجده وبجوار قبره حتى يشهد الأموات والأحياء من الظالمين ، أننا خرجنا من الجب أحياء نسير فى أرض الله أحرارا رغم كيدهم ، والله مولانا ولا مولى لهم.

نوادر عبد الحليم خفاجى وغرائبه :

وكما كان الأخ رشدى عفيفى له مجاله داخل السجن وخدم الإخوان خدمات جليلة بجرأة نادرة استحق عليها لقب « ملك السجن » فإننا أمام ظاهرة بشرية أخرى لها دورها فى إثراء الجانب الفكرى والثقافى وإعمال العقل والاحتكاك بأصحاب النظريات المادية ، ذلك هو الأخ عبد الحليم خفاجى الذى كان ولا يزال رجلا محبوبا بين الناس ، الإخوان وغير الإخوان ، داخل السجن وخارجه ، لأنه كان يتصف بصفات تجعل الناس يقبلون عليه ويتقبلون منه ، ففى داخل السجن كان يعطف على المساجين

العاديين ، وكان لا يحب الاكتناز ، ولا يوجد عنده فائض لأنه أولا بأول يتقاسم ما في يده مع من يقابله أو من يجالسه ، وعند الرحيل من سجن إلى آخر ينظر ضاحكا إلى بعض الأخوان المثقلين بحاجياتهم وليس معه من الملابس سوى « الفانلة والكلسون » يرفعهما بيد واحدة ، ويمشي خفيفا ثم يوجه كلامه إليهم قائلا : « أنا كنت عامل حساب هذا اليوم ، يا فقر لك عوزة » .

لذلك أطلق عليه بعض الإخوان « أبو ذر » لأن اشتراكيته وسعت الإخوان والمساجين وحتى الشيوعيين والمسيحيين ، وكان يقود مجموعة أطلقت على نفسها « فرقة الكلالة » أي المقاطيع ، يلتهمون ما يقابلهم حتى لو كان من خشاش الأرض .

وفي إحدى الأيام وصلت زيارة لأحد الإخوان في سجن الواحات ومع الأهل بعض الأطعمة منها « دكر بط » ، لكن لحمه قد فسد لحرارة الجو وطول الطريق ، وقد سمعت فرقة الكلالة بأمر ذكر البط الذي سيكون مآله إلى القطط المتوحشة والكلاب الضالة ، فقالوا : « نحن أولى منهم » ، فقيل لهم إن اللحم قد فسد تماما وظهرت رائحته ، فقالوا : « نحن فرقة الكلالة لا نخاف السم ، أو تظنون أن دكرا من البط يسوى بهذه الطريقة ومعه المكرونة ، وهي وجبه ما شاهدناها من سنين ، ورزق حمله إلينا الزوار من مكان بعيد ، أيكون مآل هذه الوجبة إعدامها وحرماننا منها ؟؟ والله لن يكون » ، وتصايحت الفرقة وهجم الكلالة على الطعام حتى أفنوه عن أخره ، وانتظر الجميع ما سيحدث لهم من تسمم ، وفي آخر النهار انجلى الأمر عن إسهال أصاب الجميع بدرجات مختلفة حسب إمكانيات كل معدة إلا واحدا هو رئيس الفرقة عبد الحليم خفاجي فإنه لم يصب بأي أعراض ، ولما سئل عن السبب قال : « أما ترون أني نحيف الجسم وكأني

ماسورة مفتوحة من أعلى للطعام ومن أسفل للفضلات ، وبذلك لا تتراكم السموم؟ »

وكان يقول لي : « يا محمود نحن لا نمرض ولا نعترف بعوامل النحت والتعرية ولا يوقف حركتنا سوى الموت يأتينا ونحن نضرب في أرجاء الأرض » .

كان عبد الحليم طَلِق اللسان ، حُلو الكلام ، غزير المعرفة يبادر الناس بالسلام والكلام معهم ، ويحسن الدعابة مع بعضهم ، وتصاحبه الابتسامة في تعاملاته ، والمنطق في خلافاته ، لا يحب التكلف ولا الاستعدادات ، فيأكل أي شيء ، ويقبل أي شيء ، ويدعوك على أي شيء ، لا يعترف بالألغاز ولا الجلسات السرية ، ولا يجيد الكتمان ، لأنه جماهيري ، سهل في التعامل ، بسيط في الاتفاقات ، تلقائي يحوز القبول ويكسب كل الناس .

وهو من الأشخاص الذين كان لهم قبول عند أصحاب التيارات المختلفة على تنوعها وتباينها. يعشق الحرية ويتغنى بها ويحاكي محمد عبد الوهاب « أحب عيشة الحرية » . ولذلك فهو الآن جوال في العالم يحب الترحال ويهوى التغيير ولو إلى الأسوأ كما يقول عن نفسه ، فلذلك لا يشتري البدلة الغالية المتينة التي تعيش زمنا طويلا ويقول : « كفانا سجنا ، هل من الضروري أن تعاشرني البدلة طوال عمري ؟ أين ومتى الجديد إذن ؟ نفرح به كما يفرح الأولاد الصغار ؟ » .

وقام بنشاط ثقافي إسلامي عظيم في ألمانيا حيث يقيم ، وعمل على ترجمات للقرآن الكريم بلغات مختلفة ودأب عليها سنيناً طويلة ، وكذلك أخرج إلى النور كتباً عديدة عن الإسلام بلغات أوروبية عديدة .

الشرط الوحيد

كنا داخل السجن نتحدث عن آمال كبيرة وكأننا سنخرج غدا ويفصح بعض الشباب عن تصوره لزوجة المستقبل والصفات التى يراها جديرة بها ، والتى يعتبرها شروطا لا يجب أن يتنازل عنها ، وكان عبد الحليم ضمن هؤلاء الذين حلقوا فى الخيال ، لكن الأيام والسنين تمر وعوامل الزمن تظهر فى ملامح الحالمين ، ويتنازل عبد الحليم كل فترة عن شرط من الشروط ، حتى جاء اليوم الذى نمازحه كما عودنا ، وقلنا له : « ماذا عن الشروط يا عبد الحليم ؟ » فقال : « يبدوا أنها تبخرت كلها مع الزمن ، وأصارحكم أننى تنازلت عن كل الشروط عدا شرطا واحدا لن أتنازل عنه أبدا » .

وكأننا فى مؤتمر صحفى نسمع التصريحات وننتظر بشغف أن نسمع هذا الشرط المهم الذى بقى ولن يزول ، فقلنا : « وما هو هذا الشرط يا فيلسوف الغبراء ؟ » فنظر إلينا مقهقها ثم قال : « إن شرطى الوحيد الذى أتمناه لى ولكم فى زوجة المستقبل أن تكون أنثى... !! »

« يا له من مستقبل مجهول أتنبؤنا بهذا يا سقراط ؟ » هكذا قال بعض الشباب ، وانهال بعضهم عليه والبعض الآخر استغرقه الضحك حتى استلقى على ظهره .

هذا هو عبد الحليم خفاجى الذى يصفه بعض الناس بأنه فوضوى ، والبعض الآخر يقول عنه أنه صاحب فلسفة فى الحياة وأطلق عليه سقراط.

مأوى الكلالة

صاحبت عبد الحليم داخل السجن وخارجه وتوطدت علاقتنا يوما بعد يوم ونحن فى طريق الحياة ، وبالرغم من أننى أعيش فى قريتى أجهور الرمل إلا أنه كان لا يمر أسبوع إلا وأكون عنده فى سكنه فى حلوان .. لقد استأجر بعد خروجه من السجن شقة على أطراف العمران فى مواجهة الصحراء ، وكان سكنا صحيا ويفى بأغراض عبد الحليم وطريقته فى الحياة، يأتيه الكلالة من أنحاء الأرض ينامون عنده ، ويتقاسمون معه اللقيمات ، أليس هو رئيسهم وقد أصبح له مكان يؤويه ، وبعضهم لا مكان له ؟! ألا يحصل على مرتب من وظيفته فى الشئون القانونية بوزارة التربية والتعليم وبعضهم لا دخل له ؟ لأننا قريبوا عهد بالخروج من السجن ، كانت الشقة صغيرة لكنها كانت تسع أعدادا كبيرة ينامون على الأرض أو على سجادة صغيرة بالية مفروشة فى جزء من الحجرة ، وكان الطعام الذى يقدمه لا يزيد عن وجبة الفول ، وكلما زاد العدد ينادى على أخيه توفيق أن يزيد الفول بالماء فى القدر الكبير الموضوع على النار ، وما عليك إلا أن تنافس الحاضرين فى اصطياد حبات الفول فى الطبق المملوء بالماء ، ثم تجهز معهم على ما فيه من ماء ويصبح الطبق فارغا نظيفا حتى يحق لك أن تطلب من عبد الحليم أن يملأه مرة ثانية ، وحتى تكون الوجبة كاملة ولها مذاق فإن عبد الحليم يمدك بطبق آخر مملوء بالشطة الحريفة المخللة فى الملح والماء ، فتأكلها بشهية مع البصل ، لكن أحدنا يتأوه ويصيح من شدة الحرقان ، ويطلب من عبد الحليم أن يرحمنا ويقدم بدلا عنها الفلفل البارد ، فيرد ضاحكا : « هذا القدر الحريف يمكث أسبوعاً ، ولو قدمت غيره فلفلا باردا لانتهى فى يوم واحد ، والميزانية لا تسمح » .

قلت له ذات مرة : « يا عبد الحليم ألا تعتقنى من الفول ؟ لقد أكلت منه فى السجن ما لا يقل عن عشرة أرادب » ، فقال : « إننا نقوم بطبخ بعض الخضراوات فى بعض الأيام إلا أننا نلاحظ أنك لا تأتى إلا فى أيام الفول الذى تعودت عليه داخل السجن ، ولأنك لا تخل بالقاعدة ولا تأتى إلا أيام الفول ، فإننى حينما أحتاجك وأرغب فى حضورك فإننى أقول لأخى توفيق جهز الفول وسوف يأتى الأخ محمود حامد حالا ، وفعلا يأتى الأخ محمود لا يتأخر ، فماذا أفعل وبينك وبين الفول ارتباط طويل الأمد؟ » .

لقاءات فى وزارة الداخلية

كنت أوافقه على كثير من الآراء التى تبدو غريبة فى أول الأمر بل أشاركه فى خطوات التنفيذ ، إليكم مثالين لذلك ، فى أحد الأيام قال لى : « إننى أريد أن أفتح حوارا مع جهاز أمن الدولة((المباحث العامة آنذاك)) وأنا لا أخاف هذه الأجهزة ، ويجب أن ندخل عليهم الباب ... ونقول رأينا فيما حدث فى الماضى » ، قلت له: « ومن بالتحديد ستتحدث معه ؟ » قال: « الشخصية البارزة فى هذا الجهاز الآن والذى تعامل معنا ، ونسبة كبيرة من قضايانا فى يده هو فؤاد علام » وبالطبع كنا نتعامل مع هذه الأسماء بدون ألقاب أو رتب حتى مع وزير الداخلية لأنهم لا يلبسون الملابس العسكرية ولا نعرف رتبة كل واحد منهم ، والمهم أننى وافقته على الرأى وذهبت معه إلى وزارة الداخلية ، والتقينا بفؤاد علام ومعه بعض الضباط فى الدور الرابع أو الخامس – على ما أذكر – فى المبنى الخاص بالمباحث ، وتكررت الجلسات مرات ، وفى كل مرة كنا نصحب معنا أحد الإخوان مثل الحاج عز العرب فؤاد رحمه الله ، وكنا نستفيد من هذا الحوار بأن نسرد الحقائق الغائبة التى توضح مواقفنا ، وتنقى الأجواء من حولنا وتساعد فى حل

مشكلات كثير من الإخوان الذين خرجوا من السجن ، ولم أكن أنا بالطبع مجهولا عند فؤاد علام فهو الذى أشرف على التحقيق معى أياما طويلة فى وجود أحمد رشدى قائد سجن أبى زعبل ووزير الداخلية فيما بعد .

هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية
ختم المكتب
الرقم
كلمات
الوقت
طريق
ارسل
الوقت
To
الجزء الآتى لا يدرج بالتلغراف
Not to be telegraphed
العنوان
Address
الامضاء
Signature

أرسلت اليّ هذه البرقية بمناسبة وفاة والدي

لقاء فى بيت فؤاد علام

ولقد التقيت مع فؤاد علام مرة ثانية بعد فترة طويلة من الزمن كاد فيها أن ينسانى ، فقد اتصل بى عبد الحليم من ألمانيا بعد وصولى مباشرة من السعودية وأخبرنى أنه حدث اتصال بينه وبين فؤاد علام أكد فيه لعبد الحليم أنه لا خوف عليه إذا نزل إلى مصر ولن يكون اسمه مدرجاً عند العودة فى المطار وتواعدنا على اللقاء فى بيت فؤاد علام ، وحدد لى الموعد وأعطانى عنوان البيت. وفى الموعد المحدد .. ذهبت إلى البيت وتأخر عبد الحليم لأنه نزل من التاكسى وترك حقيبته ليتحدث فى التليفون ، فغافله السائق

وأسرع بالتاكسى ليفوز بالحقيبة ، وترك عبدالحليم ليتحدث كما يشاء فى التليفون .

كان السكن فى الدور الثانى من العمارة ، وله سلم خاص من الخارج يقف عليه المخبرون ، وانتظارى لعبد الحليم ولو دقائق فى هذا المكان سيضعنى موضع الشك ، فتقدمت على الفور وطلبت من أحد المخبرين بلهجة حازمة أن يسمح لى بالصعود وأعلمته باسمى ، فنظر إلى فاحصا ، ثم اتصل من مكانه بفؤاد علام الذى فتح الباب على الفور وخرج على الدرج الأول يدقق النظر فيّ ثم قال : « تفضل » ، وصعدت السلم وهو يحاول أن يستجمع ذاكرته حتى وصلت إليه ، ومد يده بالسلام ، فأيقنت أنه قد عرفنى، وبعد أن جلسنا رحب بى وسألنى عن عبد الحليم فقلت : « لا أعرف لماذا تأخر ولكن حتى يصل فإننى سأصلى العشاء »، فقال: «وأنا سأصلى معك »، وقدمنى لأصلى به إماما ، وبعد أن انتهينا من الصلاة قال لى : « إننى على سفر غدا إلى السعودية لعمل عمرة » .

ثم بدأنا نتحدث عن الأوضاع السياسية العالمية حتى دخل عبد الحليم وقص علينا قصة الحقيبة وكيف أن السائق هرب بها ، فقال له فؤاد علام : « يا شيخ عبد الحليم هو فيه واحد فى هذا الزمن يظن خيرا أو يسلم لأى إنسان ويترك حقيبته بهذه الصورة ؟! على كل حال لا عليك غدا اذهب إلى « فلان » فى مبنى المجمع وسيستخرج لك جوازا جديدا فى الحال ، ثم ابدأ فى عمل إجراءات جديدة فى القنصلية الألمانية » .

واسترسلنا فى تفسير الظواهر السياسية العالمية وأثرها على منطقتنا العربية والإسلامية وبالأخص مصر ، وذلك قبل أن يستفحل أمر أمريكا بصورتها الحالية ، واجتمعت أنا وعبد الحليم على رأى واحد مؤداه: أن

أمريكا ومن ورائها اليهود يديرون المعركة على مستوى العالم ، وأثرهم واضح فى مصر ، حيث تتحرك الأجهزة فى مصر وفق المخطط الأمريكى ، وإن الضربات الموجهة للإسلاميين فى مصر من قبل الاتحاد السوفيتى تسير وفق المخطط الأمريكى الذى سيتسلم زمام المعركة المكشوفة فى الأيام القادمة .

ولكن فؤاد علام لم يسلم بهذه المقولة ، وبدأ يدافع ويناوش باعتباره جزءا من النظام ، وعلى رأس جهاز من أهم أجهزة الحكم فى مصر .

ولكن الأمر جد خطير ، فبالرغم من أن الأعداء تكالبوا علينا وبدت البغضاء من أفواههم ، وأعلنها بوش حربا صليبية ، ونحن فى حاجة إلى تجميع صفوفنا والتراحم فيما بيننا ... إلا أن هناك نفر من الأمن لا يفهمون طبيعة المعركة ولا يعرفون دورهم الحقيقى ، فيفرغون كل طاقاتهم فى سلخ ضحية من الضحايا التى يصطادونها ... ويتلذذون فى تعذيب هذا المسكين الأعزل الذى لا يملك من أمره شيئا ، وكان من الأجدر بهم أن يتخلصوا من ثورة هذا الشباب بتوجيه طاقاتهم نحو عدو مشترك ، أو إفراغ هذه الطاقات فى مشروعات البناء والأعمار ، وتنصرف الأجهزة إلى علاج السلبيات التى طغت على حياتنا .

ومنذ فترة دار حوار حضارى بينى وبين أحد ضباط الأمن ، قلت له « تأذن لى أن أحدثك بصراحة ؟ » قال : « تفضل » قلت له : « أنت مظلوم لأنـك تـؤدى دورا لا تعـرف طبيعتـه » ، فتعجـب مـن قـولى وقـال : « كيف ذلك ؟ » قلت له : « إن ما تؤديه هو خدمة للمخابرات العالمية ، التى ترسم سياسات الدول النامية أو المتخلفة ، وتجبرهم بأساليب متنوعة على تنفيذ هذه السياسات ، بل إنها تحدد لهم طريقة التنفيذ وتتابعهم فى ذلك.

وفى النهاية أنت مستهدف مثلنا » ، ثم نظرت إليه وقد تغير وجهه وودعته وانصرفت.

يا رب النصر .. متى غدنا ؟؟

أنتقل إلى المثل الثانى من عجائب عبد الحليم ، فى أحد الأيام أخبرنى أن عبد العال سلومة مريض بمرض خطير ، وموجود فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ، وقد سبق الحديث عن عبد العال سلومة فى أنه كان يد المباحث التى امتدت بتعذيب الإخوان واضطهادهم فى كثير من السجون ، وقد عرض عبد الحليم فكرة أن نزوره فى المستشفى بالرغم من تشديد الحراسة عليه ، حتى يرى فينا سماحة الإسلام وأخلاقياته التى تربينا عليها بالرغم من قسوتهم علينا إلى حد الموت ، فقلت له : « وكيف الدخول ؟ » قال : « أنت الآن تلبس قميص كاكي ، وأنت فى ملابسك تشبه الضباط ، وما عليك إلا أن تسير بانتباه وانتظام وأنا بجانبك أو ورائك » ، ونفذت ما اتفقنا عليه .

وكلما مررت بعسكرى وخاصة أمام مدخل المصعد ومخرجه أقول بلهجة آمرة : « فين عبد العال بك » فيشير العسكرى إلى الطريق المؤدى ... حتى دخلنا عليه وبجواره بعض الضباط ، فنظر إلينا باندهاش مشوب بالخوف ، وجحظت عيناه وفتح فاه ثم قال : « مش معقول » فرد الأخ عبدالحليم : « ليه مش معقول؟ لقد عشنا أياما طويلة معك ومن الواجب أن نزورك وأنت فى مرضك » .

فتوجه إلى الضباط ليحدثهم عن عبد الحليم خفاجى ومحمود حامد وإخوانهم ، ويقول هؤلاء هم صفوة شباب مصر ورجالها الأوفياء ، تذكرت

في نفسى قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ (1) وهى الآية التى خاطب الله بها فرعون عند الغرق ثم ودعناه وانصرفنا .

وهكذا كنت وكان عبد الحليم ... بعد أن خرجنا من السجن.

وتذكرت ما كان يقوله عبدالحليم من أبيات الشعر فى عبدالعال سلومة ونحن داخل السجن :

هــذا الرقطــاء برمتهــا	لونــا وخصــالا مذمومــة
يــا رب النــاس ومــالكهم	يــا رب العــرش وقيومــه
يــا رب النصــر متــى غــدنا	يأتينــا يُــرغم خيشــومه
لــيرى المغــرور ضــآلته	ويــرى الويــة مرســومة
وجنــود الحــق مكــبرة	وجنــود الباطــل مهزومــة

في بيت فؤاد سراج الدين

اتفق معي عبد الحليم على أن نقوم بزيارة إلى فؤاد باشا سراج الدين رفيق النحاس باشا وزعيم حزب الوفد ، وذلك على خلفية العلاقة التي نشأت بينه وبين الأخوان حين نزل ضيفا علينا في سجن القناطر مع مجموعة الوفدين في سبتمبر عام ١٩٦١م ، أذكر منهم : « إبراهيم فرج واللواء عاطف نصار وشعراوي باشا وعبد اللطيف المردنلي » وغيرهم من أصحاب الألقاب.

(١) سورة يونس الآية ٩٠، ٩١.

وكان هذا الاعتقال بعد انفصال سوريا ، وقام الإخوان بدورهم في التخفيف عن هؤلاء المعتقلين ، وتسهيل حياتهم ، وعقد اللقاءات مع قيادات الوفد ، وتطورت اللقاءات إلى علاقات وصداقات أخذت حدا بعيدا مع فؤاد سراج الدين.

وفي هذه الزيارة في قصر فؤاد سراج الدين بجاردن ستي تجاذبنا معه الحديث عن الماضي في حضور بعض أفراد الوفد ، وشاركنا تطلعاتنا نحو المستقبل ، وأحسن ضيافتنا بكرمه وخلقه.

مع فؤاد سراج الدين في قصره " بجاردن سيتي "

علاقات متنوعة

ولم يكن نمط الصلة مع عبدالحليم هو النمط الوحيد الذى أعرفه ، بل كانت لى صلات من نوع آخر لها طابعها الخاص ، وحساباتها المختلفة ، وكنت أجد نفسى فى العلاقتين ، وأسعد بالعيش فيهما معاً .

نشأت بينى وبين الأستاذ كمال السنانيرى علاقة لها طابعها التربوى بحكم تواجدى معه فى حجرة واحدة بسجن الواحات ، لكننى كنت أسعد كغيرى من الإخوان بمصاحبة الآباء والمربين ، والجلوس معهم ومعايشتهم، والإنصات إليهم ، مثل « الأستاذ عمر التلمسانى ، والأستاذ حامد أبو النصر، والأستاذ محمد مهدى عاكف ، والشيخ أحمد شريت ، والأستاذ صلاح شادى وغيرهم » ، ولكل واحد من هؤلاء له شخصيته المتميزة وأداؤه المتفرد ، ويستطيع أى واحد من الشباب أن يأخذ عن كل هؤلاء الذين اغترفوا من معين واحد ويصبون فى اتجاه واحد .

الأستاذ / عمر التلمسانى

الأستاذ / حامد أبو النصر

الأستاذ / مصطفى مشهور

الأستاذ / محمد مهدي عاكف

لكن الصلة الخاصة التى نشأت بينى وبين الأستاذ مصطفى مشهور كان لها أثرها فى داخل السجن وخارجه ، وذلك لأنه كان يحب أن تقوم بينه وبين الشباب علاقة مبنية على أسس تربوية ، تعتمد على نظرة مستقبلية تتطلبها المرحلة القادمة .

وقد بدأ مبكراً داخل السجن يبذل الجهد فى الترميم وإعادة البناء ، والإعداد للمستقبل بخطوات ثابتة ، ويقين لا يتزعزع ، فكان يصطحبنى على مهل حول عنبر السجن حينما تسمح الظروف ليبنى معى علاقة بحكم أنه رائد ومربى ، ويتطرق معى إلى آفاق المستقبل الذى ينتظر هذه الدعوة ، مستلهما وجهة نظره من السنن الكونية فى الدعوات ، ومن الصحبة الممتدة فى التاريخ مع الأستاذ حسن البنا ، ومن دوره التاريخى فى البناء والتنظيم داخل كيان الإخوان المسلمين .

وعلى وقع أقدامنا فى الخطوات التى سرناها ، أكد لى أنه مهما كانت الظروف من حولنا سواء طال الزمن أو قصر ، فإننا بإذن الله سنلتقى خارج السجن ، ونبدأ مشوار تحقيق وعد الله لنا .

وبعد أن تركت الحاج مصطفى فى سجن الواحات ، ورحلت إلى سجن القناطر الخيرية أرسل لى هدية مع أحد الإخوان الذى لحق بنا بعد فترة ، كانت عبارة عن صندوق صغير من الكرتون ، مملوءاً بأنواع الخضراوات التى كان يشاركنى فى زراعتها خلف عنبر السجن ، وفرحت بالهدية واعتبرتها رمزاً للتواصل .

ونظراً لأن الإخوان خرجوا من المعتقلات والسجون فى المرة الثانية بدون علاقات تنظيمية إلا أنهم كانوا يلتقون ويتزاورون ويتبادلون وجهات النظر من وحى داخلهم المنظم الذى عايش النظام فى حضن الدعوة فترة طويلة من الزمن .

ولقد افترقت عن الحاج مصطفى حوالى العشر سنوات فى سجون متعددة لكننا فى النهاية خرجنا والتقينا ، وطلبت منه أن يزورنى فى بيتى الريفى الصغير ، فطلب هو منى أن تكون زيارة عمل يجلس فيها مع

الشباب، وكان ذلك على وجه التقريب في عام ١٩٧٣ .

وفى المساء وبعد العشاء فى ظلمة القرية التى لم تعرف الكهرباء بعد ، وصل الحاج مصطفى ، وفى صالة طويلة مسقوفة بالخشب والقش ، وعلى الضوء الخافت المنبعث من لمبة الجاز جلس الشباب يسمعون منه تجربة الماضى وعهد الله على المضى فى طريق الدعوة مهما كانت العقبات .

وقد ذكّرنى الحاج عيسى عبد الغفار بأنه كان أحد شباب هذه الليلة ، وذكّرنى ببعض تفاصيل ما دار فى الجلسة ، كذلك ذكرني الأخ أحمد حسبو بهذه الليلة.

ولا أنسى أننى حينما كنت أزوره فى مقره بالمنيل بعد أن صار مرشدا للإخوان ، كان يختلى بى وبمن معى من الشباب ليوصينا ، ويشد على أيدينا، ويذكّرنا بما نسينا ، رحمه الله وجمعنا به فى الآخرة .

وإذا كانت الشخصيات التى ذكرت نماذج من الرجال ذات طابع قيادى وحركى فإنى لا أنسى نوعاً آخر من الشخصيات كان لها وجود فى حياتى.

فالأخ محمدين بخيت ، والأخ شكرى رباح ، نماذج ربانية لا يختلف عليها أحد من الإخوان ... نوعيات فريدة فى هذا الزمن ، وقد منحهما الله إمكانيات طبيعية فى التكوين النفسى والروحى ، من الصعب جداً على الإنسان العادى بالتدريب أن يرتقى إلى المستوى الذى وصلا إليه فى علاقتهما بالله .

فالأول هادئ تكاد لا تسمع له صوتاً ، لكنه يريحك إن استأنست به لحظات أو أياماً فى زنزانة ، وبالرغم من هدوءه الغريب فإنه كان أحد المسئولين فى سجن القناطر ...

وأما الثانى فإنه يُسند ظهره إلى حائط ، ويفرد ساقيه إلى الإمام ، ثم يُغمض عينيه ليستمر فى قراءة القرآن الذى يحفظه ولا يتوقف إلا إذا استدعى لأمر من أمور حياتنا فى السجن كتجهيز الطعام وغيره من الأعمال التى نُكلف بها ... وأخونا شكرى رباح من أهل النوبة وينطوى على فطرة نقية وبسيطة ، يصدقك فى الحال وأنت تمزح معه ، لأنه لا يعرف للحديث أبعاداً أو خلفيات .

هذه النماذج كان لى بها معرفة وعلاقة استمرت مع الأول حتى بعد خروجنا من السجن .

الفصل الثاني عشر

إلى أرض الحجاز

السفر إلى السعودية

كنت قديما أسمع أن فلانا سيسافر إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج ، وكانوا يودعونه بالزغاريد ثم ينتظرونه أياما طويلة ، لأن وسائل السفر كانت بدائية ، وقبيل عودته يستعدون لاستقباله بطلاء واجهة البيت ، ويقوم أحدهم بعمل بعض الرسوم البسيطة التى تعتمد على شكل الجمال التى تحمل الحجيج أو تحمل « كسوة الكعبة » ويكتب تحتها « حج مبرور وذنب مغفور » .

استرجعت هذا الماضى وهذه الصور من حياة الناس البسطاء، وتشوقت لأن أقوم بهذه الرحلة ، وأهاجر من هذه الأرض التى حبسونى فيها وتآمروا على قتلى فى لياليها الطويلة... إنى أريد أن أبتعد عن هؤلاء القوم الذين يترصدوننى ويتربصون بى ، ويتحينون الفرص للانقضاض على ، أريد أن أهاجر إلى أرض الله الواسعة... إلى رحمته ومغفرته فى أرض محمد بن عبد الله... ها هى الفرصة بعد الشوق قد واتتنى، واعتبرتها تسرية من الله عنى بعد طول عناء ، وراحة لى بعد هذا السفر الطويل ، ومكافأة لى على امتحان وبلاء صبرت عليه ، وتلبية لرغبتى فى أن أسافر إلى أرض الحجاز، تلك الأرض الطيبة التى تغنيت بها فى خيالى... ، لقد تمت الموافقة على إعارتى كمدرس فى مدارس المنارات بمدينة جدة على مقربة من مكة المكرمة ، وعلى خط تحرك الحجيج إلى المدينة المنورة...

يا لها من مكافأة سخية بعد هذا العناء !! سأخرج من مصر وأركب الطائرة رغم أنف الذين تحدوا القدر ، وزعموا أن المفاتيح بأيديهم ،وأنهم لن يفتحوا باب السجن أبدا، سأرحل إلى الأرض التى شرفها الله ، وهناك فى مكة المكرمة وفى المدينة المنورة سأقدم شكواى بين يدى الله وفى حضرة

رسوله ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [1].

حزمت أمرى على السفر وجهزت متاعى ، لكن زوجتى فزعت وهالها الخبر ، تخوفا من الوحدة فى بيت صغير يطل على المزارع فى نهاية العمران ، وتحسبا للمصير بعد فراق الزوج ومعها طفلان ترعاهما ، لكنها تماسكت ، واشتركت معى فى الإعداد ، وشاركتنى النظر إلى المستقبل ، وودعتنى ومعها طفلاى حتى المطار .

ولأول مرة سأركب الطائرة بعد أن كنت أركب الحمار ، وأبدأ مرحلة جديدة من حياتى وعمرى خمس وأربعون عاما.

فى مطار جدة

كان الأخ رشدى عفيفى « ملك السجن » قد سافر إلى جدة قبلى بعام، وسألته عن احتياجاتى هناك والأشياء التى يمكن أن أصطحبها معى ، فقال لى خذ معك ملابسك الخاصة ولكن لا تأخذ معك نقودا مصرية لأنك لن تستعملها ، وسوف تحتاج إلى العسل الأبيض والجبن القديم مع « المش » [2] فأملأ علبتين بهما.

ولمّا دخلت مطار القاهرة كانت الإجراءات آنذاك بدائية إلى حد ما فلم يكن الكمبيوتر قد اخترع ، ووصلت حسب الإجراءات المتبعة إلى أرض المطار بجوار الطائرة لأتعرف مع الركاب على حقيبتى حتى يأخذها منى الحمّال ويضعها فى الطائرة ، لكن الحَمّال نظر إلى وقال : « مع

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

(٢) المش هو السائل الحار المعتق شديد الملوحة تصنعه الفلاحات من بقايا منتجات الألبان ليضعن فيه الجبن القريش حتى يصير جبنا قديماً .

السلامة ولم يرفع الحقيبة » ، فأدركت من نظرته ولغته أنه يريد منى نقودا كما يحدث فى كل المصالح الحكومية حتى تقضى الحوائج ، فقلت له « معذرة كنت أتمنى أن أعطيك نقودا ولكن للأسف ليس معى نقود » ، فأشاح الرجل بوجهه غاضبا وكأنه يتوعدنى، وفى مطار جدة تسلمت حقيبتى وسحبتها خلفى إلى مكان التفتيش ، لكننى بعد خطوات نظرت خلفى لأتأكد أننى أسحب حقيبتى التى استعرتها من ملك السجن ، فوجدت خطا على البلاط يلمع ورائى يتتبع مسارى وينتهى عند الحقيبة ، فسحبت حقيبتى خطوتين فوجدت أن الخط يخرج منها ، وعندئذ تأكدت أننى صاحب هذه البصمات .

انتحيت جانبا ، وفتحت حقيبتى ، فهالنى ما رأيت وما شممت ، لقد اختلط العسل الأبيض بالمش الأحمر القاطع ، واختلط مع كل شيء فى الحقيبة ، وشربت ملابسى من هذا المزيج الحار ، وفاحت رائحة المش النفاذة فى كل مكان ...

يا الله !! ماذا حدث ؟؟ لقد ضربت العلبتان بآلة حادة...!! سامحك الله أيها الحمال... لو كان معى نقود لأعطيتك لأحول بين نفسك وبين هذا العمل الوضيع ، لا عليك فنحن ما زلنا فى زمن الاشتراكية والقطاع العام ، وأنت فرد من هذا القطيع الذى يعيش ويمرح فى هذه « التكية » لكن ماذا أفعل الآن ؟ !! إننى فى غاية الحرج وأنت أيها الحمال لا تحس بى ، بعض الركاب يشمون رائحة المش ويبتعدون عنى ، ينظرون إلى ويعرفون عادات الريف لكنهم يريدون أن يقولوا شيئاً...

وعبثا حاولت أن أجفف هذا السائل بفوطة كانت فى داخل الحقيبة لكنى لم أستطع إلا تجفيف جزء منه فأغلقت الحقيبة وكدت أرميها بما فيها، لكنى حديث عهد بالإجراءات وبالسفر والمطارات ، وتسيطر على ريفيتى

فى التصرفات والحرص على البسيط الذى فى يدى حتى يتبين لى الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

وأخيرا حملت الحقيبة ووضعتها أمام رجل التفتيش الذى رفض أن يمد يده فى هذا الخليط وأشار إلى بسرعة غلق الحقيبة والتحرك إلى خارج المطار، وركبت السيارة التى كانت فى انتظارى ، ومن قدر الله أن سائقها كان مصريا أعاننى على لم شعثى فهو مثلى ، وأظنه قد مر بهذه التجربة ولكن فى صورتها السلمية.

(فى مدارس المنارات بمدينة جدة)

(فى مدارس المنارات بمكة المكرمة)

الرحلات والمعسكرات :

منذ طفولتى وأنا أعشق الرحلات والمعسكرات، فهى ميدانى الذى أتنافس فى سباقاته ، ومكانى الذى أتربى فيه ، ومجالى الذى أهواه ويتناسب مع تكوينى النفسى والبدنى، ولقد زاولت هذه الهواية برغبة عارمة فى مراحل عمرى قبل أن أدخل السجن، وكان لها أثرها فى تربيتى وتكوينى البدنى مما ساعدنى على أن أعبر مراحل السجن بقدر من الأمان... وهذه الهواية والرغبة الملحة فى نفسى لم تنته بفعل الزمن وعوامل التغيير فى السجن، بل ظلت كامنة حتى برزت بصورتها الواسعة حينما حانت الفرصة ومنَّ الله على بالحرية ، فزاولتها فى السن الكبير وبعد الأربعين لازلت أزاولها حتى الآن بعد السبعين.

كانت المدارس فى السعودية تهتم بهذا اللون من النشاط وخاصة مدارس المنارات التى كنت مدرسا بها ، ووجدت نفسى تلقائيا أقود هذا النشاط ولكن بصورة أوسع وإمكانيات أكبر . وفتح لى هذا النشاط مجال السفر إلى الخارج وتحمل تبعات عدد كبير من التلاميذ يركبون الطائرة ويقضون أياما خارج وطنهم ، وهنا تلتقى أهداف الرحلات وأهداف المعسكرات فى زمن واحد ونشاط واحد ، فتحقق النتائج التربوية المرجوة.

على شاطئ البحر الأحمر وعلى قمم جبال الطائف أقيمت المخيمات، وكنت أحرص على أن تضم هذه المخيمات أعدادا كبيرة من جنسيات مختلفة ، وكان التلاميذ على اختلاف مشاربهم يحبون هذا اللون من النشاط ، وأنا بالتالى أقبل من كل واحد منهم مهما كانت سلوكياته ونزواته ، فالمخيمات وسيلة راقية وناجحة فى جذب التلاميذ وتربيتهم والسمو بعاداتهم ونزعاتهم بأيسر الطرق وأقل التكاليف ، وميدان عملى

لتطبيق كل النظريات الأخلاقية ، حتى لو تعود التلميذ عادة واحدة حسنة وأقلع عن عادة واحدة سيئة ، فالتربية فى هذا المجال لا تكون بالكلام ولا بالمواعظ ، بل تخضع للجو العام المنضبط فى المعسكر الذى يستلهم منه التلاميذ بالحواس والجوارح تحت إلحاح الفوز فى السباقات المتعددة ، والنداءات الخفية لظهور المواهب والتطلعات فى جو تنافسى نظيف.

وتوأم المعسكرات فى التربية هى السياحة فى الأرض ، ولقد أتيحت لى الفرصة أن أقوم بعدد كبير من الرحلات داخل السعودية وخارجها بصحبة عدد كبير من التلاميذ استعنت ببعضهم فى الأعداد والتنظيم والقيادة وفق خطة موضوعة وأهداف واضحة ، ولئن كان الترويح عن النفس هو الهدف الظاهر لهذه الرحلات فإن أهدافاً أخرى يجب أن تكون فى حس القائم على هذا النشاط ، ويجب أن لا يقل الهدف التربوى عن الهدف الترويحى وأن يكون تماما كما هو موجود فى المعسكرات على أساس التدريب وتحمل المسئولية والارتقاء بسلوكيات التلاميذ ، علاوة على ذلك فإن الرحلات وسيلة لجنى المعلومات من المشاهد والمعالم وطبيعة البلاد وعادات السكان.

وعلى أساس هذا المفهوم قمت بالرحلات الداخلية إلى جنوب السعودية فى منطقة الإحساء وخاصة حول مدينة أبها فى جبالها العالية السياحية ، وإلى المنطقة الشرقية حيث الواحات وعيون المياه فيها والمناطق الشاسعة لأشجار النخيل وبعض المزروعات ، وحيث منابع البترول وتكريره ، وشركة أرامكو التى تقوم بهذه المهمة ، ثم مصانع شركة سابك التى تتولى أمر صناعة البتر وكيماويات.

فى زحام القاهرة الكبير وفى ليلها الطويل الساهر ، فسحبت كرسيا وجلست عليه فى مدخل الفندق بجوار حراس الأمن وأعلمتهم بأمرى ، لكن أخا كبيرا لهذا التلميذ كان معنا ولم أجده مكترثا بغياب أخيه وطمأننى أنه معتاد على هذا الشرود حينما يكون مع والديه فى زيارة القاهرة ، وكان هذا التلميذ سعودى الجنسية ، وهو ضمن مجموعة من التلاميذ من جنسيات متعددة — منها السورى واللبنانى والأردنى والمغربى والمصرى... وفى النهاية وقفت سيارة تاكسي أمام الفندق ونزل منها التلميذ ولا يبدو عليه الاكتراث وكأن شيئاً لم يكن وبكلمات قليلة معه عرفت أن الحساب معه لا يجدى ، فحمدت الله على عودته وخروجنا من هذا المأزق بدون خسائر.

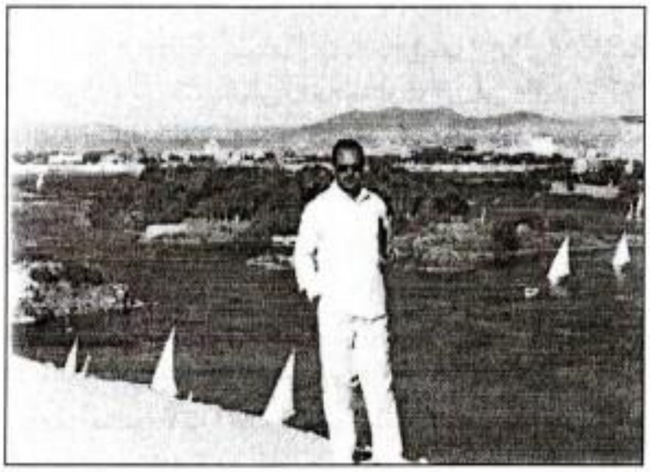

فى مدينة أسوان - رحلة مدارس منارات جدة-

الآذان التركي

ومن اللحظات الجميلة التى لا تنسى ونحن فى تركيا أن كانت إقامتنا فى أحد الفنادق الفخمة يقع على مضيق البسفور فى مدينة استانبول بتركيا ، وقبل الفجر بدقائق سمعت ترانيم جميلة تسرى بين المبانى العالية تلاها صوت الآذان التركى الذى يزداد سريانا فى كل أنحاء المكان ، ودخل صوت المؤذن الجميل غرفتى ، وفتحت الشباك لأطل على السكون وأروع المشاهد فى هذا الحى الهادئ وأسمع أحلى أصوات الأذان من الأتراك أصحاب التاريخ العظيم ، وكأن المؤذن يتغنى بهذا الماضى من خلال نبرات صوته فى صورة ألحان إيمانية تذكره بالماضى وتعده بالمستقبل الذى يتمناه ويصر عليه كأنه آت لا ريب فيه ، والزمن يدور والله يسمع صوت هذا المؤذن ، أما أنا فأحسست أنى فى القاهرة أسمع فى فجرها الآذان يتردد من مآذنها الكثيرة ، وسرحت بخيالى وسبحت بوجدانى فى ماضى تركيا الذى تآمروا عليه ، لكن هذا المؤذن يؤكد على أن الماضى موصول بالحاضر والمستقبل ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (1).

لقد سمح « عصمت إينونو » الرجل الثانى بعد كمال أتاتورك بالآذان باللغة العربية كمكسب سياسى وشعبى لكنه دفع ثمن هذا اللعبة غاليا ، لقد أعدموه لأنه أخطأ التقدير وذكر الناس بالماضى فبكوا فى الشوارع عند سماع أول آذان باللغة العربية.. مجرد سماع الآذان أضاع كل جهودهم فى محو الإسلام وعاد الناس من جديد... يا له من إسلام عظيم!!!

(1) سورة الصف الآية ٨.

- مدارس منارات جدة - فى رحلة إلى مدينة أبها وتضم جنسيات متعددة سعوديون وسودانيون ومصريون (أيمن محمود حامد) وسوريون ولبنانيون

أما المنطقة الشمالية فكانت لزيارة المدينة المنورة والصلاة فى مسجدها والسلام على رسول الله ﷺ ، مرورا بالمواقع التاريخية كموقعة بدر والسلام على شهدائها ، وموقعة أحد والسلام على سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورفاقه المدفونين فى أرض المعركة وتعيين موقع جبل الرماة وكيف دارت المعركة ، ثم اتجهنا إلى مناطق الحرة الشرقية والغربية لمعرفة طبيعة تلك الصخور النارية ذات الرءوس المدببة التى كانت تحمى المدينة من الغزاة.

ومنها انطلقنا إلى الثغرة المفتوحة من الجنوب فى أرض بنى قريظة، وشاهدنا بقايا حصن كعب بن الأشرف ، وكان الرسول ﷺ قد عقد مع اليهود اتفاقا في صحيفة الموادعة التي كتبها معهم ومع كل القبائل في المدينة أن يسدوا هذه الثغرة فى غزوة الأحزاب.

فى موقع غزوة بدر أمام قبر الشهداء

بقايا حصن كعب بن الإشراف فى بنى قريظة (رحلة مدارس المنارات)

أمام بقايا مسجد من أيام الرسول ﷺ فى المنطقة الشرقية
بالمملكة العربية السعودية

أما مكة المكرمة فقد كانت لها خصوصية فى الزيارة حيث يرتدى التلاميذ ملابس الإحرام ويطوفون حول البيت فى طابور حيث يفسح الناس لهم ويقترب منهم الباكستانيون ليلمسوهم بأيديهم حبا فيهم وتقربا إلى الله بهم لأنهم أطفال بين يديه.

مع تلاميذ منارات مكة المكرمة بملابس الاحرام لأداء العمرة

أمام غار ثور بمكة المكرمة

كانت تلك بعض الرحلات الداخلية الهادفة لكن الرحلات الخارجية كان لها إعداد آخر وترتيبات أوسع تأخذ فى الحسبان إقناع ولى الأمر وموافقته أن يترك لك ابنه لمدة أسبوع أو أكثر تخرج به من السعودية إلى بلاد أخرى ، وقد يكون الابن صغيرا فى المرحلة الإعدادية يحتاج إلى رعاية كبيرة وحراسة شديدة وقد يكون كبيرا فى المرحلة الثانوية يصعب قيادته وانضباطه فى مدن كبيرة كالإسكندرية والقاهرة واستانبول ، وقد حدث فى إحدى الرحلات أن افتقدنا تلميذا صغيرا فى الصف الخامس الابتدائى ونحن نتمم على التلاميذ فى آخر جولات النهار استعدادا للنوم الساعة الحادية عشر مساء بفندق شبرد بالقاهرة ، وبحثنا فى كل ركن من أركان الفندق ولم نعثر عليه ، فتزاحمت الخواطر على عقلى ، وآلمنى أنه صغير

فى زحام القاهرة الكبير وفى ليلها الطويل الساهر ، فسحبت كرسيا وجلست عليه فى مدخل الفندق بجوار حراس الأمن وأعلمتهم بأمرى ، لكن أخا كبيرا لهذا التلميذ كان معنا ولم أجده مكترثا بغياب أخيه وطمأننى أنه معتاد على هذا الشرود حينما يكون مع والديه فى زيارة القاهرة ، وكان هذا التلميذ سعودى الجنسية ، وهو ضمن مجموعة من التلاميذ من جنسيات متعددة – منها السورى واللبنانى والأردنى والمغربى والمصرى... وفى النهاية وقفت سيارة تاكسي أمام الفندق ونزل منها التلميذ ولا يبدو عليه الاكتراث وكأن شيئاً لم يكن وبكلمات قليلة معه عرفت أن الحساب معه لا يجدى ، فحمدت الله على عودته وخروجنا من هذا المأزق بدون خسائر.

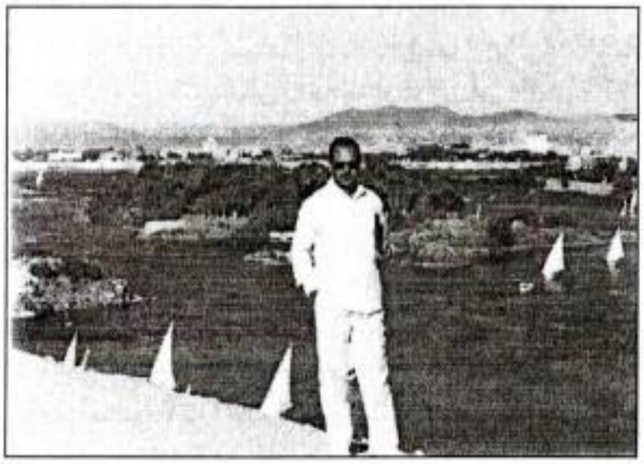

فى مدينة أسوان - رحلة مدارس منارات جدة-

الآذان التركي

ومن اللحظات الجميلة التى لا تنسى ونحن فى تركيا أن كانت إقامتنا فى أحد الفنادق الفخمة يقع على مضيق البسفور فى مدينة استانبول بتركيا ، وقبل الفجر بدقائق سمعت ترانيم جميلة تسرى بين المبانى العالية تلاها صوت الأذان التركى الذى يزداد سريانا فى كل أنحاء المكان ، ودخل صوت المؤذن الجميل غرفتى ، وفتحت الشباك لأطل على السكون وأروع المشاهد فى هذا الحى الهادئ وأسمع أحلى أصوات الأذان من الأتراك أصحاب التاريخ العظيم ، وكأن المؤذن يتغنى بهذا الماضى من خلال نبرات صوته فى صورة ألحان إيمانية تذكره بالماضى وتعده بالمستقبل الذى يتمناه ويصر عليه كأنه آت لا ريب فيه ، والزمن يدور والله يسمع صوت هذا المؤذن ، أما أنا فأحسست أنى فى القاهرة أسمع فى فجرها الآذان يتردد من مآذنها الكثيرة ، وسرحت بخيالى وسبحت بوجدانى فى ماضى تركيا الذى تآمروا عليه ، لكن هذا المؤذن يؤكد على أن الماضى موصول بالحاضر والمستقبل ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (1).

لقد سمح « عصمت إينونو » الرجل الثانى بعد كمال أتاتورك بالآذان باللغة العربية كمكسب سياسى وشعبى لكنه دفع ثمن هذا اللعبة غاليا ، لقد أعدموه لأنه أخطأ التقدير وذكر الناس بالماضى فبكوا فى الشوارع عند سماع أول آذان باللغة العربية.. مجرد سماع الآذان أضاع كل جهودهم فى محو الإسلام وعاد الناس من جديد... يا له من إسلام عظيم!!!

(1) سورة الصف الآية ٨.

امام مسجد أيا صوفيا باسطنبول - بتركيا

مع الملاكم العالمي/ محمد على كلاي. فى قصر الأمير/ممدوح بن عبد العزيز

ـ مع الشهيد الحي عبدالرحمن البنان ... في منزله بالمعادي

ومع تاريخيه المشرق في حرب فلسطين وحرب قناة السويس ، حيث قام وهو صغير السن بنسف قطار مُحمّل بالأسلحة للقوات البريطانية من داخل معسكراتهم في منطقة قناة السويس في أوائل الخمسينات من القرن الماضي – ثم تمكن من الهرب والعودة سالماً بين الانفجارات العنيفة ، والطلقات السريعة من الحراسة الكثيفة حول المعسكر .

وقد تزاملنا سوياً في سجن الواحات الخارجة وفي سجن القناطر الخيرية.

نهايـــة المطـــاف

الطريق طويل... لكنني سرت فيه...

وكنت على موعد مع الرجال الذين صنعوا التاريخ... ورفقاء الطريق لازالوا على عهدهم... منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر... يهمس فى أذنى أحدهم : « نحن لا نتأثر بعوامل التعرية يا محمود ، ويأتينا الموت ونحن صامدون فى الميدان نؤدى دورنا حتى نسقط بعامل الفناء » .

لازلت بعد السبعين من عمرى بخمس سنوات أعمل فى مجال التعليم والتربية بمدرسة الفتح الخاصة فى بنها ، ولازلت أزاول هوايتى القديمة وأشارك التلاميذ نشاطهم فى الرحلات والمعسكرات ، ورزقنى الله البنين والبنات « أيمن ، معاذ ، عمار ، صهيب ، هالة ، غادة » يخلفوننى فى ميراث البذل والعطاء على طريق الجهاد ، ويجعلون بيتى قبلة ومزارا للصالحين ، وأكدت حقى ورفعت قضايا أمام القضاء على رئيس الجمهورية ووزير الحربية ووزير الداخلية أتهمهم فيها بتعذيبى وأقاضيهم على الظلم الذى اقترفوه فى حقى ، وقد أنصفنى القضاء وحكم لى بالتعويض.

تلك هى مسرحية الحياة...

وكان الإخراج رائعا حينما أسدل الستار على أحد فصول المسرحية وأنا فى مكة المكرمة لمدة ثمانى سنوات أعيش مع الله فى مسجده الحرام وأرحل إلى رسوله فى مسجده بالمدينة المنورة.

وأنا سعيد بهذا التنوع فى المشاهد... وتلك هى حياتى.

أسأل الله أن أظل مع الصالحين فى الدنيا

وأن يجمعنى بالسابقين منهم فى الآخرة

ولا يسعني بعد هذه السنوات ، وبعد هذا العرض الطويل للمشاهد المتعددة إلا أن أردد قول الشاعر :

فى مدرسة الفتح الخاصة ببنها

مدرسة الفتح فى نادى قناة السويس بالإسماعيلية

ابنتي/ غادة على كورنيش مدينة جدة

الأسرة في زيارة قلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة

الفهرس

رقم الصفحة	الموضـــوع
٩	المقدمة
١٧	التمهيد
٣١	الفصل الأول : طفل من القرية
٥١	الفصل الثاني : الخروج من القرية
٦٧	الفصل الثالث : قصة الأجاهرة
١١١	الفصل الرابع : العاصفة
١٤٣	الفصل الخامس : سجن ليمان طرة
١٦١	الفصل السادس : النفي والتغريب
١٨٥	الفصل السابع : الإخوان في الواحات
٢٣٣	الفصل الثامن : في سجن القناطر
٢٥٧	الفصل التاسع : العودة إلى السجن
٢٨٧	الفصل العاشر : خط النهاية
٣٠٧	الفصل الحادي عشر : الخروج الثاني من السجن
٣٤٥	الفصل الثاني عشر : إلى أرض الحجاز
٣٦١	نهاية المطاف